فيض المنان في دروس رمضان

فضيلة الشيخ

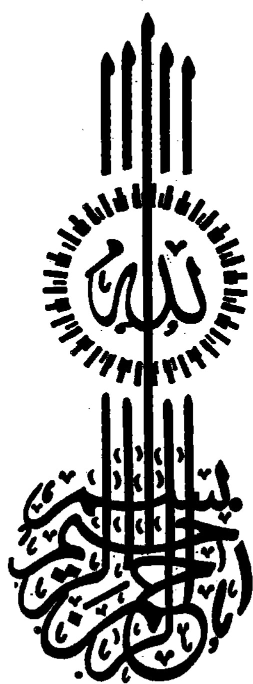
أحمد السعدني



ار الوفاء

فيض المنان
في
دروس رمضان

فضيلة الشيخ
أحمد السعدني


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأول

١٤٢٧ هـ ـــ ٢٠٠٦م

الإهداء

- إلى القلوب التى اشتاقت إلى مشاركة الملائكة فى بعض صفاتها .
- إلى من أجاب النداء ، ورفع اللواء .
- هذه جنة الخلد تمشى على الأرض بين يديك .
- والحور تهتف فى الأسحار تهيم شوقًا إليك .
- ورحمات ربك المنزلة فى شهر القرآن تعرض نفسها عليك .
- وصوت الحادى ينادى قد سبقك فى الميدان صالح المؤمنين ، ولعلَّهم حطُّوا رحالهم فى الجنة منذ سنين .
- فتشبه بهم وقلد صنيعهم .
- اغرس نخلة العزائم واروها بدموع نادم .
- تنعم بالثمار والغنائم .
- هيا أسرع معنا لا تتوان .
- تقدم نحو خط البداية وانطلق معنا فى هذه الرحلة الإيمانية .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، والحمد لله على نعمة الإيمان وأدامها الله علينا نعمة ، وشرح لها صدورنا دائما وقبضنا إليه غير مبدلين .

الحمد لله : بدأ الخلق بالحمد فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] .

وختم الخلق بالحمد : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر]

وصار الحمد دائماً وأبدًا بين هذا وذاك : ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم] .

وبعد :

فإن الإيمان هو رأس مال المرء ، وهو أساس الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة ، فبالإيمان يكون الرخاء ، وبه تكون السعادة ، وبه يكون الأمن ، وبه يكون الحب والمودة ، وبه يكون الرضا ، وبه يكون النصر والتمكين ، ثم به

تكون الجنة إن شاء الله : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم].

وبغير الإيمان فالشقاء والضنك والحسرة والندامة والتخبط فى الظلمات ثم الخسران المبين فى الآخرة نسأل الله العافية .

والمؤمن ليس بمفرده فى هذا الوجود ، ولكن كل الكون معه بما فيه ومن فيه.

فالمؤمن حمل البحر أمانته .

وفهم النهر رسالته ... ...

ولبت الوحوش والحيات نداءه ... ...

وحمل النهر جنده ... ...

ونزلت الملائكة لسماع تلاوته ... ...

ورعى الذئب غنمه ... ...

وطويت له الأرض فقبلت توبته ... ...

والسحاب يسقى زرعه ... ...

وأسمع الله صوته لجنده على مسافات شاسعة ... ...

وأحيا الله له دابته ... ...

ونزلت الملائكة تُقاتل معه ...

وصارت الحجارة والرمال فى يده أعظم من البارود وغيره كثير ، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن .

وبعد .

فيسعدنا أن نلتقى معكم ثانية فى رمضان هذا العام من خلال « فيض المنان فى دروس رمضان » وكنا قد التقينا فى العام الماضى معكم من خلال « موارد الظمآن فى دروس رمضان» والذى لقى قبولكم بفضل الله ـ عز وجل .

وقد احتوى كتاب « فيض المنان فى دروس رمضان » على مأدبة متنوعة ومفيدة – إن شاء الله – وهى :

أولا : محاضرة فى شؤون الدين والحياة أو فى هدى من هدى الإسلامُ .

ثانيا : موعظة اليوم : وهى عبارة عن حكمة لسلفنا الصالح الكرام .

ثالثا : فى واحة الشعر ، وهو نوع من الشعر المختار .

رابعًا : من مواقف الصالحين : وهى مواقف تبرز عظمة أسلافنا من الرجال والنساء فى جوانب عديدة .

خامسًا : توصيات عملية : تهم المسلم فى حياته اليومية .

نسأل الله أن ينفع بها وأن يكون الكتاب فى ميزان حسناتنا يوم القيامة .

وقبل أن نتوجه إلى خط البداية لا أملك إلا أن أصف حالى وأردد ما سبق ردده الإمام الواعظ أبو المظفر محمد بن على بن نصر الدورى :

يتوب على يدى قوم عصاة ... أخافتهم من البارى ذنوب
وقلبى مظلم من طول ما قد ... جنا فأنا على يد من أتوب
كأنى شمعة ما بين قومٍ ... تضىء لهم ويحرقها اللهيب
كأنى مخيط أكسو أناسًا ... وجسمى من ملابسه سليب

من أجل ذلك أخى الحبيب : لا تنسنى بدعوة صالحة لعل الله يجمعنا معًا فى مستقر رحمته وفردوسه الأعلى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) ﴾ [الحديد] .

الفقير إلى عفو ربه

الشيخ / أحمد عبد الرحمن السعدنى

إلى أخى الحبيب : إمام المسجد

خلال شهر رمضان المبارك

فضيلة الإمام حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فمعاً حول هذا الشهر الكريم المبارك شهر رمضان فإننا نحمد الله - تعالى ـ الذى بلغنا وإياكم إياه ، فنسأله ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعلنا وإياكم ممن يصومونه ويقومونه إيمانا واحتسابًا .

فضيلة الشيخ :

لقد تبوأت مكانة عظيمة بالتقدم لإمامة المسلمين فى الصلاة ، وتحملت مسؤولية القيام برسالة المسجد العظيمة التى هى رسالة محمد ﷺ فإنك محل أنظار أهل الحى ، ومعقد آمال الدعاة فى أن تكون مشعل نور ، ومصباح هداية، وإننا نذكرك بالله ـ عز وجل ـ بأن تخلص النية له ، وأن تراقبه فى كل دقيق وجليل ... كما نذكرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقك بأن تحرص على أداء الأمانة على أكمل وجـه وأتمه ، واحتسب ما تبذله من جهد قل ، أو كثر عند اللـه ـ عز وجل ـ والله لا يضيع أجر المحسنين .

هذا وبين أيديكم بعض المقترحات كبرنامج لهذا الشهر الكريم المبارك راجين تنفيذها ، أو بعضها بحسب المستطاع ، حيث إن الناس أقرب ما تكون فى الخير والإقبال على الله ، وكذلك نموذج للذين لا يشهدون الصلاة مع الجماعة إلا قليلاً ، وفقكم الله وسدد على درب الخير خطاكم .

فإليك بعض البرامج المقترحة «على سبيل الذكرى » :

١- تهيئة الناس لاستقبال شهر رمضان قبل دخوله بوقت مناسب من خلال حديث الخطباء والأئمة ، ومجالسهم .

٢- اغتنام فرصة حضور الغائبين عن المسجد فى غير رمضان والتعرف عليهم وربط الصلة بهم « زيارات ـ هدايا ـ غيرها » .

٣- إنشاء حلقة لتحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار مع مراعاة الأوقات المناسبة ، ووضع جدول مناسب وبرنامج متميز مثل : رحلة عُمرة - برامج علمية وثقافية ـ محاولة عمل حفل تجمع فيه الحلقات فى المساجد القريبة وتكرمهم بعد استضافتهم ، واستضافة أحد المشايخ وطلبة العلم ، وينبغى حث الآباء على توجيه أبنائهم إلى حلقات التحفيظ ، والأنشطة العامة المفيدة .

٤- توزيع الأشرطة، والكتيبات، والمطويات ، والحقائب النافعة بالأسلوب المناسب للرجال والنساء بمعدل مرة كل أسبوع على الأقل ، ويقترح أن توجه طاقات بعض الأطفال والشباب فى أن يتولوا التوزيع بأنفسهم .

٥- معالجة المنكرات الظاهرة مثل :

الأطباق الفضائية « الدش » - مظاهر الانحراف فى لباس المرأة وحجابها - الربا - ترك الصلاة مع الجماعة - الزواج العرفى - وغيرها من خلال «الكلمات، الفتاوى ، نشر الأشرطة والكتيبات والملصقات».

٦- العناية بفئة الشباب واستصلاحهم وتوظيف طاقاتهم ، وتوجيهها بإشراكهم فى تنفيذ بعض البرامج ، وتعويدهم على الخير .

٧- وضع صندوق للمسجد خاص بأسئلة المصلين من الرجال والنساء يجاب عليها فى وقت محدد كل أسبوع .

٨- نشر فتاوى العلماء ، وأهل الفتيا التى تهم عامة المسلمين فى المسائل المهمة.

٩- هدية رمضان من جماعة المسجد توزع على سكان الحى ، وهى عبارة عن كتيب وشريط وبعض النشرات التوجيهية وغيرها من الهدايا المناسبة لكل مسجد .

١٠- تنظيم مسابقة للصغار فى مجموعة من سور القرآن الكريم كذلك بعض الأذكار النبوية أو القصص الهادفة وغيرها ويتم تكريمهم وإعطاؤهم الجوائز أمام أولياء أمورهم وجماعة المسجد.

١١- التذكير الدائم بأحوال المسلمين وهموم وقضايا المسلمين فى العالم.

١٢- إقامة إفطار جماعى لأهل الحى يشارك فيه الجميع بإعداد الوجبات لزيادة الألفة والمحبة والترابط بين أهل الحى الواحد، مع الحذر من الإسراف والتباهى فى ذلك .

١٣- تنبيه المسلمين إلى وجوب إخراج الزكاة ، وصرفها فى مصارفها الشرعية.

١٤- بيان فضل الاعتكاف ولو ليوم واحد من العشر الأواخر من رمضان.

١٥- بيان فضل الجلوس بعد الصلاة - صلاة الفجر - للذكر والاستغفار .

١٦- بيان فضل ليلة القدر ، وحث جماعة المسجد على تحريها والاجتهاد فيها بالطاعة .

١٧- الحث على أداء العمرة فى رمضان وبيان فضلها.

١٨- الحث على زيارة المرضى فى المستشفيات لمواساتهم وإدخال السرور عليهم بمناسبة شهر رمضان وجلب الهدايا لهم .

١٩- اغتنام فرصة الشهر الكريم فى تحرى الدعوات الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة ، وما ينفع المسلمين من تفريج كربهم ، ونصر دعاتهم ، وفك أسراهم وشفاء مرضاهم .

٢٠- الاجتماع يوم العيد : للسلام والتهنئة بين جماعة المسجد وأهل الحى .

٢١- وأخيرًا ... فإننا بأمس الحاجة إلى استحضار أن التوفيق والتسديد من الله - جلَّ وعلا - فلنحرص على سؤال الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يبارك فيه .

الحلقة الأولى

فى

« التقوى دأب أهل الإيمان »

« وقفة إيمانية »

لما تنافس المتسابقون بالخيرات فى كسب الحسنات ، وعلو الدرجات ، كان الحسد فى حقهم من المباحات .

قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار » متفق عليه .

التقوى دأب أهل الإيمان

قال تعالى :﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة] .

التقوى تعنى الضمير الحى والقلب المشرق بنور الله ، والتقى إنسان صلب السلوك تكتنف حياته الرغبة والرهبة أو الرجاء والخوف ، وإلى جانب ذلك فهو يحب لله ، ويكره لله ، ويؤيد الحق ، ويخاصم الباطل ، ويفعل ما أمر الله به ، ويترك ما نهى عنه ، ويستحيل أن يوصف بها امرؤ معزول عن الحياة ، هارب من تكاليفها لا تحتمى به شعيرة من شعائر الله ، ولا تنهزم أمامه معصية الله ، إن التقوى ثمرة عبادة مكتملة .

لذلك قال العلماء : هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام ؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة ، وقد اشتملت هذه الآية على عقيدة سليمة وعبادة صحيحة وإخلاص ، ومعاملات حسنة ، وجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله ،ومن يأت بكل ذلك بلا تفريق أو تعطيل ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ، ولا بد أن يوقن المؤمن وهو يؤدى كل هذه التشريعات أن الله لن يناله منها شىء سوى التقوى :﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ

ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج : ٣٧] ، فلا بد أن يخلص النية لله ويتقن العمل لله حتى يتقبله الله .

مجالات التقوى:

وقد تضمنت الآية مجالات عدة يسلكها المؤمن ؛ لكى يكون من المتقين :

- منها : الإيمان بالله ، وبكل أسمائه وصفاته ، وما يترتب على ذلك من عدم الخوف إلا منه ، وعدم الاستعانة إلا به ، وعدم اللجوء إلا إليه ، وعدم أخذ التشريعات إلا من كتابه وهدى نبيه ، وعدم الخضوع إلا لسلطانه .

- ومنها : الإيمان باليوم الآخر بما فيه من بعث ، ونشور ، وحساب ، وميزان، وصراط ، وجنة ، ونار ، وما قبل ذلك من سؤال فى القبر ، وما يترتب على ذلك من إعداد لهذا اليوم طلبًا للجنة وخوفًا من النار ، كقول الأعرابى للرسول ﷺ : أما إنى لا أحسن دندنتك ، ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار فقال النبى ﷺ : « حولها ندندن » رواه أبو داود ، وابن ماجه.

- ومنها : الإيمان بالملائكة وما يؤدونه لصالح البشر بأمر من الله من تدبير أمور الكون ، وإرسال الرياح ، والهواء ،وإنزال المطر ، والدعاء للمؤمنين ، وتأمينهم معهم ، وتثبيتهم لهم ، وحضورهم مجالس الذكر ، وصلاتهم على المؤمنين ، وأيضًا تسبيحهم لله ، وحملهم للعرش ، والتسليم على أهل الجنة، وتعذيب أهل النار ، وكتابتهم الأعمال ، ويترتب على ذلك أن نؤمن بهم، ونرعى حق صحبتهم .

قال رسول الله ﷺ : «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم » رواه الإمام الترمذى .

- ومنها : الإيمان بالكتب السماوية، والعلم بأن القرآن هو شرع هذه الأمة، ومن ثم السير على نهجه ، وعدم تعطيل أحكامه .

- ومنها : الإيمان بالنبيين وتضحياتهم وجهادهم ، فى سبيل نشر دعوة الله، وحمل هذه الرسالة من بعدهم ، وفاءً لخاتم الرسل محمد ﷺ .

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

ثم ننتقل إلى مجالات أخرى للتقوى ، منها إيتاء المال بنفس راضية – على حبه – لكل مستحقيه ، إيتاءً يصل إلى حدِّ الإيثار ولو كان بهم خصاصة .

ثم ننتقل إلى مجال العبادة والتذلل بين يدى الجليل – سبحانه – فى جميع أوقات الليل والنهار ، ثم احترام الكلمة ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة، ثم الصبر على كل السبل التى تؤدى لنشر هذا الدين ، ومنها : الجهاد والثبات فى ميدان القتال ، والدفاع عن أرض الإسلام .

- هذا هو الإسلام كما أراد الله ، وليس كما يتخيله بعض الناس صلاة وصيامًا ، وتعلقًا بأستار الكعبة :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب

هذا ، وإذا كانت التقوى هى حصيلة هذه الأمور كلها ، فإن المتدبر لآيات القرآن وخاصة التالية لهذه الآية يجد مجالات أخرى للتقوى :

- فعند إقامة الحدود والقصاص ، فإن هذا مجال عظيم من مجالات التقوى ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة] .

- وعند العدل فى الوصية ، وإعطاء كل ذى حق حقه كما شرع الله فهذا أيضًا مجال للتقوى : ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة].

- ومدرسة الصوم فى رمضان المعظم من كبريات مجالات التقوى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

والغاية القصوى من الصوم : إعداد القلوب للتقوى والشفافية والخشية من الله ، فالصوم إعداد للأمة التى فرض عليها الجهاد فى سبيل الله ؛ لتقرير منهجه فى الأرض ؛ لتستعلى على ضرورات الجسد كلها ،ولتحتمل مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك ، وأعظم آثار الصوم شأنًا ، وأعلاها خطرًا ما يتركه فى نفس العبد من مراقبة لمولاه .

ويكفى الصائم تشريف الله والملائكة له بالصلاة عليه ، روى ابن حبان وأحمد : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » .

وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة وإذا هاتف فوقهم يهتف :

يا أهل السفينة ، قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه .

فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مُخبرًا .

قال : « إن الله - تبارك وتعالى - قضى على نفسه : أنه من أعطش نفسه له فى يوم صائفٍ سقاه الله يوم العطش » رواه البزار ، والمنذرى ، وابن أبى الدنيا ، فكان أبو موسى يتوخى اليوم الحر فيصومه :﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة]. قال مجاهد : نزلت فى الصائمين .

مجاهدات الصالحين فى الصيام :

عطَّر السلف الصالح صفحات التاريخ بعبير تقواهم ، ونسيم تعبدهم وإليك أخى الحبيب - نماذج من مجاهداتهم فى الصيام .

- عثمان بن عفان «يموت صائمًا » :

عن الزبير بن عبد الله : قال : « كان عثمان يصوم الدهر ، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله قتلوه وقد كان صائمًا »[1] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ عنه : أنه :«صلى الصبح ذات يوم ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إن رسول الله ﷺ أتانى الليلة فقال لى : « صم يا عثمان ، فإنك تُفطر عندنا » وإنى أشهدكم أنى أصبحتُ صائمًا ، وإنى أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالمًا سلومًا منه ، ثم دعا بالمصحف فأكب عليه ، فما طوى المصحف ... وقتلوه وهو يقرؤه»[2] .

وهذا عبد الله بن عمر : « الرجل الصالح » : عن سعيد بن جبير ، قال : لما احتضر ابن عمر قال : ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاثٍ :

ظمأ الهواجر ، ومُكابدة الليل ، وإنى لم أقاتل الفئة الباغية التى نزلت بنا يعنى الحجاج » صحيح : أخرجه ابن سعد (٤/ ١٨٥) وانظر : السير : «٣/ ٢٣٢».

وهذا الإمام مسروق تاج العباد . .

(١) انظر : الحلية لأبى نعيم ١/ ٥٦ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٧/ ٢٠٧ .

قال الإمام الشعبى :

«غشى على مسروق فى يوم صائف ، وكانت عائشة قد تبنته فسمى بنته «عائشة» وكان لا يعصى ابنته شيئًا ، قال : فنزلت إليه ، وقالت : يا أبتاه ، أفطر واشرب ، قال : ما أردت بى يا بنية ؟ قالت : الرفق ، قال : يا بنية ، إنما طلبتُ الرفق لنفس فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» .

« انظر : السير : «٤/ ٨٧، ٨٨» .

ونتعلم من الصحب الكريم معنى التقوى :

لقد أرسل الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى غلامًا له ليشرى له فرسًا فلما التقى الغلام بالبائع قال له : بكم تبيع هذا الفرس ، وأخذت المناقشات تدور بين البائع والمشترى إلى أن وقف الثمن عند ثلاثمائة درهم، لكن غلام جرير قال له : ليس معنى من الثمن شىء ، فتعال إلى سيدى ليعطيك الثمن ، ولما وصل البائع والغلام كلاهما إلى جرير قال جرير كلامًا عجيبًا : سأل الغلام : بكم اشتريت هذا الفرس ؟ أجاب الغلام بثلاثمائة درهم، وكان المتوقع من جرير أن يقلل الثمن ، وأن يقول أنه يساوى مائتين ، أو مائتين وخمسين ، لكن جرير نظر إلى البائع وقال : له أتبيعه بأربعمائة درهم وعجب البائع وسكت قال جرير : أتبيعه بخمسمائة درهم صمت البائع ، وقال جرير : أتبيعه بستمائة درهم وعجب البائع وسكت .

قال جرير : أتبيعه بسبعمائة درهم ودهش البائع ولم يطق صبرًا ، وقال : يا هذا ، أبائع أنت أم مشتر ، ما رأيت أحدًا مشتريًا يزيد ثمن المبيع إلا أنت فما، شأنك : قال جرير : لقد بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم ، والفرس تساوى سبعمائة درهم ، فلو أخذتها بأقل من ذلك لغششت عهد رسول الله ﷺ .

هذه هى التقوى كانوا يراقبون الله فى بيعهم وشرائهم .

وقد روى ، عن يعقوب ابن أبى شيبة فى مصنفه : عن أبى سعيد الخدرى يقول : كُنا إذا سافرنا ننزل جماعات ونتفرق ، وكل جماعة يتفرقون على بيت من الأماكن التى ننزل بها ، وكنت فى سفرٍ مع أبى بكر الصديق ، فنزلنا فى بعض أحياء العرب والقبائل فكانت فيهم امرأة حُبلى ، فقال لها أحدنا ستلدين غلامًا ، وسجع لها أسجاعًا كما يسجع الكهان ، فالمرأة ارتاحت لكلامه وأعطتنا شاة ، لهذا يقول أبو سعيد : فذبحناها ، وأكلناها ، وأخبرنا أبو بكر بذلك ، وأن هذه الشاة من المرأة التى تكهن لها الرجل ، فوضع أصبعه فى فمه وتقيأ ما أكل - عليه رحمة الله ورضوانه ».

لذلك روى الإمام : قال رسول الله ﷺ : « لن يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما بأس به » .

وقد روى أبو الفرج ابن الجوزى : فى كتابه صفة الصفوة : تحت عنوان « تقوى الضرتين » :

كان رجلا فى حانوته « دكانه » وكان تاجر ثياب ، فمرت به صبية جميلة فوقع الخمار من على وجهها ، فقال الرجل والله ، إنى تحيرت مما رأيت فقالت هذه المرأة لهذا الرجل : إن لى شهرًا آتى إلى السوق ، وليس لى حاجة للشراء، ولكن ليقع فى قلبى رجل فأتزوجه على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ فقال لها الرجل : والله ، لى ابنة عم ، وهى زوجتى ولى منها الولد ، وقد عاهدتها ألا أتزوج عليها غيرها ، فقالت : المرأة رضيت منك أن تأتى لى يوما واحداً فى الأسبوع وفقط ، وإن لى مالاً ودارًا ، ففكر الرجل ووافق على ذلك وتزوجها، واضطربت أحوال الرجل ، فقالت الزوجة الأولى لخادمتها : اذهبى وراء الرجل، وانظرى أين يذهب ، ولا يشعرن بك أحدًا ، فمشت الجارية وراء الرجل ، فدخل دارًا لسيدة ، فسألت الجيران عنها فقالوا : هذا الرجل تاجر

للثياب وقد تزوج هذه الصبية منذ شهور ، فرجعت وأخبرت سيدتها الخبر ، فقالت : يا جارية ، لا تحدثى أحدًا بذلك الأمر ، ولما عاد الرجل فلم تُظهر له ابنة العم شيئًا ، ومات الرجل وترك من المال ثمانية آلاف درهم ، ولم يخبر زوجته بشيء فقالت : بسبعة ألاف وهى حق الولد شرعًا ، وجاءت على الألف الثامن وقسمتها نصفين ، ووضعت الخمسمائة درهم فى كيس ، ونادت على الجارية وقالت : يا جارية ، أتعرفين هذه السيدة التى كان تزوجها سيدك قالت: نعم : قالت : اذهبى إليها بهذا المال ؟ وقولى لها : مات الرجل وخلف ثمانية آلاف درهم فأخذ الولد بحق الله سبعة ألاف ، وهذا نصيبك فى ميراث الرجل فبكت هذه السيدة التقية المؤمنة ، وأخرجت صندوقًا من تحت السرير، وقالت : يا جارية ، اذهبى بهذا المال إلى سيدتك وسلمى عليها فليس لى فى هذا المال حق لقد طلقنى الرجل قبل أن يموت بشهور » هكذا تكون التقوى ، ومراقبة الله - جل وعلا - فى السر والعلن .

نموذج فريد من المتقين :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « عليك بتقوى الله هى التى لا يُقبل غيرها ، ولا يُرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل » .

- دخلت عليه فاطمة زوجته يومًا وهو جالس فى مصلاه واضعًا يده على خده ، ودموعه تسيل على خديه ، فقالت : ما لك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة قد وُليت من أمر هذه الأمة ماوليت، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور، والغريب،والأسير، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير والمال القليل

وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة وأن خصمى دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا يثبت لى حجة فرحمت نفسى، فبكيت .

- أعجبته جارية من جوارى زوجته فسألها أياها ، إما بيعًا ، أو هبة فأبت ، فلما ولى الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها له فلما أخلتها به أعرض عنها، فقالت: يا سيدى ، فأين ما كان يظهر لى من محبتك إياى ، فقال : جاءنى أمر شغلنى عنك وعن غيرك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن أبى أصاب جناية ببلاد المغرب ، فصادره موسى بن نصير وأخدت فى الجناية ، وبعث بى إلى الوليد ، فوهبنى الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتنى إليك فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

- خرج ابن صغير يلعب مع الغلمان ، فشجه صبى فحملوا الصبى إليه ، وإذا امرأة تقول : إنه ابنى ، وإنه يتيم ، فقال لها : هونى عليك ، أله عطاء فى الديوان قالت : لا . قال : فاكتبوه فى الذرية ، فقالت فاطمة : أَتُفعل به هذا، وقد شج ابنك ، فعل والله به كذا وكذا ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية ، فقال : ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه .

- كان له سراج خاص به ، وسراج خاص بأمور المسلمين ، وجلس معه أحد امرائه يومًا يحدثه فى أمور المسلمين ، ثم قال : وكيف حالك يا أمير المؤمنين فقام وأطفأ المصباح ، وأضاء آخر ، ثم قال : كنت تحدثنى عن أمور المسلمين على مصباح يُضاء بزيت من بيت المال ، أما وقد طلبت الحديث عن نفسى فهذا مصباح يضاء بزيت من مالى الخاص .

- قالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصيامًا منه ولا أحدًا أشد خوفًا من ربه منه ، كان يصلى العشاء ، ثم يجلس يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، ولقد كان يكون معى فى الفراش ، فيذكر الشيء من أمر الآخرة ، فينتفض كما ينفض العصفور فى الماء ، يجلس يبكى فأطرح عليه لحافه رحمةً له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأيناه مسرورًا منذ دخلنا فيها .

- من تمام عدله وتقواه يقول موسى بن أيمن الراعى : كانت الأُسْد ، والغنم ، والوحوش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد ، وذات يوم عرض ذئب لشاة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك ، قال : فحسبنا فوجدناه مات فى هذه الليلة» [1] رضى الله عن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد .

---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ٥ / ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

« موعظة اليوم »

« حامل القرآن »

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله : حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغى له أن يلغو مع من يلغو ، ولا أن يلهو مع من يلهو ، ولا أن يسهو مع من يسهو ، وينبغى لحامل القرآن ألا يكون له إلى الخلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم ، و ينبغى أن يكون حوائج الخلق إليه .

« فى واحة الشعر »

يا غافر الذنب العظيم وقابلاً ... للتوب فاقبل تائبًا ناجاكا
يارب جئتك نادمًا أبكى على ما ... قدمته يداى لا أتباكا
يارب عدتُ إلى رحابك تائبًا ... مستسلمًا متمسكًا بعُراكا

« من مواقف الصالحين »

« أبو غياث الزاهد » :

روى : أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى ، فدخل المدينة ليزور أخًا له، وكان غلمان الأمير « نصر بن أحمد » ومعهم المغنون والملاهى يخرجون من داره ، وكان يوم ضيافة الأمير ، فلما رآهم الزاهد ، قال : يا نفس وقع أمر إن سكت فأنت شريكته ، فرفع رأسه إلى السماء ، واستعان بالله وأخذ العصا

فحمل عليهم جملة واحدة ، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان ، وقصوا على الأمير ، فدعا به .

وقال له : أما علمت : أنه من يخرج على السلطان يتغذى فى السجن.

فقال أبو غياث : أما علمت : أنه من يخرج على الرحمن يتعشى فى النار .

الأمير : من ولاك الحسبة ؟

أبو غياث : الذى ولاك الإمارة .

الأمير : ولانى الخليفة .

أبو غياث : ولانى الحسبة رب الخليفة .

الأمير : وليتك الحسبة بسمرقند .

أبو غياث : عزلت نفسى عنها .

الأمير : العجب فى أمرك تحتسب حين لم تؤمر ، وتمتنع حيث تؤمر .

أبو غياث : لأنك إن وليتنى عزلتنى ، وإذا ولانى ربى لم يعزلنى أحد .

الأمير : سل حاجتك .

أبو غياث : حاجتى أن ترد علىَّ شبابى .

الأمير : ليس ذلك إلىَّ . هل لك حاجة أخرى ؟

أبو غياث : أن تكتب إلى مالك خازن النار ألا يعذبنى .

الأمير : ليس لى ذلك ـ أيضًا . وهل لك حاجة أخرى ؟

أبو غياث : أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان أن يدخلنى الجنة .

الأمير : ليس ذلك إلى - أيضًا .

أبو غياث : فإنها مع الرب الذى هو مالك الحوائج كلها ، لا أسأله حاجة إلا أجابنى إليها فخلى الأمير سبيله .

« يستفتونك »

س : نرى كثيرًا ممن يصلون التراويح يمسكون المصحف بأيديهم ، ويقرءون منه ، ثم يضمونه ، ويضعونه فى جيوبهم ، أو على كرسى ، ثم يأخذونه مرة ثانية فما حكم الدين فى ذلك ؟

ج - معلوم أن قراءة بعض القرآن بعد الفاتحة سُنة فى الركعتين الأوليين من الصلاة ، وذلك للإمام والمنفرد ، ولو تركت القراءة فالصلاة صحيحة ، وإن قلَّ ثوابها .

وإذا أحب المصلى أن يقرأ فليقرأ ما يحفظه ولو كرره فى الركعات والصلوات ، ولا يلزمه تغيير ما يحفظه ، فإذا أراد أن يقرأ ما لم يحفظ احتاج إلى مصحف ، أو مكتوب فيه قرآن فهل يجوز ذلك .

أخرج الإِمام مالك : أن ذكوان مولى السيدة عائشة رضى الله عنها كان يؤمها فى رمضان ، ويقرأ من المصحف ، ولا بأس بذلك كما ذهبت إليه الشافعية ، والشرط ألا يفعل حركات تبطل الصلاة : كوضع المصحف ، ثم حمله ، وفتحه؛ ليقرأ منه ، وقد يستعان على عدم كثرة الحركات بوضع المصحف ذى الخط الكبير على شىء مرتفع أمام المصلى ؛ ليقرأ منه الصفحة أو الصفحتين، ولا يحتاج إلى تقليب الأوراق كثيرًا ، والقليل من التقليب لايبطل الصلاة .

قال النووى فى المجموع : ولو قلب أوراق المصحف ـ أحيانًا ـ فى صلاته لم تبطل .

ومن هنا نرى : أن القراءة فى الصلاة من المصحف جائزة عند المالكية ، ولكن محل ذلك هو فى التراويح والنوافل ، أما فى الصلاة الفرض فمكروهة ، ولكن الصلاة صحيحة ، وكذلك جائزة عند الشافعية والحنابلة كالمالكية فى الجواز فى النفل ، والكراهة فى الفرض مع صحة الصلاة ، أما الحنفية فقد نقل عن الإمام أبى حنيفة : أنها تبطل الصلاة إذا لم يكن حافظًا ؛ لأنه عمل طويل ؛ ولأن التلقُّن من المصحف كالتلقن من غيره ، ومثل الحنفية الظاهرية فى البطلان .

ومن أدلة المجيزين ما سبق ذكره عن مولى السيدة عائشة ، وأخرجه مالك وسئل الزهرى عن رجل يقرأ فى رمضان فى المصحف ، فقال :كان خيارنا يقرؤون فى المصحف .

ومن أدلة المانعين مارواه ابن أبى داود فى « كتاب المصاحف » : أن ابن عباس قال : نهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس فى المصاحف ، وروى عن بعض التابعين كراهته ، والشرط عند الجواز عدم الفعل الكثير ، والأولى أن يكون ذلك لغير الحافظين ، وفى النوافل .

واختلافهم رحمة والله أعلى وأعلم .

توصيات عملية :

١- ليكن لك ورد من القرآن لا يقل عن جزء .

٢- ابدأ بالتدريج ، فالتعود على القليل يكثره .

٣- لاتختم القرآن فى أكثر من شهر ، ولا أقل من ثلاثة أيام ، فهذه هى سنة النبى ﷺ .

٤- فليصم سمعك وبصرك عن الحرام كما صامت بطنك عن الطعام .

٥- اعقد العزم على الخروج من رمضان معتوقًا من النيران .

الحلقة الثانية

فى

« دقائق الليل غالية »

« وقفة إيمانية »

« سل المجاهدون خنجر الخوف ، فذبحوا به كبش الكسل ، ففزع النوم وطار ، ودوَّى فى أسماعهم صوت الحق : « هل من داعٍ » فلبوا النداء واستنشقت أنوفهم عبير الجنة ، حملته رياح الأسحار ، فاشتد الشوق وقوى العزم ، ونصبت الأقدام ، وهطلت الدموع إلى أن انتهى زمن الزيادة ، وحان وقت الفراق وآذن الأنس بالرحيل ... طلع الفجر »

دقائق الليل غالية

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ [المزمل].

يا أيها المزمل ... قم ... إنها دعوة السماء ، وصوت الكبير المتعالى ، قم للأمر العظيم الذى ينتظرك ، والعبء الثقيل المهيأ لك ، قم للجهد والنصب ، والكد والتعب ، قم فقد مضى وقت النوم والراحة ، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد .

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش فى البيت الهادئ والحضن الدافئ ؛ لتدفع به فى الخضم بين الزعازع والأنواء ، وبين الشد والجذب فى ضمائر الناس ،وفى واقع الحياة سواء .

إن الذى يعيش لنفسه ، قد يعيش مستريحا ، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا ، فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير ... فماله والنوم وماله والراحة؟ وما له والفراش الدافئ ،والعيش الهادئ والمتاع المريح ؟ ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدره ، فقال لخديجة رضى الله عنها وهى تدعوه أن يطمئن وينام : « مضى عهد النوم يا خديجة » ، أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب ، والجهاد الطويل الشاق ، فكان الإعداد

للقول الثقيل ، والتكليف الشاق ، والدور العظيم هو قيام الليل ، وترتيل القرآن، إنها العبادة التى تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمور ، وتشرق النور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان ، ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة .

وبعد هذا التمهيد ... هيا بنا إلى البحث ، وسيدور حول هذا الأمر :

أولا : فضل قيام الليل .

ثانيا : نماذج لسلفنا الصالح فى قيام الليل .

ثالثا : الأمور الميسرة لقيام الليل .

رابعا : فوائد قيام الليل .

*** أولا:فضل قيام الليل :**

قال تعالى :﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة] .

قال الإمام القشيرى – رحمه الله تعالى :

قوله ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ فى الظاهر عن الفراش قياما بحق العبادة والجهد والتهجد .

وفى الباطن : تتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال ، ورؤية قدر النفس وتوهم المقام ، فإن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة ، وهو للعبد سمٌّ قاتل ،

فلا يساكنون أعمالهم ، ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مآلفهم ، ويهجرون فى الله معارفهم .

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ خوفا من العذاب وطمعا فى الثواب، خوفا من الحجاب عن الله فى الآخرة ، وطمعا فى النظر إلى وجهه الكريم ، خوفا من المكر وطمعا فى عفو الله ورجائه - عز وجل - .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ أى : فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله فى الجنات من النعيم المقيم ، واللذات التى لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاءً وفاقًا ، فإن الجزاء من جنس العمل .

فكيف لا يقومون الليل ، وقد كان سيدهم ، وإمامهم ، وفخرهم رسول الله ﷺ يقيم الليل حتى تتورم قدماه، يصفه عبد الله بن رواحة ﷺ فيقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذ انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات إن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

٢- قال تعالى : ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات] .

قال الأحنف بن قيس - رحمه الله :

عرضت عملى على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونًا بعيدًا لا نبلغ أعمالهم ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ والهجوع : النوم ليلا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

قال رجل من بنى تميم لأبى :يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله قوما فقال : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ونحن والله قليل من الليل ما نقوم، فقال له أبى : طوبى لمن رقد إذا نعس ، واتقى الله إذا استيقظ .

وكيف تنام العين وهى قريرة ولم تدر فى أى المجالس تنزل

قال تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

قال ابن زيد : السحر : هو السدس الأخير من الليل .

وقال أبو السعود : أى : مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار .

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال : لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (رواه الترمذى ، وقال: حسن صحيح) .

وروى ابن حبان والطبرانى فى (الكبير) والحاكم : عن أبى مالك الأشعرى ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام » .

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ﷺ : « أفلا أكون عبدا شكورا » (متفق عليه) .

روى الإمام مسلم : عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله - تعالى - خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » .

وفى سنن أبى داود (١١٦١) : عن أبى هريرة ، وأبى سعيد ﷺ قالا :قال رسول الله ﷺ : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعا كتبا فى الذاكرين والذاكرات » .

روى الطبرانى فى (الأوسط) والمنذرى فى الترغيب (٢/ ٢٣) : عن سهل ابن سعد رضى الله عنهما قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : « يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » .

وروى الحافظ المنذرى فى الترغيب ، والطبرانى فى (الكبير) ورجاله ثقات وانظر : المجمع (٢/ ٢٥٥) : عن أبى الدرداء ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك لهم ، ويستبشر بهم : الذى إذا انكشف فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، ويكفيه فيقول : انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه؟ والذى له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول : يذر شهوته ويذكرنى ولو شاء رقد ، والذى كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر فى ضراء وسراء » .

وروى أبو داود ، عن أمنا عائشة رضى الله عنها قالت لرجل : (لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض ، أو كسل صلى قاعدا » .

وكان أبو ذر ؓ يقول للناس : (أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا ، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلى ، قال : فسفر طريق القيامة طويل وأبعد ، فخذوا له ما يصلحكم : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور ،وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير) [1] .

أين رجال الليل ؟ أين الحسن ، وسفيان ، والفضيل ، وابن المبارك ؟

يا رجال الليل جدوا   رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا   من له عزم وجد
ليس شىء كصلاة   الليل للقبر بعد

وفى الأثر المشهور :

(كذب من ادعى محبتى ، فإذا جنه الليل نام عنى ، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، فها أنا ذا مطلع على أحبابى ، إذا جنهم الليل جعلت أبصارهم فى قلوبهم ، فخاطبونى على المشاهدة ، وكلمونى على حضورى ، و غدا أقر أعين أحبابى فى جناتى :

الليل لى ولأحبابى أحادثهم   قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا
لهم قلوب بأسرارى لها ملئت   على ودادى وإرشادى لهم طبعوا
سروا فما وهنوا عجزا ولا ضعفوا   وواصلوا حبل تقربى فما انقطعوا

(١)انظر : لطائف المعارف : ٨٩ .

يقول مالك بن دينار – رحمه الله – : سهوت ليلة عن وردى ـ يعنى قيام الليل ـ ونمت ، فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة – أى: ورقة ، فقالت لى :أتحسن أن تقرأ ؟ ، فقلت :نعم ، فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقرآن

ويروى : أن أزهر بن مغيث : وكان من القوامين بالقرآن . أنه قال : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا ، فقلت لها: من أنت ؟ قالت : حوراء ، فقلت: زوجينى نفسك ، فقالت :اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى ، فقلت : وما مهرك؟ قالت: طول التهجد .

* ثانيا : نماذج للسلف الصالح فى قيام الليل :

كان داود الطائى أبو سليمان – رحمه الله تعالى – يقول فى الليل :

همك عطل عن الهموم ، وحالف بينى وبين السهاد ، وشوقى إلى النظر إليك أوثق من اللذات ، وحال بينى وبين الشهوات .

وكان عتبة الغلام – رحمه الله – يقول فى مناجاته بالليل :

إن تعذبنى فإنى لك محبٌّ ، وإن ترحمنى فإنى لك محب .

لو أنك أبصرت أهل الهوى أغارت الأنجم الطلع
فهذا ينُوحُ على ذنبه وهذا يصلى وذا يركع

من لم يشاركهم فى هواهم ، وذوق حلاوة نجواهم لم يدر ما الذى أبكاهم .

وكان أبو سليمان الداراني - رحمه الله تعالى - يقول :

أهل الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في هذه الدنيا.

وكان بعض الصالحين يقوم الليل ، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : (يا أيها الركب المعرسون) [1] : أكل هذا الليل ترقدون ؟ ألا تقومون فترحلون؟ فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم ، فيستمع من هنا باكٍ ، ومن هنا داعٍ، ومن هنا تالٍ ومن هنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته :(عند الصباح يحمد القوم السرى) :

يا نفس قومي فقد نام الورى   إن تصنعي الخير فذو العرس يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى   عند الصباح يحمد القوم السرى

وقال الفضيل بن عياض - إمام الحرم المكي - رحمه الله:

إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل .

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد : عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة سبعة أيام - أي : نزلت ضيفا عليه - فكان هو وزوجته وخادمه يقتسمون الليل أثلاثا .

---

(١) التعريس : نزول القوم في السفر من آخر الليل للاستراحة ثم يرحلون .

وفى تذكرة الحفاظ للإمام الذهبى : أن سليمان التيمى : كان عنده زوجتان ، وكانوا يقتسمون الليل أثلاثا .

وهذا الحسن بن صالح : وهو من رجال مسلم والكتب الستة : كان يقتسم الليل هو وأخوه على ، فمات أخوه على فقام الليل بنفسه ،وكان عنده جارية فباعها لأهل دار ، فأيقظتهم ، فقالوا : أسفرنا ؟ - يعنى طلع الفجر- فقالت: لا ، ألا تتهجدون ؟ فقالوا : لا نقوم إلا إلى صلاة الفجر ، فجاءت إلى سيدها الحسن بن صالح ،وتقول : ردنى إليك لقد بعتنى لأناس لا يصلون إلا الفريضة ، فردها .

وهذا محمد بن واسع : كان إذا جن عليه الليل يقوم ويتهجد ويقول أهله : كان حاله كحال من قتل أهل الدنيا جميعا .

وعن زائدة قال :صليت مع أبى حنيفة فى مسجد عشاء الآخرة ، وخرج الناس ، ولم يعلم أنى فى المسجد ، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يرانى أحد ، فقام ، فقرأ وقد افتتح حتى بلغ هذه الآية :

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور] فأقمت فى المسجد أنتظر فراغه، فلم يزل يرددها حتى أذن لصلاة الفجر .

وهذا رياح بن عمرو القيسى : تابعى جليل تزوج امرأة يقال لها : (ذؤابة) لما جاء النهار أراد أن يختبرها ، فقامت تعجن عجينها ، فقال : أحضر لك أمة ؟ قالت : أنا تزوجت رياحا العبد الفقير ، وما تزوجت جبارا عنيدا ، فلما جاء الليل تناوم رياح ، فقامت ربع الليل ، فقالت : يا رياح قم ، فقال : أقوم، وظل نائما ، فقامت الربع الثانى ، وقالت : يا رياح قم ، فقال : أقوم ، فمضى الربع

الثالث ، وقالت : يا رياح قم ، فقال : أقوم ، فدخل الربع الرابـع ، فقالت : يا رياح قم، فقال : أقوم ، فقالت : يا رياح قد عسكر المعسكرون ، وفاز المحسنون ، يا ليت شعرى من غرنى بك ؟وكانت إذا دخل الليل تجملت فى أجمل هيئة ، فإذا كان له بها حاجة أصابها ، ثم تفرغ لعبادة الله - عز وجل .

وهـذا أبـو إسحاق الشيرازى الذى غسله إمام الحنابلة ابن عقيل - رحمهما الله : كان إذا جاء الليل يقوم فى محرابه ويناجى ربه ، ويقول :

لبست ثوبا الرجا،والناس قد رقدوا ... وقمت إلى مولاى أشكو ما أجدُ
وقلت يا عدتى فى كل نائبة ... ومَنْ عليه فى كشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ... ما لى على حملها صبر، ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل معترفا ... إليك يا خير ما مدت إليه يد
فلا تردها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروى كل من يرد

فكان يردد هذه الأبيات ويبكى : خوفا وطمعا لله - جل وعلا .

ونختم هذا الأمر بقول ابن الجوزى - رحمه الله :

فى قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن] .

يقول - رحمه الله تعالى : (ويا دائم الخطايا والعصيان ، يا شديد البطر والطغيان ، ربح المتقون، والقائمون بالليل والناس نيام ولك الويل والخسران.

يا معتكفا على زللـه وذنبه ، لا يؤثر عنده أليم عتبة ، أما المصر فقد طمس على قلبه فلا ينفعه وعظ اللسان ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن].

كم خوفت وما تخاف ، يا من إذا أمر بالعدل حاف ، الويل لك يا صاحب الإسراف ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن] .

ولـو رأيت أهل الزيـغ والإلحـاد والعنـاد ، وأرباب المعاصـى والفساد ، مقرنـين فـى الاصفـاد وسرابيلهـم مـن القطران ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن].

وقد سدت فى وجوههم الأبواب ، وغضب عليهم رب الأرباب ، والنار شديدة الالتهاب ، والعذاب فيها ألوان ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أعرض عنهم الرحيم الرحمن ، ومنعهم خيره الكريم ويتقلبون فى الجحيم ، سعيرهم قد أحرق ، وزمهريرهم قد مزق ،ونور المتقين قد أشرق ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن] .

سارت بهم إلى المجد مطايا ، فأجزلت لهم جزيل العطايا ولأرباب الخطايا النيران ، منّ عليهم بنعيم ما منّ ، لا يخطر لمن يتوهم ويظن وقد كفانا صفة الحور العين ومن وصفهم ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن] .

أيها العاصى ، قد اجتهدنا فى صلاحك ، وعرضنا فى التجارة لأرباحك ، وأنت على المعاصى فى مسائك وصباحك وبعد فما نيأس من فلاحك ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن] ، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

❋ ثالثا : الأمور الميسرة لقيام الليل :

اعلم أخى الحبيب : أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا .

أولاً : الأمور الظاهرة فستة أمور :

الأول : ألا يكثر الأكل ، فيكثر الشرب ، فيغلبه النوم ، ويثقل عليه القيام ، وكان بعض الشيوخ يقول لتلاميذه : (يا معشر المريدين : لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيرا) .

الثانى : ألا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فإن ذلك مجلبة للنوم .

وقد أخرج ابن حبان والبيهقى: عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبغض كل جعظرى جواظ [1] سخاب فى الأسواق جيفة بالليل وحمار بالنهار » .

الثالث : ألا يترك القيلولة بالنهار ، فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل .

فقد قال رسول الله ﷺ : « قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » .

الرابع : أن يتجنب ارتكاب المعاصى ، فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة ، فإن مقترف الذنوب لا يوفق لقيام الليل ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله .

الخامس : أن يبتعد عن التنعم الزائد فى الفراش ، فإن ذلك يمنع من قيام الليل فقد سئلت حفصة عن فراش رسول الله ﷺ قالت : مسحا – أى : كساء خشن من الصوف– نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له ، فثنيناه له أربع ثنيات ، فلما أصبح قال : ما فرشتموه لى الليلة ؟ قلت : قلنا هو فراشك إلا أننا ثنيناه لك أربع ؛ ليكون أوطأ لك –

---

(١) الجعظرى : السيئ الخلق ، الجواظ : المتكبر .

أي : لينا - فقال ﷺ : « ردوه فإنه منعني صلاتي الليلة » (رواه الترمذي في الشمائل) .

السادس : أكل الحلال الطيب ، والابتعاد عن الحرام ، فكلما كان العبد متحريا الحلال كان موفقا ، قال سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله: « من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى» .

ثانيا : الأمور الباطنة :

أولاً : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع ، وعن فضول هموم الدنيا كي ينشغل القلب بالله مولاه ويترك ما سواه .

ثانيا : خوف غالب يلازم القلب ، فإنه إذا تفكر العبد في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه ، وعظم حذره ، وازداد خوفه ، وقد قيل :

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن في الدنيا هجوع

ثالثا : أن يتفكر في فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه ، فإن ذلك يدفعه على العمل وييسر عليه المشقة ، فإن الشوق إلى الجنة يدفع الناس إلى العمل والاجتهاد لتحصيل المراد من رب العباد .

رابعاً : تذكر نومتك في القبر الموحش وظلمته، فإن ذلك يهون عليك القيام في ظلمات الليل.

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى:

اغتنم في الفراغ فضل الركوع   فعسى أن يكون موتك بغتة
كم من صحيح مات من غير سقم   ذهبت نفسه الصحيحة فلته

* **رابعًا : فوائد قيام الليل :**

أولا : إن العبد إذا قام فى الليل ، وصف قدميه لمولاه عابدا خاشعا سهل عليه القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ومن استراح هنا تعب هناك ، ومن استراح هناك تعب هنا ، والجزاء من جنس العمل .

ثانيا : من يكثر القيام فى الليل وكان من الرجال يزوجه الله من الحور العين تعويضا له عن ترك الفراش الوثير ، والزوجة الحسناء ،والتعبد لرب الأرض والسماء .

ثالثا : صحة جسم القائم ،وصفاء روحه ، وبهاء وجهه ،قيل للحسن البصرى - رحمه الله - لم كان المتهجدون أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بربهم فأعطاهم من نوره .

رابعا : يمتع الله ـ تعالى ـ القائمين فى الليل برؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، قال الحسن البصرى - رحمه الله : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم لذابوا .

« موعظة اليوم »

يقول : أبو سليمان الداراني - رحمه الله :

« والله لو لا قيام الليل ما أحببت الدنيا ،والله إن أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، وإنه لتمر بى وبالقلب ساعات يرقص فيها طربًا بذكر الله ، فأقول : إن كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفى نعيم عظيم » .

« فى واحة الشعر »

أألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مُخلدًا لاموت فيه وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرًا من النوم التهجد بالقرآن

« من مواقف الصالحين »

« عجب الله من صنيعكما » :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : إنى مجهود

فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، فأرسل إلى أخرى فقالت : مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك ، والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء .

فقال رسول الله ﷺ : « من يضيف هذا الليلة - رحمه الله »

فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله .

فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟

قالت : لا ، إلا قوت صبيانى .

قال : فعلليهم بشىء فإذا دخل ضيفنا ، فأطفئى السراج وأريه ، أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه .

فقعدو وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا إلى النبى ﷺ فقال : « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » .

وقد ذكرت بعض المراجع أن هذا الصحابى هو أبو طلحة الأنصارى وامرأته أم سليم رضى الله عنهما .

« يستفتونك »

س : تعود الناس ختم القرآن الكريم فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فهل نصلى التراويح حتى نهاية الشهر ، أم تسقط صلاة التروايح بعد ختم القرآن ؟

ج : سقوط صلاة التروايح مختلف فيه ، والصحيح عدم السقوط فقد اختلفوا فيمن ختم قبل تمام الشهر فقيل : يصلى العشاء فى بقية الشهر من غير التروايح ولا يكره ذلك : لأنها شرعت لأجل ختم القرآن وقد حصل مرة وقيل : يصلى التراويح ويقرأ فيها ما شاء وقال بعضهم : لو ختم فى التاسع عشر ، ثم جعل بعد ذلك يصلى العشاء من غير تراويح لا يكره ؛ لأن المقصود هو الختم ، وقيل : إذا ختم مرة ولم يصل التراويح بقية الشهر يجوز من غير كراهة ؛ لأن التراويح سنة ما شُرعت لحق نفسها ، بل للختم ، فيها وقد حصل وهذه الروايات تشير إلى عدم الكراهة بناء على مشروعية التراويح لأجل الختم، والصحيح عدم السقوط لكونها سنة على حدة ، كما أن الختم فيها ـ أيضًا ـ سنة بنفسه ، ويكره إن لم يُصل التراويح بقية الشهر وهو الصحيح .

توصيات عملية :

١ – حافظ على الصلاة فى المسجد .

٢ – أبعد الناس عن المسجد ممشى أكثرهم أجرًا .

٣ – تعرف على أهل المسجد فهذا من مقاصد صلاة الجماعة .

٤- حافظ على أذكار النوم : « آية الكرسى ، والمعوذتين » .

٥- استعن بإخوانك ليوقظوك .

٦- تب إلى الله بصدق ، فكل من استيقظ قلبه استيقظت عيناه .

الحلقة الثالثة

فى

« الثبات حتى الممات »

« كلمة الرجال عقد ، فلا تكونن سحابة الصيف أثبت من قولك ، ولا يكون الخط على الماء أبقى من عهدك ، لا تكن ممن وقع العقد ثم لا هو يمضى البيع ، ولا هو ينوى الفسخ ، احزم أمرك وخاطب نفسك قائلا لها : إن كان محمد صادقا فأجيبى المؤذن ، وإلا فراعى الكنيسة بدق أجراسها صباح مساء »

« وقفة إيمانية »

الثبات حتى المات

قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم] .

يثبت الله الذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة بكلمة الإيمان والتوحيد المستقرة فى الضمائر ، الثابتة فى الفطرة المثمرة بالعمل الصالح ، المتجددة الباقية فى الحياة ، ويثبتهم بكلمات القرآن والبراهين الصادقة ، وكلمات الرسول ﷺ ، وبوعده الحق بالنصر فى الدنيا والفوز فى الآخرة ، وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة ، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ، ولا اضطراب .

ويضل الله الظالمين بظلمهم وشركهم (الظلم يكثر استعماله فى السياق القرآنى بمعنى الشرك ويغلب) وبعدهم عن النور الهادى ، واضطرابهم فى تيه الظلمات والأوهام والخرافات - واتباعهم مناهج وشرائع من الهوى لا من اختيار الله ، يضلهم وفق سنته التى تنتهى بمن ظلم ويعمى عن النور ويخضع للهوى - إلى الضلال والتيه والشرود .

إن أمر الثبات بأنواعه أمر مهم ـ جدا ـ لكل فرد من أفراد هذه الأمة ؛ كى تستعيد كرامتها ، وعزتها ، ومجدها وتنتصر على أعدائها ، وتقود العالم كله لما فيه الخير والسعادة ، ولكن مع الأسف الشديد كثير من الناس فقد هذا الأمر، وهذه الصفة الحميدة : وهى الثبات على الطاعة ، فترى الواحد منهم متمسكا بدينه أداءً للطاعات ، وتركا للمعاصى والمنكرات فترة ، ثم تراه بعد ذلك

انحل وفرط فى طاعة ربه لفقدانه لصفة الثبات والصبر ، كثير من الناس كانوا يحافظون على الصلاة فى أوقاتها ثم تركوها ، كثير من الفتيات كن يرتدين الحجاب فى رمضان ، ثم بعد ذلك تركنه لفقدانهن هذا المبدأ ، وهو الثبات على الطاعة .

نجد من الناس من يلتزم لأنه يريد من الله - عز وجل - شيئا ، وهدفا معينا كأن يريد النجاح فى الامتحان ، أو يريد الزواج من فلانة، أو يريد الغنى من الله- عز وجل ، فإذا ما أعطاه الله - جل وعلا - ما يريد ، وحصل له هدفه ومقصوده عاد إلى انحلاله وفساده ساقطا فى طريق الضلالة من جديد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا أردت الفلاح والنجاح، والثبات على طاعة الله ، فإياك أن تعد الله - عز وجل - ثم تخلف ، فإن ذلك من صور السقوط ، وفقدان الثبات ، وهذه الصور المختلفة من فقدان الثبات تجمعها كلها آية قرآنية تحمل التحذير من عدم الثبات وفقدانه .

يقول الحق سبحانه :﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾

[النحل : ٩٢]

لقد أثر فىَّ موقف امرأة أمريكية ذهبت إلى فلسطين ، وهناك وقفت ثابتة صامدة أمام الجرافة الإسرائيلية التى أرادت هدم بيت فلسطينى رغم أنها ليست مسلمة ، إلا أنها فعلت ذلك لأنها ترى أن هذا حق عام يجب الثبات على الدفاع عنه ، فحق الفلسطينيين فى السيادة على أرضهم وإخراج اليهود أعدائهم غاصبى أرضهم من الحق العام الذى يخضع لقانون العدل والإنصاف العام ، إن هناك عدلاً وإنصافا ، فلذلك ثبتت هذه المرأة أمام الجرافة ، فماتت

تحت عجلاتها ، فصارت حجة على المسلمين كلهم فى ثباتها على الحق والدفاع عنه ، وسنتناول ـ سويا ـ مواقف من السيرة والسلف الصالح فى إطار الثبات على الحق ؛ لتكون لنا نبراسا يضىء لنا طريق الحق .

فهذا رسولنا العظيم ﷺ عندما جاءت قريش إلى أبى طالب عمه ، فقالوا له: يا أبا طالب إن لك فينا سنا وشرفا ومنزلة ، وقد جئنا إليك نشكو من ابن أخيك فلم تنهه ، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله الحرب حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم على أبى طالب هذا التهديد الشديد ، فبعث إلى رسول الله ﷺ ، وقال له :يا ابن أخى إن قومك قد جاؤونى ، فقالوا لى : كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أن عمه خذله ، وأنه ضعف عن نصرته ، فقال رسولنا ﷺ : « يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر والله ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ثم بكى رسولنا ﷺ ، وقام فلما ولى ناداه عمه أبو طالب ، فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبدا، وأنشد أبو طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

وهذا الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله :

الذى تعلم الثبات من رسول الله ﷺ ، فنراه فى محنة خلق القرآن الكريم قد وقف ثابتا شامخا ، إن محنة خلق القرآن الكريم أساسها تلك النزعة الفلسفية التى سيطرت على المسلمين ، فجرت بعضهم إلى التخبط ، والسعى ، لإخضاع المسائل فى الدين للعقل والفلسفة ، فقال بعضهم بخلق القرآن مخالفين فى ذلك

أهل السنة والجماعة القائلين بعدم خلق القرآن ، لقد اشتد الخلاف والصدام بسبب هذه القضية بين أهل السنة والجماعة ، وبين من خالفهم وزاد تبنى النظام الحاكم ـ حينئذ ـ للرأى الفاسد المخالف لأهل السنة والجماعة من شدة هذا الخلاف والصدام ، وشدة وقعه على أهل السنة والجماعة وشدة مصابهم فيها .

وفى أثناء هذه المحنة ـ العظيمة ـ كان إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد ابن حنبل – رحمه الله – متواجدا على ساحة القتال ، فوقف الناس جميعا ينتظرون رأيه وموقفه ، فهو الإمام العلم القدوة الحجة الثقة عندهم فوقف – رحمه الله – موقفا ثابتا ثبوت الجبال قائلا : بعدم خلق القرآن ، فعقيدة الإسلام واضحة فى ذلك ويعذب الإمام تعذيبا شديدا .

ويأتيه أصحابه يطلبون منه الثبات موضحين له أن الأمر صار أمانة فى عنقه إن زلَّ زلت الأمة كلها ، فيقول ـ رحمه الله :

أنا لا أخاف فتنة السجن فما هو وبيتى إلا واحد ،ولا أخاف فتنة القتل فإنما هى الشهادة ، ولكنى أخاف فتنة السوط أى : (فتنة الضرب بالسوط) .

فالإمام أحمد بن جنبل – رحمه الله – لا يخاف من السوط ذاته ، ولكن يخاف على نفسه ألا تثبت لو تعرضت للضرب بالسياط ، وعندما أخذوه للتعذيب والضرب بالسياط ظهر على وجهه- رحمه الله – القلق والخوف فرأى ذلك أحد السجناء وهو أبو الهيثم الطيار على الإمام أحمد ، فنظر إليه ، وقال : يا إمام لقد ضربت ثمانية عشر ألف سوط على مدار عمرى وأنا على الباطل ، فاثبت يا إمام إنك على الحق ، فإن عشت عشت حميدا ، وإن مت مت شهيدا فيقول الإمام أحمد – رحمه الله : فثبتنى فكان الإمام أحمد بعد ذلك يدعو له قائلا : اللهم اغفر لأبى الهيثم الطيار ، ثم أخذوا الإمام أحمد ، لكى يعذبوه ويضربوه

بالسوط ، فقال من كان يضربه بالسوط : لقد ضربت الإمام أحمد ضربا لو كان فيلا لهدمته .

وبعد كل هذا الضرب والتعذيب يأتى المعتصم الخليفة وقد رق قلبه فيقول: ويحك يا أحمد أجبنى إلى شىء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدى .

يريد المعتصم كلمة واحدة من الإمام أحمد ؛ ليطلقه ويمنع عنه الضرب والعذاب ، ولكنه الثبات على الحق ، وجعل الجلادون يتقدمون فيضربونه حتى ذهب عقله فلما عاد إليه عقله إذا بالأقياد قدأطلقت عنه – رحمه الله – فقال له من حضر : إننا كببناك على وجهك وطرحناك على ظهرك ودسناك ، وعندما يفيق من إغماءته هذه يأتونه بماء ، فيقول رحمه الله : لست أفطر إنى صائم .

انظروا أحبتى فى الله إلى الثبات على الحق .

ويؤتى بالإمام أحمد إلى داود إسحاق بن إبراهيم ، فيحضر وقت الظهر فيذهب للصلاة ويصلى مأموما ، فلما انتهى قالوا له : صليت والدم يسيل فى ثوبيك فيقول : قد صلى عمر وجرحه يثعب دما .

هكذا كان العلماء ينظرون إلى التبعة وإلى الضرورة والصبر والتحمل فى المواقف المصيرية ، ومن هنا استحق هؤلاء الأعلام المكانة العظيمة والحب والتقدير ﷺ وأرضاهم .

وظلت المحنة حتى جاء عهد المتوكل وكان محبا للسنة ، ورفع المحنة عن الناس ، وقام الإمام أحمد من محنته ، وعفا عمن ظلمه .

يروى ابنه عبد الله : أنه قال : حين احتضر أبـى جعل يكثر أن يقول : لا بعد ولابعد ، فقلت :يا أبى ما هذه اللفظة فقال : يا بنى إن إبليس واقف فى زواية

البيت ، وهو عاض على إصبعه ، وهو يقول : فتنى يا أحمد ، فأقول : لابعد ، يعنى حتى تخرج روحه على التوحيد ، وأشار إلى أهله ليوضئوه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعى ، وهو يذكر الله - عز وجل - فى جميع ذلك ، فلما أكملوا وضوءه توفى - رحمه الله وﷺ - يوم الجمعة ١٢ من ربيع أول سنة ٢٤١هـ وعمره ٧٧ سنة ، وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم ألف ألف وثلثمائة ألف ، وفى رواية ألفا ألفٍ وخمسمائة ألف ، وقد أسلم يوم مات الإمام أحمد عشرون ألف من اليهود والنصارى ، والمجوس من بهاء جنازته ، وهكذا يمضى العلماء الصالحون دعاة فى الحياة وفى الممات .

فأين ثباتنا نحن مع أننا لم نتعرض لما تعرض له الإمام أحمد - رحمه الله - أقول لك هذا لتجعل قضية فلسطين حية فى قلبك لا تجعلها تمت فى قلبك ؛ لتجعل قضية العراق حية فى قلبك لا تجعلها تمت .

وهذا العالم الجيل (سعيد بن جبير) رحمه الله :

وموقفه مع الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكلنا يعرف الحجاج بن يوسف الثقفى كان سفاحا طاغية قتل ناسا كثيرين ، وقتل العلماء ، فلما وقع سعيد بن جبير - رحمه الله - فى يده سأله الحجاج عن اسمه استهزاء به وسخرية منه ، فقال له: ما اسمك ؟ قال - رحمه الله : سعيد بن جبير .

قال : بل أنت شقى بن كسير .

قال سعيد : أمى أعلم باسمى يوم سمتنى .

فقال له الحجاج : شقيت وشقيت أمك .

قال سعيد – رحمه الله : إنما يشقى من كان من أهل النار ، فهل اطلعت على الغيب يا حجاج ؟

فقال الحجاج : لأبدلنك بدنياك نارا تلظى .

فقال سعيد : والله لو أعلم أن هذا بيدك لا تخذتك إلها من دون الله .

فقال الحجاج : فلم فررت منى .

قال سعيد : فررت منكم كما فر موسى من فرعون .

قال : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ [الشعراء : ٢١].

فقال الحجاج : اختر لنفسك قتلة يا سعيد .

فقال سعيد بن جبير – رحمه الله : بل اختر لنفسك أنت يا حجاج . فلن تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها .

فقال الحجاج : لأقتلنك قتلة ما قتلتها لأحد من قبلك ، ولن أقتلها لأحد من بعدك .

فقال سعيد : إذن تفسد على دنياى وأفسد عليك آخرتك .

فقال الحجاج وهو غضبان : خذوه فاقتلوه .

فلما أخذوا سعيدا– رحمه الله – ليقتلوه ضحك فسأله الحجاج : لم تضحك؟

قال : أضحك من جرأتك على الله ، وحلم الله عليك .

فقال الحجاج : اقتلوه واذبحوه .

فقال سعيد : وجهونى إلى القبلة، ووضعوا السيف على رقبة سعيد ؛ لكى يقتل ، فنظر إلى القبلة وقال :﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام] .

فقال الحجاج : غيروا وجهه إلى غير القبلة ، فحولوه إلى غير القبلة .

فقال سعيد رحمه الله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

قال الحجاج : كبوه على وجهه .

فقال سعيد: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه].

فقال الحجاج : اذبحوه اذبحوه ، فما أسرع لسانه بالقرآن .

فقال سعيد : أما إنى أشهد أن لا إله ألا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم قال : خذها منى يا حجاج حتى تلقانى يوم القيامة ، اللهم لا تسلطه على أحد من بعدى ، فقتل سعيد بن جبير - رحمه الله - وبعد أسبوع حدث شيء عجيب ألا وهو أن الحجاج أصيب بالجنون وصار مجنونا يصرخ طوال الليل ويقول : مالى ولسعيد بن جبير ، مالى ولسعيد بن جبير .

ولم يسلطه الله على أحد من بعده حيث مات بعد أسبوع من قتله لسعيد .

فانظروا أحبتى فى الله : أحيانا يكون ثبات إنسان سببا فى يقظة أمة كاملة حتى لو قتل أو عذب ، كلما رأى المسلمون ما يحدث لإخوانهم فى فلسطين من قتل وتعذيب ومن هدم المنازل ، كلما ارتفع الحماس فى قلوبهم فتركوا المعاصى والسيئات ، والتزموا بالطاعات ، وقربات لله - عز وجل ، ألا نرى ما حدث للعراق كان سببا فى عمل ما عجز الكثير من الدعاة عن عمله منذ سنين ؟ ليس كل واحد فينا سيتعرض لهذه المواقف ، ولكن نذكر بهذه المواقف وأصحابها حتى نتعلم الثبات كمبدأ ومعنى ، فنطبقه على ما نتعرض له من مواقف صغيرة كانت ، أو كبيرة نذكر بهذه المواقف وأصحابها حتى تكبر قضايانا الإسلامية فى نفوسنا ونؤمن بها .

فكيف أخى الحبيب نحقق الثبات فى نفوسنا :

إليك أخى الحبيب وسائل الثبات حتى الممات :

١- أن نفهم الإسلام فهمًا صحيحًا من خلال القرآن الكريم ، وكذلك سنة الحبيب المصطفى ﷺ ، وقراءة سير السابقين الثابتين الراسخين على دين - الله عز وجل - والالتزام بشرع الله ، والعمل الصالح ، وكذلك قصص الأنبياء وسيرة النبى الخاتم ﷺ والصحابة الكرام والتابعين ، قال تعالى :﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود] .

٢- الإكثار من ذكر الله - عز وجل - خاصة كلمة التوحيد قول لا إله إلا الله قال رسول الله ﷺ : «جددوا إيمانكم» قيل : يا رسول الله كيف نجدد إيماننا قال : «أكثروا من قول لا إله إلا الله » قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأنفال ٤٥] .

وبهاذا استعان يوسف ﷺ فى الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها ؟ ألم يدخل فى حصن :{معاذ الله} ، فتكسرت أمواج الشهوات على أسوار حسنه ؟ وكذا تكون فاعلية الأذكار فى تثبيت المؤمنين .

٣- الإكثار من القربات والطاعات ، وترك المنكرات ، والحرص على أن تسلك طريقا صحيحًا ، وهو طريق أهل السنة والجماعة طريق الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية : أهل العقيدة الصافية والمنهج الحق .

٤- الاستعانة بالله - جل وعلا - على الثبات على كل ما يرضى الله ـ عز وجل - قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم] .

روى الإمام الترمذى ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع « ٧٨٦٤» :
عن شهر بن حوشب قال : قُلتُ لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » قالت : فقلتُ : يا رسول الله ، ما أكثر دُعاءك « يا مقلب القُلوبُ ثبت قلبى على دينك » ؟ قال : يا أم سلمة « إنه ليس آدمى إلا وقلبُهُ بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » فتلا مُعاذ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ .

فنسأله أن يثبتنا ـ جميعًا ـ على الحق ، وأن يختم لنا جميعًا بخاتمه السعادة والأمن والإيمان .

« موعظة اليوم »

« كلام المؤمن »

قال الفضيل بن عياض - رحمة الله : المؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام ، قليل العمل .

كلام المؤمن حكمة ، وصمته تفكر ، ونظره عبرة ، وعمله بر ، وإذا كنت كذا لم تزل فى عباده .

« فى واحة الشعر »

ملكنا هذه الدنيا القرونا   وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء   فما نسى الزمان ولا نسينا
وأصبح لا يرى فى الركب قومى   وقد عاشوا أئمته سنينا
وآلمنى وآلم كل حر   سؤال الدهر : أين المسلمونا؟

« من مواقف الصالحين »

« عروس المقاطعة »

رفضت عروس أردنية دخول الصالة التى تشهد حفل زفافها بعد أن شاهدت علب العصير والمشروبات الأمريكية الصنع منتشرة على طاولات الصالة باعتبارها واردة ضمن قائمة المقاطعة للبضائع الأمريكية وبالرغم من محاولات العريس لإقناعها بالدخول حيث سيتم رفع هذه العلب إلا أنها

رفضت الدخول قبل أن يتم رفعها ؛ لكيلا تراها وهى تخطو خطواتها الأولى نحو حياة جديدة مما أضطر العريس والمدعوون إلى التعاون لرفع هذه العلب .

ولدى دخول العروس للصالة بعد أن تحقق مرادها قوبلت بتصفيق عاصف من المدعوين وبادر أحدهم بشراء عصير من منتج محلى ـ على حسابه الخاص ـ وتوزيعه فى الحفل وذلك تقديرًا منه للموقف العربى للعروس الذى يدخل فى نطاق الالتزام بمقاطعة السلع الأمريكية .

« يستفتونك »

س : ارتكبتُ ذنبًا عظيما فى نهار رمضان ، فقد وسوس لى الشيطان حتى فعلت العادة السرية ولا أدرى كيف أكفر عن ذنبى خاصة ، وأننى مريض بمرض يمنعنى من الصيام ؟

ج :الاستمناء بالكف عند الحنفية لا يفسد الصوم إذا لم يحدث إنزال للمنى، أما إذا حدث الإنزال بعد الاستمناء فيفسد صومه ، ويجب عليه القضاء فقط ، ولما كان السائل لا يستطيع الصوم كما ذكر فى سؤاله لمرضه الذى لا يستطيع معه الصوم بصفة دائمة ، ففى هذه الحالة يعتبر كالشيخ الفانى ، وتجب عليه الفدية : وهى إطعام مسكين عن كل يوم يُفطرهُ من شهر رمضان كالفطرة المقصود بها زكاة الفطر- ويجوز عند الحنفية إخراج القيمة بدلا من الطعام - وننصح الأخ الكريم وأمثاله من الشباب بألا يكثر من التفكير فى الجنس ولا يخلو بنفسه كثيرًا ، وكلما وسوس له الشيطان وحسن له هذا العمل استعاذ بالله منه ، وتوضأ وصلى واستغفر الله ، وأكثر من ذكر الله ، وقراءة القرآن ،وابتعد عن أصدقاء السوء ، والتزم بالآداب الشرعية عند النوم بالنوم على الجانب الأيمن ، وتجنب النوم على البطن ،والوضوء وأنت ذاهب إلى الفراش والمحافظة على الأذكار الشرعية ، وممارسة الرياضة ، والتحلى بالصبر والعفة ، وقراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف ، فإن فعل ذلك نرجو أن يتوب الله عليه ويغفر له ويوفقه للعدول عن هذه العادة .

توصيات عملية:

١- حافظ على أذكار النوم ، وعلى الوضوء ، فالوضوء سلاح المؤمن .

٢- ابدأ جارك بالسلام وعده فى مرضه ، وشاركه فى فرحه ، واصفح عن زلاته أقرضه من مالك ، وإن استغاثك فأغثه ، وإن استنصرك فانصره .

٣- اتل القرآن وطالع ، أو استمع ، أو اذكر الله ، ولا تصرف جزءًا من وقتك فى غير فائدة .

٤- لا تكثر الضحك ، فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .

الحلقة الرابعة

فى

« الثقة فى الله »

من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر.

ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل .

ومن علم عمل ، ومن عمل أبصر ، ومن أبصر اعتبر ، فعلم أن الفضل كله لله .

الثقة فى الله

قال تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾ [القصص] .

لقد صدر قرار من فرعون يقضى بذبح كل طفل يولد من بنى إسرائيل بعد ما علم أن نهايته ستكون على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأصدر إلى جلاديه وشياطينه بإحضار كل مولود من بنى إسرائيل ليذبحه ويرى دمه، ونفذ فرعون تهديده ، فلما أسرف فرعون فى الذبح أشار عليه بعض كباره ومستشاريه أن ينفذ هذا القرار عاما ، وأن يوقفه عاما حتى يجدوا الخادمين من بنى إسرائيل ، وولد هارون فى عام وقف القرار، وبذلك نجا هارون من الذبح ، وولد موسى فى العام الذي ينفذ فيه الذبح ، ومع ذلك فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يعجزه شيء فى السماء ولا فى الأرض.

يا فرعون لا تتعب نفسك ولا ترسل رجالك ، أنا الذى سأرسل بالطفل الوليد إلى قصرك ، وسوف يربى على عينيك، وتجلسه على عرشك ، وسوف يضربك على وجهك وأنت لا تدرى من هو ؟ وسوف يأخذك إلى شاطئ البحر لتغرق هناك ، وسوف تقول له : أغثنى يا موسى فلن يغيثك ، وسوف

أقول لموسى يا موسى ، لقد استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تغثه ، وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة واحدة لوجدنى قريبا مجيبا .

يقول الشهيد سيد قطب – رحمه الله: يا أم موسى أرضعيه، فإذا خفت عليه وهو فى حضنك وهو فى رعايتك إذا خفت عليه وهو فمه فى ثديك ، وهو تحت رعايتك وعينك ، إذا اخفت عليه ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ﴾ إنه هنا فى اليم فى رعاية اليد التى لا أمان إلا فى جوارها ، اليد التى لا خوف معها ، اليد التى لا تقرب المخاوف من حماها ، اليد التى تجعل النار بردا وسلاما ، وتجعل البحر ملجأ ومناما ، اليد التى لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض ـ جميعا ـ أن يدنـوا من حماها الآمـن العزيـز الجانب ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾...، فلا خوف علـى حياته ، ولا حزن على بُعده ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وتلك البشارة هى بشارة الغد ، ووعد الله أصدق القائلين، إن المألوف أن الأم إذا خافت على ولدها ألصقته بصدرها وأرضعته الحب والحنان ، ولكن هنا تتجلى طلاقة قدرة الله حيث يأمر الله أم موسى إذا خافت على ولدها أن تلقيه فى اليم ، وأخذت أم موسى تضع طفلها فى صندوق ، وترميه فى الماء، والصندوق يمشى ـ بإذن ربه ـ إلى شاطئ نهر النيل ، وألقى الله محبة موسى فى قلب زوجة فرعون ، وتنظر آسية بنت مزاحم زوجة فرعون فترى الصندوق ، من الذى حمل الصندوق إلى هنا ، ويلتقط الحرس الصندوق ، ويرفع الغطاء فإذا داخل الصندوق طفل رضيع إصبعه فى فمه ، والله أجرى اللبن فى إصبعه فأخذ يرضع من إصبعه لبنا سائغًا للشاربين .

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

وتنظر امرأة فرعون إلى وجه الغلام فتجد فى عينيه بريقا يشع نورا ، فتقول لفرعـون : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩].

سبحان الله فرعون هو الذى يربى موسى وهو الذى يرعى موسى عليه السلام ، ويشب موسى فى قصر فرعون وبعد ذلك يحمل موسى الرسالة ، ويأتى إلى فرعون فى قصره ، وينتصر موسى على سحرة فرعون ، فاهتزت ألوهية فرعون الأحمق ، وانكشفت صورته أمام الناس ، وخرج موسى عليه السلام ببنى إسرائيل فارا من فرعون وملئه وعرف فرعون أن بنى إسرائيل خرجوا هاربين ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء] .

وانطلق فرعون وراء اليهود ، فلما أحس اليهود بأن المراحل تطوى وراءهم وأن الجيش المصرى يقترب منهم صاحوا بموسى ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء] .

ونتعلم الثقة من رسول الله ﷺ ، كان الرسول ﷺ يجلس أمام الكعبة فى المسجد الحرام ،وجاء رجل إلى المسجد الحرام وكان المشركون متحلقين هناك ، وكان الرجل من قبيلة أراش ، فقال لهم : يا قوم ، إن لى عند أبى جهل دينا ، وقد ماطلنى ، ولم يؤدنى ، أليس منكم رجل يطالبه بدينى ويرد إلىَّ حقى ، فيرد المشركون مستهزئين : ليس بيننا رجل يأتيك بحقك إلا ذلك الرجل الذى

يجلس هناك ، الأبيض الوجه ، المشرب بحمرة ، ونظر الرجل فلم يجد إلا رسول الله ، وهو لم يكن يعلم أنه رسول الله ؛ لأنه كان غريبا فذهب إلى الرسول وقال : يا أخا العرب إن على عمرو بن هشام دينا ، لى وقد ماطلنى، فهل ترد لى حقى منه ؟ وما كان من عادة المصطفى أن يقول : لا .

ما قال لا قط إلا فى تشهد   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وذهب الحبيب المصطفى ﷺ صاحب المروءة مع الرجل الغريب إلى أبى جهل ليقضى له دينه ، وكان أبو جهل حاد اللسان ، حاد القلب ، لو وزعت قسوة قلبه على أهل الأرض جميعا ما بقى للرحمة من سبيل إلى قلب واحد منهم، ولكن الحبيب المصطفى ﷺ ما خشى أحدا إلا الله وحده ، وطرق الباب على أبى جهل ، وقال أبو جهل : من الطارق ؟ قال الحبيب : محمد ، وفتح أبو جهل الباب ، وقال : ماذا تريد يا محمد ؟ قال : اقض لهذا الرجل دينه ، فدخل أبو جهل وأتى بالدين ، وسلمه لصاحبه كاملا غير منقوص ، وأطلق الرجل ساقيه للريح سرورا ؛ خشية أن يرجع أبو جهل فى كلامه ، فقالوا : هل قضاك دينك ؟ قال : نعم ، وبارك الله فى محمد ، فذهبوا إلى أبى جهل ، وقالوا له : يا أبا الحكم أخفت من محمد ؟ وأنت فينا من أنت ؟ فقال لهم أبو جهل : واللات والعزى عندما فتحت له الباب لم أر وجه محمد ، ولكننى رأيت وجه أسد لو تأخرت ، أو تقدمت خطوة لطحننى بين أنيابه .

هى ثقة وسكينة من خاف الله وحده خوف الله منه جميع خلقه ، ومن لم يخف الله خوفه الله من جميع خلقه ، وها هو رسولنا ﷺ يغرس الثقة بالله فى نفوسنا فالرسول ﷺ كان يعلمها للعباس وهو غلام .

روى الإمام البخارى ، ومسلم ، النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت رديف النبى ﷺ فقال : « يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله

تجده تجاهك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ونتعلم الثقة والسكينة فى الله من أبى الأنبياء إبراهيم ﷺ عندما حطم الأصنام فى جبهة الشرك ، وحكمت المحكمة وحكم النمروذ على إبراهيم بالإعدام حرقا ، فهل اضطربت أعصابه ؟ هل تفككت أوصاله ؟ من كان الله معه لا يخيب سعيه ولا تتعثر قدماه ، ماذا قال إبراهيم بعد سماع الحكم ؟ قال إبراهيم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكيف ينفذ الحكم فى إبراهيم ؟ ظلوا مدة شهر كامل يجمعون الحطب والوقود حتى كادت الطير لا تقترب من تلك المنطقة التى فيها النار خوفا من أن تحترق وجىء بإبراهيم ، لتنفيذ الحكم وضجت ملائكة الرحمن فى السموات العلا ضجوا إلى الله وقالوا : يا رب ، إن إبراهيم الذى يعبدك فى الأرض وحدك ، ويوحدك وحده سيلقى فى النار ، فماذا قال لهم الله ؟ قال لهم : يا ملائكتى إن استغاث بى أنا ، فسيجدنى أقرب إليه من حبل الوريد ،وتوالت الملائكة ملكا ملكا .

فجاء ملك الرياح ، فقال : يا خليل الرحمن ألك حاجة إلى ؟ إن شئت أمرت الرياح ، فبعثرت نارهم على ديارهم ـ بإذن الله ، والخليل بكل هدوء وثبات يقول : أنا لست فى حاجة إليك ، ثقة فى الله وثبات وسكينة ، وينزل ميكائيل الموكل بمطر السماء ، فيقول : السلام عليك يا خليل الرحمن ألك حاجة إلىَّ ؟ إن شئت أمرت السماء أن تمطر فتطفىء نارهم ـ بإذن الله ، وإبراهيم يقول ثقة فى الله : أنا لست فى حاجة إليك، إنما أنا فى حاجة إلى الواحد الديان ، وينزل أمين الوحى جبريل ﷺ ويقول : يا خليل الرحمن ألك حاجة إلى ؟ فيقول : يا جبريل كيف أحتاج إليك ، وأنسى الذى أرسلك

إلىَّ هذه الساعة ؟ أنا فى حاجة إلى الواحد الأحد (حسبى الله ونعم الوكيل) ووضعوا إبراهيم فى أرجوحة حتى يلقى فى النار من بعيد ، ومن أعلى مكان وحكمت المحكمة (محكمة الأرض) بالإعدام ، حرقا وحكمت محكمة السماء بالإفراج نورا ، فماذا قال الحق - سبحانه وتعالى ؟ قال الله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

فجمع الله لإبراهيم بين البرودة والسلامة ، أتدرون ماذا حرقت النار من إبراهيم ؟ والله ما حرقت شعرا ، ولا جلدا ، ولا لحما ، ولا عظما ، إنما حرقت الحبال التى قيد بها ، وبعد سبعة أيام نظر النمروذ من شرفة قصره فوجد إبراهيم عليه السلام يجلس على ربوة خضراء ، وقد أنبت الله له شجرة من تفاح ، وعجب النمروذ من هذا الذى يجلس مكان نار إبراهيم ؟ فقالوا له : إنه إبراهيم نفسه قال: ائتونى به فجىء بإبراهيم فسأله النمروذ : من الذى نجاك من النار ؟ فقال إبراهيم : (ربى الذى يحيى ويميت) .

وها هو خالد بن الوليد عندما وقف يحطم جبهة الشرك الجبهة الفارسية أيام أبى بكر الصديق رأى جيش الفرس يصل إلى مائة وعشرين ألفا من المشركين ، فكتب إلى أبى بكر الصديق يطلب منه المدد فأرسل إليه الصديق على عجل (القعقاع بن عمرو) وأرسل معه مذكرة فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من خليفة رسول الله ﷺ إلى سيف الله خالد : يا خالد لقد طلبت منى النجدة ، ولقد أرسلنا إليك القعقاع ولعلك تقول : وما يفعل القعقاع وحده ، وأنا أقول لك : إن الله لن يهزم جيشا فيه القعقاع بن عمرو) .

وكان من نظم الحروب أن يتقدم قائد الجيوش ليبارز قائد جيش العدو، وأوصى قائد الفرس بعض جنده إذا أنا شغلت خالد بالمبارزة فليطعنه أحدكم

من خلفه ، ووقف خالد ليبارز وما أدراك ما خالد - عجزت النساء أن يلدن مثل خالد - قال أبو بكر : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ، ووقف خالد يبارز ، وحاول بعض جند الفرس أن يضربوا حوله حركة التفاف ؛ ليطعنوه من الخلف ، وإذا بالقعقاع بن عمرو يضربهم فيسقطهم قتلى، لله درك يا أبا بكر ، والله لكأنك تنظر من وراء الحجب ؛ لترى ماذا يفعل القعقاع مع خالد ، ولولا أن الله سخر لخالد القعقاع لطعن خالد ، إن جيشا فيه القعقاع لا يهزم أبدا إنها الثقة فى الله - عزوجل .

ويقول ابن عباد الصيرفى البغدادى : بينما أنا نائم إذا قيل لى فى المنام : يا ابن عباد قم فأغث الملهوف، فقلت : فأين هو ؟ فقيل لى : اركب دابتك فهو حيثما وقفت ، قال : فانتبهت من نومى ، وركبت دابتى ، وجعلت أتخلل أزقة بغداد حتى انتهيت إلى مسجد فوقفت الدابة ، ونزلت عنها ، ودخلت المسجد ، فإذا برجل مستقبل القبلة فسلمت عليه وقلت : ما قضيتك ؟ قال : إنى رجل ذو عيال ، ولم يكن عندهم الليلة شىء ، فجلست ها هنا ، وطلبت من الله الفرج ، قال : فأعطيته مائة دينار ، وقلت له : أنا ابن عباد الصيرفى فإذا احتجت إلى شىء فائتنى ، فقال : سبحان الله ، أترك الذى أقامك من فراشك، وأتى بك إلىَّ فى ظلمة الليل وأذهب إلى غيره ؟ فودعته وانصرفت .

(فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

« موعظة اليوم »

تحدثوا بالقرآن

قال عمر بن عبد العزيز :

اتقوا الله وإياكم والمزاحة ، فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة ، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال .

« فى واحة الشعر »

أخى إن مت نلق أحبابنا فروضات ربى أعدت لنا
وأطيارها رفرفت حولنا فطوبى لنا فى ديار الخلود

« من مواقف الصالحين »

« القاضى يرد شهادة الأمير » :

حكى عن أبى يوسف – رحمه الله – أنه أُشهد عنده أمير من عظماء جيش أمير المؤمنين هارون الرشيد – وكان من أقربائه فلم يقبل شهادته فشكا إلى هارون : فقال هارون : لم رددت شهادته ؟

قال : لأنى سمعته يومًا بين يديك يقول : أنا عبد أمير المؤمنين ، فإن كان صادقًا ، فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذبًا فلا شهادة لكاذب .

فقال هارون : إن شهدتُ فهل تقبل شهادتى ؟

قال : لا ، فقال : ولم ؟

قال:لأنك تتكبر على الله فلا تخرج إلى الجماعة ولا تصلى مع عامة المسلمين ، وهذا تكبر على الله ولا يليق بالعبد هذا ، فتاب هارون على ذلك واتخذ مسجدًا للعامة على بابه وكان يخرج إليه عند كل صلاة .

« يستفتونك »

س : هل يجوز إخراج الزكاة قبل وقت وجوبها ؟

ج : ذهب الشافعى وأبو حنيفة وأحمد إلى جواز ذلك ، وهو إخراج الزكاة قبل وقت وجوبها ، وهو الحول فى : النقود ، والتجارة ، والأنعام .

والدليل على ذلك ما ورد عن على ﷺ :أن النبى ﷺ استسلف صدقة العباس قبل محلها ، وإن كان فى السند قال ، وسئل الحسن عن رجل أخرج ثلاث سنين هل يجزيه ؟ قال : يجزيه ، وعن الزهرى أنه كان لا يرى بأسًا أن يعجل الإنسان زكاته قبل الحول ، وقال مالك : لا يجزئ إخراجها حتى يحول الحول ، وقال بذلك : ربيعة ، وسفيان الثورى وداود . يقول ابن رشد : وسبب الخلاف هل هى عبادة أو حق للمساكين ؟ فمن قال إنها عبادة وشبهها بالصلاة لم يُجز إخراجها قبل الوقت ومن شبهها بالحقوق الواجبه المؤجلة – أى التى لها أجل أجاز إخراجها قبل الأجل على جهة التطوع .

ومثل الزكاة العامة زكاة الفطر ، فالجمهور على جواز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين كما كان يفعل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، وأما قبل ذلك ففيه خلاف .

فعند أبى حنيفة يجوز إخراجها قبل شهر رمضان ،وعند الشافعى يجوز من أول الشهر ، أما عند مالك وأحمد فلا يجوز إلا قبل العيد بيوم ، أم يومين ، والله أعلم .

توصيات عملية :

١- أخرج زكاة فطرك ، واحرص على صلاة العيد فى الخلاء فهى سنة ، أكرم فقراء ويتامى المسلمين فى العيد .

٢- عليك بزيارة الأقارب وصلة الأرحام .

٣- صم ستًا من شوال ، فإنه كصيام الدهر « سنة كاملة » .

٤- لا تكثر الجدل فى أى شأن من الشؤون أيًا كان ، فإن المراء لا يأتى بخير.

٥- اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى ، فإن ذلك من شعائر الإسلام .

الحلقة الخامسة
فى
« حكم الغناء فى الشريعة الغراء »

« فقه امانة »

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى : « لما يئس الصياد من المتعبدين أن يسمع أحدهم شيئًا من الأصوات المحرمة كالعود، والطنبور والشبابة – من آلات الموسيقى – نظر إلى المعنى الحاصل لهذه الآلات فأدرجه فى ضمن الغناء وأخرجه فى قالبه الحسن ، وحسنه لمن قل فقهه ورق علمه وإنما مراده التدرج من شىء إلى شىء » إغاثة اللهفان لابن القيم .

ثم يحار الإنسان فى الغناء الذى يتحدث هؤلاء عن حله وإباحته أهو الذى تعج به الإذاعات المرئية والمسموعة اليوم من وصف الخدود والنهود والتبذل فى وصف المحبوب، والتحلل من مكارم الأخلاق ، وسب القضاء ولعن القدر، وصنع الزعماء المزيفين ؟

حكم الغناء فى الشريعة الغراء

قال ابن القيم – رحمه الله – فى كتابه (إغاثة اللهفان):

ومن مكايد الشيطان ـ عدو الله إبليس ـ ومصايده التى كاد بها من قل نصيبه من العلم و العقل والدين ، وصاد به قلوب الجاهلين والمبطلين سماع « المكاء والتصدية » ، والغناء بالآلات المحرمة ، والذى يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق والفاسق من معشوقه غاية المنى كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسنه لها مكرًا منه وغرورًا ، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه ، فغلبت وحيه ، واتخذت لأجله القرآن مهجورا .

الغناء : نوع من الشعر فى كتب اللغة كلام موزون مقفى ، أوزان عروضية معروفة مقفى لها .

وهذا الشعر ينقسم إلى قسمين : قسم مباح ، وقسم حرام .

أما القسم المباح : وهو ما خلا عن فحش وبذاءة ومنكر ، ولم يحرك الشهوات الساكنة ، والغرائز الكامنة بين الصنفين ، ولم يكن هذا الكلام والشعر المباح من رجل فى حق امرأة ولا امرأة فى حق رجل ؛ لأنه لا يجوز للرجل أن ينشد الشعر المباح أمام النساء ، أو النساء بوصف عام .

وهذا الشعر المباح له خمسة أنواع :

١ - ويكون فى وصف هذا الكون الذى خلقه الله ، إنسان يقول شعرًا يصف الأرض ، والسماء ، والشمس ، والهواء ، ويصف قدرة الخالق العظيم فى هـذا الكون .

الشمس والبدر من أنوار حكمته والبر والبحر فيض من عطاياه
الطـير سـبحه والـوحش مجـده والموج كبره والحـوت ناجـاه
والنمـل تحـت الصـم قدسـه والنحل يهتف حمدا فى خلايـاه

٢- شعر يقوله الحجاج المسافرون لبيت الله الحرام يشوقون أنفسهم لبيت الله الحرام وزيارة نبيه العدنان:

ما الشام مقصدنا كلا ولا حلـب لكـن لمكـة منـا ترحـل النجـب
أم القرى لست أنسـى إذ تقربنـى والدمع من فرحى فى حجرها صبب

٣- أشعار الزهد والفضائل والخير ومكارم الأخلاق :

لقد سأل أبو حامد الخلفانى يوما الإمام أحمد بن حنبل :فقال :يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار ، أى شىء تقول فيها حلال أم حرام ؟ ، فقال: مثل أى شىء ؟ ، قلت: يقولون :

إذا مـا قـال لى ربـى أمـا اسـتحييت تعصـينى
وتخفـى الـذنب عـن خلقـى وبالعصـيان تـأتينى

فقال : أعد على ، فأعدت عليه ، فقام ودخل البيت ورد الباب ، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا مـا قـال لى ربـى أمـا اسـتحييت تعصـينى
وتخفى الذنب عن خلقى وبالعصـيان تـأتينى

فهذا جائز ومباح وليس بغناء .

٤-**أشعار العرس** : وقد أباح لنا الشرع الحنيف ذلك حتى يعلم الجميع أن فى ديننا فسحة .

فقد روى الإمام الطبرانى ، وابن ماجه عن أمنا عائشة رضى الله عنها : أنها زوجت يتيمة من الأنصار وكانت أمنا عائشة فيمن أهداها إلى زوجها قالت ، فلما رجعنا قال لنا رسول الله ﷺ : ما قلتم يا عائشة ؟، فقالت : سلمنا ودعونا بالبركة ثم انصرفنا ، فقال ﷺ : إن الأنصار قوم فيهم غزل .. ألا قلتم :

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيونـــا نحيـــيكم
ولـولا الحنطـة السمراء مـــا حللنـــا بـــواديكم
ولـولا الـذهب الأحمـر مـا سـمنت عـذاريكم

هذا كلام مباح وليحصل فرح بالنكاح ، ولذلك أرشدنا رسولنا ﷺ فروى الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم : عن أمنا عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ قال : « أعلنوا النكاح ، واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف » .

٥-**أشعار الجهاد** : ليحمسوا أنفسهم على التقاء العدو فلا حرج فى ذلك .

ثبت فى سنن الترمذى : عن أنس بن مالك ؓ أن النبى ﷺ : عندما دخل عمرة القضاء ليعتمر كان عبد الله بن رواحة الصحابى من شعراء الرسول ﷺ، فأخذ ينشد الشعر المباح بين يدى الرسول ﷺ :

خلوا بنى الكفـار عـن سـبيله وإلا نقـــاتلكم عـــلى تنزيلـــه
ضربا يزيـل الهـام عـن نقيلـه ضربا يذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب : أبين يدى رسول الله ﷺ وتنشد الشعر ، فقال : دعه يا بن الخطاب ، فوالله إن هذا لأسرع من نضح النبل فى صدورهم .

وهذا شاعر الإسلام [محمد إقبال] وهو يقول عن الرعيل الأول :

بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا ... لم نخش يوما غاشما جبارا
وكأن ظل السيف حديقة ... خضراء تنبت حولها الأزهارا

٦-قد يكون الغناء مندوبا إذا نشط على فعل الخير ، كالحداء فى العمل ، أو حمل شىء ثقيل ، أو التسلية بالغناء الحلال فى قطع المسافات البعيدة ترويحا للنفوس وتنشيطا لها . ومن ثم ارتجز رسول الله ﷺ هو والصحابة فى بناء المسجد وحفر الخندق فقال :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

أما أنواع الشعر المحرم المذموم :

١- **أشعار النياحة** : على الأموات ، والتسخط على خالق الأرض والسماء ولها إلقاء خاص .

٢- **أشعار الهجاء** : والسب ما لم تكن بحق ولا مصلحة ، إما إذا كان لمصلحة فلا بأس به ، فالمصطفى ﷺ قال لحسان بن ثابت فى المشركين : «اهجهم وجبريل معك» .

٣- **الأشعار الشركية** : وهو أن يشبه فيها المخلوق بالخالق فى أفعاله كما قال هذا السفيه فى المعز الفاطمى الباطنى المذل الصعلوك ، فدخل عليه ، وقال :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنـت الواحـد القهـار

٤- **أشعار الغناء** : وهى ما فيها من بذاءة ، وفجور ، وخنا ، ورزالة ، وصيغة الغناء معروفة كل من سمعها يعرف أن ذلك غناء فيه تخنث ، وميوعة، ورزالة، وتدور الأغانـى الدائـرة فى مشارق الأرض ومغاربها حول معانـى هابطـة ، أو مخالفات صريحة للشريعة الإسلامية .

فى الأغانى : الدعوة لعبادة المحبوب :

أليست إحداهن تقول : أنا جئت إلى الدنيا من أجلك وأجل حبك ؟نعوذ بالله من الخذلان والحماقة .

وأليس أحدهم يقول : أحب حبيبى ، وأعشق حبيبى ، وأعبد حبيبى ، فماذا بقى لهم من عبودية الله عز وجل ؟ .

فى الأغانى : الاعتراض على الله ـ تعالى - فى قضائه وقدره :

أليس أحدهم يقول : ليه القسوة ليه ؟ ليه الظلم ليه ؟ ليه يا رب ليه ؟

والله - عز وجل - يقول :﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف] .

وهو القائل : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت] .

فى الأغانى : الاستهزاء من عقاب الله وناره :

أليس أحدهم كان يقول : علشانك أنت أنكوى بالنار ، والقح جتتى وأدخل جهنم وأنشوى ، وأصرخ وأقول يا لهوتى .

فى الأغانى : دعوة للانسلاخ من الأديان ، ودعوة للتوسل والحلف بغير الله، ودعوة لسب الدهر ، فماذا يعجبك فى الأغانى أخى الحبيب بعد ذلك ؟

حديث القرآن والسنة عن الغناء

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان] .

فقد صح ، عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ﷺ : أن لهو الحديث فى الآية هو الغناء ، وأقسم ابن مسعود على ذلك فقال : هو والله الغناء .

وقال الإمام الزمخشرى : واللهو ، كل باطل يلهى عن الخير مثل السمر بالأساطير ، ونحوها .

روى أبو داود ، والنسائى ، وأحمد ، عن عقبة بن عامر ﷺ : أن النبى ﷺ قال: «كل شىء يلهو به الرجل ، فهو باطل إلا : تأديبه فرسه ، ورميه بقوسه، وملاعبته أهله » .

وقال الحسن البصرى : فى الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قال : نزلت فى الغناء والمزامير .

وقال الإمام القرطبى:أما المزامير والأوتار فلا خلاف فى تحريمها وسماعها،

ولم أسمع من أحد ممن يعتبر من السلف ، وأئمة الخلف من يبيح ذلك : وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمور ، والفسق ، ويهيج الشهوات والمجون؟ وما كان كذلك لم يشك فى تحريمه ، ولا تفسيق فاعله وتأثيمه .

وهذه الآية مكية: وقد نزلت فى رجلين أولها النضر بن الحارث ، وكان اشترى جارية فى مكة عندما بُعث النبى ﷺ : فقال : هلموا إلينا عندنا جارية

تقول الغناء أحسن مما يقوله محمد ، والثانى عبد الله بن خطل ، وكان اشترى جارية مغنية تهجو المسلمين ، وقد قتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة.

أما النضر بن الحارث فقتله رسول الله ﷺ فى غزوة بدر دون الأسرى هو وعقبة بن أبى معيط ، فقال : أتقتلنى دون أصحابى من الأسرى ، قال : نعم ستقتل دون أصحابك ؛ لأن من اتخذ جارية تغنى وتصد الناس عن القرآن فحقه القتل .

وقال الإمام الألوسى فى تفسير ﴿ لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ : فى الآية تحريم للغناء بأعلى صوت عند الأخيار .

٢-قال تعالى :﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ ﴾ [النجم] .

روى عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « السمود » هو الغناء بلغة حمير .

يقال : أسمد لنا أى : غنّ لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا .

وقال علماء اللغة : « السمود » معناه : اللهو والهوى ، والغفلة والإعراض عن ذكر الله - جل وعلا .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله : وهذه المعانى الأربعة موجودة فى الغناء .

٣- قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء :٦٤] .

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بصوت الشيطان :الغناء .

فعن مجاهد قال : صوته : الغناء والمزامير واللهو .

وقال الضحاك : صوت المزمار .

وسأل عبد الله بن عمر التابعى القاسم محمد ، ما تقول فى الغناء ؟

فقال : أنهاك عنه ، وأكرهه لك ، فقلت : أحرام هو ؟

فقال : انظر يا ابن أخى ، إذا ميز الله الحق من الباطل فى أيهما يجعل الغناء ؟ قال : فى الباطل .

قال : أرأيت الباطل أين هو ؟ قال : فى النار .

قال : اذهب فقد أفتيت نفسك .

وقال محمد بن المنكدر : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ، أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ، أسكنوهم رياض المسك ، ثم يقال للملائكة : أسمعوهم حمدى وثنائى ، وأعلموهم أن ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [البقرة] .

فهل نزهت نفسك أخى الحبيب عن سماع الأغانى ؟

أما الأحاديث فى ذم الغناء ، فهى متواترة وكثيرة عن نبينا الأمين ﷺ :

١- ثبت فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه : عن عبد الرحمن بن غنم : قال حدثنى أبو مالك الأشعرى : أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحِر [بكسر الحاء وهو الزنا] والحرير والخمرَ والمعازف » .

٢- وفى رواية الإمام البخارى « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها (كأن تسمى ويسكى أو كونياك أو نبيذًا) يعزف على رءوسهم بالمعازف

والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير ، وذلك فى آخر الزمان » والمعازف : آلات الطرب.

٢-وأخرج الإمام الديلمى : عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أمرت بهدم الطبل والمزمار ».

٣-وروى ابن حبان ومسدد : عن أبى هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: «يمسخ قوم من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير» ، قالوا : يا رسول الله ، أهم مسلمون ؟ ، قال : «نعم ، يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ويصومون» ، قالوا : فما بالهم ؟ قال : «اتخذوا المعازف ، والقينات وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرابهم ولهوهم ، فأصبحوا وقد مسخوا » .

٤- ورى الإمام الترمذى : عن أبى موسى ﷺ : أن النبى ﷺ قال : « من استمع إلى صوت غناء ، لم يؤذن له أن يسمع إلى صوت الروحانيين فى الجنة ».

٥- روى الإمام الطبرانى فى معجمه ، وابن أبى الدنيا : عن عبد الله بن عباس، وقال الإمام ابن القيم ولكل فقرة من درجات الحديث لها شواهد من الكتاب والسنة : قال رسول الله ﷺ : « لما أهبط إبليس إلى الأرض وطرده الله ، قال : يا رب أنزلتنى إلى الأرض وجعلتنى شيطاناً رجيما ، فاجعل لى بيتا .

قال : بيتك الحمام .

قال : اجعل لى مجلسا .

قال: مجلسك الأسواق فيها اللغو والغش والخيانة.

قال: اجعل لى طعاما.

قال : كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه .

قال : اجعل لى شرابا ، قال : كل مسكر .

قال : اجعل لى مؤذنا .

قال مؤذنك المزمار .

قال : اجعل لى قرآنا.

قال : قرآنك الشعر القبيح (وهو الغناء) .

قال : اجعل لى كتابا ، قال : كتابك الوشم .

قال : اجعل لى حديثا ، قال : حديثك الكذب .

قال : اجعل لى رسولا .

قال : رسولك السحرة والكهان .

قال : اجعل لى مصايد .

قال : النساء تفتنهم وتفتن بهن » .

إذا فأذان الشيطان المزمار ،وقرآن الشيطان الغناء .. وهذا فى غاية المناسبة ؛ لأن الغناء قرآن الشيطان فيجتمعون ، ويغنون ويقرءون قرآن الشيطان « فلا بد للصلاة من مؤذن ، فهو المزمار الذى يجمع الناس ، والإمام هو المغنى ، والمأموم هو السامعون ، فحزب الشيطان يصلون ، كما أن حزب الرحمن يصلون فمن الذى يخشع ، ترى الأفلام ، والمسرحيات ، والمسلسلات تأخذ ثلاث ساعات ، وترى حزب الشيطان يجلسون فى خشوع وصمت تلبية تامة ، وندعى أننا من حزب الرحمن ، وإذا أطال الإمام الصلاة ، أو الموعظة نقيم الدنيا ونقعدها » .

ورحمة الله على الإمام ابن القيم حين يقول فى كتابه [إغاثة اللهفان]:

تلى الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاهى
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى رأيت عبادة بملاهى
متى علم الناس فى ديننا ... بأن الغناء سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل الحمار ... ويرقص فى الجمع حتى يقع
ويسكره الناى وحب الغناء ... وليس لو تليت عليه ما انصدع

لذلك حرم علماؤنا الكرام الرقص ، والغناء والتصفيق ، بل قالوا بكفر من استحل ذلك ، وبذلك أفتى مكحول الدمشقى إمام أهل الشام .

فتاوى المذاهب الأربعة

اتفق أهل المذاهب الأربعة وسلف الأمة على تحريم الغناء ، وأنه لايتعاطاه إلا فاسق من السفهاء .

١ - يقول الإمام أبو حنيفة - رحمه الله :

إن سماع الغناء فسق وإن التلذذ به كفر ، وجعله الإمام من الذنوب .

وكذلك مذهب أهل الكوفة : سفيان وحماد ، وإبراهيم والشعبى وغيرهم ولا اختلاف بينهم فى ذلك ولا نعلم خلافا - أيضا - بين أهل البصرة فى المنع منه، وقد صرح أصحاب الإمام أبو حنيفة بتحريم الملاهى - كلها ، كالمزمار، والدف ، حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بأنه معصية ، ويوجب الفسق ، وترد الشهادة . وقال : ويجب علم : أن يجتهد فى أن ألا يسمعه إذا مر به أو كان فى جواره .

وقال أبو يوسف أكبر تلاميذ الإمام أبى حنيفة ، وكان قاضى القضاة فى عهد هارون الرشيد : يقول : فى دار يسمع منها صوت المعازف والملاهى ادخل عليهم بغير إذنهم ؛ لأن النهى عن المنكر فرض ، فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض ، قالوا : ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره ، فإن أصر حبسه ، أو ضربه سياطا ، وإن شاء أزعجه عن داره (أى طرده منها) .

٢-أما مذهب الإمام الشافعى – رحمه الله :

فقال فى كتاب [أدب القضاء] : إن الغناء لهو مكروه، يشبه الباطل والمحال ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، ويقول الإمام الشافعى : صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ، وحكى عنه أنه يكره الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعه الزنادقة ، ليشتغلوا به عن القرآن ، وأول من اخترع آلة فى الغناء فى هذه الأمة وهو خبيث من الأخباث وهو أبو نصر الفارابى « اخترع آلة القانون » الذى ختم ابن كثير ترجمته ،وقال : إن مات على ذلك ولم يتب فلعنة رب العالمين عليه .

٣- أما مذهب الإمام مالك – رحمه الله :

فقد سئل الإمام مالك عن الغناء ، وعن ما يرخص أهل المدينة فيه فقال : ما يفعله عندنا إلا الفساق والفجار ، وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان لها ردها ، وهو مذهب سائر أهل المدينة ، إلا إبراهيم بن سعد [المتوفى سنة ٥٨١هـ] وكان تعاطيه للغناء مشهورا مجمعا عليه ، بل كان لا يسمع الطلبة الحديث إلا إذا أسمعهم بعض الغناء نشيدا وتنشيطا وقد تعصب لرأيه وأنكر على من أنكر عليه ، فإبراهيم بن سعد ليس من أهل الاجتهاد وهو شاد مبتدع فى اعتقاده .

٤- أما مذهب الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله :

روى الإمام الخلال فى كتابه (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

فقال عبد الله ابنه : سألت أبى عن الغناء : فقال لا يعجبنى : إنه ينبت النفاق فى القلب ، ثم ذكر قول الإمام مالك : إنما يفعله عندنا الفساق والفجار، ونص الإمام أحمد على كسر آلات اللهو كالطنبور ، والعود والكمان، إذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها .

فقد ذكر الإمام الخلال : مر الإمام أحمد برجل وكان معه عود ، فقام الإمام أحمد وكسره وكان الرجل عبدا لأحد السادة ، فلما وصل لسيده قال له : لقد رأى الإمام أحمد العود فكسره ، فقال :وعرف غلام من أنت ؟ قال : لا ، قال : فأنت حر لوجه الله قال له لماذا ؟قال : لأن الإمام أحمد لو عرفك لفضحنى .

ونص الإمام أحمد فى أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا أن يبيعوها ، فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة، فقالوا: إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفا ونحوها، وإذا بيعت ساذجة لا تساوى ألفين ، فقال :لا تباع إلا على أنها ساذجة .

ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام .

وهذا مصعب بن محمد العابد وكان من الصالحين الكرام وكان الإمام أحمد يحضر مجلس وعظه ودعائه ، كان إذا سمع غناء من بيت قوم يطرق الباب على أهل البيت ، ويقول : أنزلوا إلىَّ هذه الآلة التى تغنون عليها حتى أكسرها ، فإذا أنزلوها كسرها وانصرف ، وإن لم ينزلوها جلس أمام البيت يقرأ القرآن ويبكى فكل من يمر بالطريق يريه مصعب بن محمد من أغضبه ، فيجلسون معه ويسمعون القرآن ، ويبكون ، فيصبح ولهم ضجيج فيضطر ، صاحب البيت إنزال الآلة حتى يكسرها .

لذلك حرم الله الغناء ، وذمه خاتم الأنبياء ﷺ ؛ لأن مفاسد الغناء كثيرة ؛ لأنه يصد عن ذكر الله - عز وجل .

يقول الإمام الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب .

ويقول اليزيد بن الوليد : إياكم والغناء ، فإنه ينقص الحياء ، ويهدم المروءة ، ويزيد الشهوة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم فاعليه فجنبوه النساء حتى لا يزنين .

وقد قال الخليفة الراشد - عمر بن عبد العزيز - لمعلم أولاده : ليكن أول ما يعتقدون من أدبك هو بغض الغناء الذى مبدؤه من الشيطان ، وآخره سخط الرحمن .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - فى كتابه « مدراج السالكين » : إذا انتشر الغناء فى قوم ، وفشت فيهم المعازف يسلط الله العدو عليهم ، ويبتليهم بالجدب والقحط والغلاء وولاة السوء يسومونهم سوء العذاب : وهذا ظاهر للعامة والخاصة .

« موعظة اليوم »

« مصيبة »

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله :

ما ثم مصيبة أعظم من مصيبتنا ، يتلو أحدنا القرآن ليلا ونهارا ولا يعمل به وكله رسائل من ربنا إليه .

« فى واحة الشعر »

يا من أجبت دعاء نوح:«فانتصر» وحملته فى فلكك المشحون
يا من أحال النار حول خليله روحًا وريحانًا بقولك : «كونى»
يا من أمرت الحوت يلفظ يونسًا وسترته بشجرة اليقطين
يا رب إنا مثله فى كربة فارحم عبادًا كله «ذو النون»

« من مواقف الصالحين »

« لأنك ابن أمير المؤمنين »

عن عبد الله بن عمر قال : اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحمى ، فلما سمنت قدمت بها ، فدخل عمر السوق ، فرأى إبلاً سمانًا فقال : لمن هذه ؟ فقيل لعبد الله بن عمر .

فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر : بخٍ ... بخٍ ... ابن أمير المؤمنين قال : فجئته أسعى ، فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟

قال : ما هذه الإبل ؟

قلت : إبل أنضاء « هزيلة » اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغى كما يبتغى المسلمون .

قال : فقال : فيقولون ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ، يا عبد الله بن عمر ، خذ رأس مالك واجعل الربح فى بيت مال المسلمين .

« يستفتونك »

س : هل يجوز للنساء أن يشاركن الأطفال فى ألعاب جماعية فيها بعض الحركات الراقصة ؟ يمسك الأطفال بأيدى بعضهم فى شكل دائرة يرقصون مع الغناء .

ج : إذا كانت هذه الحركات الراقصة من النوع المثير للغرائز المهيج للشهوات ، فلا يجوز أن يقوم النساء بذلك وخصوصًا فى حضرة الرجال الأجانب عنهن ، والأطفال الذين يظهرون على عورات النساء .

أما إذا لم يتحقق فيها ذلك ، وإنما هى مجرد حركات إيقاعية مع حركات الأطفال ، يشاركهن بها لتشجيعهم ، وإدخال السرور على قلوبهم ، وتدريبهم على الألعاب الرياضية التى تقوى الجسم ، وتبهج النفس ، وتبعث على النشاط وبخاصة الألعاب الجماعية التى تغرس فى أنفس الأطفال من الصغر حب التعاون ، وروح الجماعة ، فلا شىء فى ذلك ، والله أعلم .

توصيات عملية :

- إن جهل عليك أحد ، أو شاتمك فقل : إنى صائم .
- لابد للسان من شغل فاشغله بالذكر والتسبيح . وإلا انشغل بالغيبة والكذب ، والفحش من القول .
- المستمع مغتاب ، فلا تجالس المغتابين .
- ادع أقاربك إلى الإفطار فى بيتك تنل أجرين – أجر صلة الرحم وأجر إفطار الصائم .

« وقفة إيمانية »

الحلقة السادسة
فى
« هدى الإسلام فى الطعام »

قال أبو موسى الطويل :

اشتهى شبل المروزى لحمًا ، فأخذه ليحمله فانحطت عليه الحدأة فاختلسته منه ، فنوى الصيام ورجع إلى المسجد ، قال : فأقبلت الحدأة ونازعتها حدأة أخرى ؛ لتغلبها عليه بحذاء منزل شبل ، فسقط منها ووقع فى حجر امرأة شبل فقامت وطبخته .

فلما رجع شبل إلى منزله ليفطر ، قدمت امرأته إليه اللحم ، فقال : من أين لكم هذا اللحم ؟

فأخبرته بالحدأتين وتنازعهما ، فبكى شبل وقال : الحمد لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل ينساه. الحلية ، ١٠/ ١٦١- ١٦٢.

هدى الإسلام فى الطعام

روى الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، وصححه الشيخ الألبانى – رحمه الله – عن المقدام بن معد يكرب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن به صلبه ، فإن كان لا محالة فثُلُث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثُلُث لنفسه » .

أخى الحبيب : هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها ، ومعجزة من معجزات النبوة ،وقد روى ابن أبى ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث فى كتاب [أبى خيثمة] قال : « لو استعمل الناس هذه الكلمات سلموا من الأمراض ، والأسقام ، ولتعطلت المارستانات ، ودكاكين الصيادلة » .

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء، وما قتل البرية ، وأهلك السباع فى البرية إلا إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام .

لذلك خشى علينا رسولنا ﷺ كثرة الطعام ، والتخليط فى أنواع المطاعم والشراب ، فإن الإنسان إذا خلط فى المطاعم والمشارب يصاب بآفات فى بدنه وقلبه ، وفى دينه .

أما عن الآفات التى تصيب الإنسان فى بدنه وقلبه ، فهى :

الآفة الأولى : قسوة القلب :

يقول الفضيل بن عياض - إمام الحرم المكى وشيخ المسلمين فى زمانه - : خصلتان يقسو بهما القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الطعام .

ويقول أبو بكر المروزى وهو تلميذ الإمام أحمد بن حنبل : يقول :

يا إمام ، هل يجد رقة فى قلبه من يشبع ويخلط فى أنواع الطعام والشراب .

فقال الإمام : لا أرى ذلك « أى إذا شبع لم يجد رقة فى قلبه » .

لذلك كان بشر الحافى يقول : اجعلوا بينكم وبين الشهوات حاجزا منيعا لكى تتلذذوا بمناجاة الرحمن - جل جلاله .

وروى عن عمر بن قيس قال : إياكم والبطنة فإنها تقسى القلب .

وقال بعض السلف : كانت بليلة أبيكم آدم أكلة ، وهى بليتكم إلى يوم القيامة .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : (إياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فإنها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فى الطعام والشراب ، فإنه أصلح للجسد ، وأبعد من السرف ، وإن الله ـ تعالى ـ ليبغض الحبر السمين ،وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه) [1].

وفى العجائب للكرمانى :

قال طبيب نصرانى لعلى بن الحسين بن واقد : ليس فى كتابكم من علم الطب شيء ، والعلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان .

قال له : إن الله قد جمع الطب كله فى نصف آية من كتابه .

---

(١) تفسير الألوسى (٨/ ١١٠) .

قال : ما هى :

قال : قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأعراف] .

قال ثابت البنانى - رحمه الله تعالى ـ : بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام فرأى عليه تعاليق من كل شىء ، فقال له يحيى عليه السلام : يا إبليس ما هذه التعاليق التى أرى عليك ؟

قال : هذه الشهوات التى أصيب من بنى آدم .

قال : فهل لى فيها شىء ؟

قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة ، وعن الذكر .

قال : فهل غير هذا ؟ ، قال : لا .

قال : لله على ألا أملأ بطنى من طعام أبدًا .

فقال إبليس – لعنه الله: ولله على ألاَّ أنصح مؤمنا أبدا [1] .

ومن أجل هذا ندب النبى ﷺ إلى التقلل من الطعام والشراب فى أحاديث كثيرة .

الآفة الثانية : عندما يدمن الإنسان الشبع يصاب بالغباوة والبلادة :

ورضى الله عن العبد الصالح لقمان الحكيم كان يقول لولده : « يا بنى إذا امتلأت المعدة خرصت الحكمة » .

الإكثار من تناول الأطعمة والأشربة ، والوصول بالمعدة إلى الامتلاء والتخمة، يؤدى إلى أضرار مهلكة تلحق بالجهاز الهضمى ، والدورة الدموية ،

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (٥٧١) .

ويعرض الهيكل العظمى إلى تشوهات فى العمود الفقرى والساقين ، ويضعف فى الجسم المناعة ، ويزيد من احتمال الإصابة بأمراض مزمنة وقاتلة وهى :

١ - ارتفاع ضغط الدم ، وله علاقة وثيقة بالسمنة ،وكثرة تناول الملح .

٢-أمراض القلب:وتظهر بسبب تناول الدهون الحيوانية ، والكوليسترول.

٣-أمراض السرطان ، ولها علاقة كبيرة بالبطنة ، والإكثار من الأطعمة .

٤-تسوس الأسنان ، بسبب الإكثار من تناول الحلويات والنشويات .

٥-السمنة المفرطة ، وهى أوضح وأشهر الاضطرابات الصحية الناتجة عن كثرة الأطعمة .

الآفة الثالثة : التى تصيب الإنسان فى بدنه وقلبه :

هذه النفس البشرية تنفر وتكون جموح بعد ذلك ، وتنفلت من ابن آدم إلى فعل الرذائل والخبائث ، ولذلك أرشدنا رسولنا ﷺ وأرشد الشباب خاصة إلى الصيام ؛ لتهذيب الغرائز ، أى : صوم النوافل صوم يوم الاثنين والخميس ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر عربى : الأيام القمرية : ١٣ ، ١٤، ١٥ ؛ لأن الشباب قوة ، والقوة عند الشباب كاملة وأقل طعام يحرك الغرائز فليحافظ الشباب على الصيام من أجل أن تخمد الغرائز ولا تتحرك .

فقد ثبت فى الكتب الستة ، ومسند الإمام أحمد ، وصحيح ابن حبان ، ورواه البزار ، والطبرانى فى المعجمين:عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة ؛ فليتزوج فإنه أغض ، للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء ».

أما الآفات التى تصيب الإنسان فى دينه :

الآفة الأولى : أنه يعجل الطيبات :

إنه يعجل الطيبات (والمؤمن هذه الدنيا سجن له) فالدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر ، فإذا استعمل الطيبات فى هذه الدنيا فكيف سيكون حاله عند رب العالمين يوم لقائه،وقد قال الله – تعالى – حكاية عن الكفار:﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى أرض اليمن :« يا معاذ ، إياك والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وعن عبد الله بن شريك ، عن جده : أن على بن أبى طالب ﷺ أتى بفالوذج، فوضع قدامه بين يديه ، فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون طيب الطعم ، لكن أكره أن أعود نفسى ما لم تعتده .

فالذى يتعجل الطيبات واللذائذ سينقص من أجره عند رب الأرض والسماوات .

روى الإمام البيهقى ، عن أمنا عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يصيب عبد من الدنيا إلا نقص من درجته عند الله ، وإن كان عند الله كريما » .

الآفة الثانية : التى تصيب الإنسان فى دينه عندما يدمن الشبع :

فعندما يتعدد الإنسان المطاعم والمشارب ويتجاوز حد الشبع ، هل هل سيحصل هذا من طريق حلال ، وإذا سلم من الحرام المحظور، فلا يسلم من الشبه .

قيل لبشر الحافي ﷺ : وقد سئل عنه الإمام الدارقطنى فقال : جبل ثقة ، وكل ما حدث به فهو صحيح، وقد ذكره الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء فقال : هو شيخ المسلمين فى زمانه : فقد وصل من ورع بشر أنه كان فى عبادان فى غزوة فكان يشرب من ماء البحر ، ولا يشرب من حياض السلطان خشية أن يقع فى جوفه شيء من الشبه .

والسلطان فى زمانهم لو كان فى زماننا هذا لقدمناه فى صلاة الاستسقاء ، وقيل لسفيان الثورى : ألا تشرب من ماء زمزم ، فقال : بِدَلْو مَنْ ؟ فقالوا : بَدَلْو مَنْ ؟ ، فقالوا بِدَلْو السلطان ، فقال : لا أشرب إذا أفسحتم لى أن أشرب بدلوى فلا حرج[1] .

وكان بشر يقول : « ما شبعت منذ خمسين سنة » ، وما ينبغى للإنسان أن يشبع من الحلال ؛ لأنه لو شبع من الحلال لدعاه ذلك إلى الحرام فإذا شك الإنسان فى هذا الشيء ، وعلم أن فيه شبهًا فيتركه ، لكى يأخذ درجة المتقين .

فقد روى الإمام البيهقى ، والترمذى ، والحاكم : عن عطية بن سعد الساعدى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به خوفا مما به بأس » .

يقول إبراهيم بن أدهم عليه رحمة الله - وهو صدوق فى سنن ابن ماجه ، وروى له الإمام البخارى فى الأدب المفرد ، وهو ثقة عند الإمام النسائى ، فهو عندنا ثقة ، فقد قال رحمه الله : من ضبط بطنه ضبط دينه .

وقد أشار نبينا ﷺ لهذا الكلام فى حديثه الصحيح فيما رواه الترمذى والبيهقى ، وابن ماجه ، والحاكم : عن أبى هريرة ﷺ قال : سئل النبى ﷺ عن

(١) انظر كل هذا : حلية الأولياء لأبى نعيم ، وصفة الصفوة لابن الجوزي .

أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : « تقوى الله وحسن الخلق » ، وما أكثر ما يدخل الناس النار ، قال : « الأجوفان (الفم والفرج) فمن ضبط بطنه ضبط دينه » .

أخى الحبيب : اعلم أن المقصود من الطعام أمران :

١ - حفظ الحياة والصحة.

٢ - القوة والنشاط على عبادة الرحمن .

وإذا كان الأكل سببا لتعطيل أحد هذين الأمرين ، أو لتعطيلهما معا فيكون الإنسان آثما ، إذا امتلأت المعدة خرصت الحكمة ، وإذا ملأ الإنسان معدته ستثقل عليه العبادة ، وقد أشار أئمتنا الكرام إلى الحالة التى نعيشها فى هذه الأيام، والله إذا قالوا : إن تسعين فى المائة يسعون لبطونهم ما كذبوا ، فالرجل يجرى كالوحش فى البرية ، لم يا عبد الله ، ألهذا خلقت ؟!

ورحمة الله على العبد الصالح (صفوان بن سليم) الذى توفى سنة ١٣٢ هـ ، أدرك ابن عمر ، وأنس بن مالك وروى عنهم ، يقول عنه الإمام أحمد بن حنبل : بذكر صفوان يرضى عنا رب الأرض والسماء ، وينزل علينا المطر من السماء .

(صفوان بن سليم) أخرج له فى الكتب الستة ، وقال عنه الحافظ الذهبى مأمون ثقة حجة ، وقال عنه سفيان الثورى : حلف صفوان بن سليم ألا يضع جنبه على الأرض ولكن إذا أراد أن ينام ، فكان ينام جالسا إذا غلبه النوم .. ، ولما احتضر وجاءه الموت تقول ابنته : يا أبت ألا تستلقى على الفراش ، فقال : حتى أوفى بنذرى لا أضع جنبى حتى ألقى ربى - جل وعلا ، وكان ﷺ إذا دخل مسجد رسول الله ﷺ صلى ، وخرج ، فكان يبكى ويقول : أخشى ألا

أعود مرة ثانية إلى مسجد النبى ﷺ ، ولما حج ﷺ وكان فى المحمل « صندوق على بعير » يقول الذى فى المحمل الثانى ، ما نام صفوان وهو فى طريقه إلى مكة لا ذاهبا ولا آيبا ، وما وضع جنبه فى المحمل ، إنما كان جالسا يذكر الله - جل جلاله ، ولما حج سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين وصلى فى مسجد رسولنا ﷺ ، وكان عمر بن عبد العزيز أميرا من قبل سليمان على المدينة المنورة فبعد أن سلم سليمان نظر إلى الحاضرين فوجد نور هذا العبد المبارك (صفوان ابن سليم) ، فقال لعمر بن عبد العزيز : من هذا ؟ ، قال هذا صفوان بن أمية ، فأعطى سليمان لحاجبه كيسا من المال فيه خمسمائة دينار ، وقال : أعطها لهذا الرجل ليستعين بها ، وكان صفوان يصلى صلاة النافلة فوقف الحاجب إلى أن أنهى «صفوان » صلاته وأعطاه المال ، وقال : أرسلها إليك الأمير قال : وقد سمانى لك ، قال : نعم ، قال : لعله أراد غيرى ، فقال : لا أرادك أنت ، قال : فاذهب فتأكد منه إن كنت أنا المقصود أخذتها منك ، فقال الحاجب : اتركها حتى أسأله ، فقال (صفوان بن سليم) : لا إن أخذتها منك فقد أخذتها ، فلما ذهب الحاجب بالمال خرج «صفوان » من المسجد وتوارى فى بيته هذه الأيام ، وما خرج صفوان حتى غادر سليمان بن عبد الملك المدينة .

هذا العبد الصالح يتحدث عن حالنا فى القرن الثانى للهجرة فيقول : «ليأتين على الناس زمان همة الرجل بطنه ودينه هواه ، آماله فى هذه الحياة إلا أن يأكل ، ويملأ معدته ، ويتجشأ تجشؤ البقر ،ودينه فى هذه الحياة الدنيا بعد ذلك هواه ».

أخى الحبيب : بهذه البطن يتميز الناس الأكياس عن رزالة الناس : فإذا كان الأمر كذلك فسوف نستعرض لحياة نبينا ﷺ فى معاشه فهو قدوتنا وأسوة لنا فى هذه الحياة ، وسنستعرض لأحوال السلف الصالح .

فكان نبينا ﷺ يأخذ لمعيشته بحال الضرورة ، فهو خير خلق الله جميعًا .

ثبت فى الصحيحين ، ومسند الإمام أحمد : عن أبى هريرة ﷺ : قال : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى توفاه الله .

وقد روى الإمام مسلم ، وأحمد ، والترمذى : عن بشير بن سعد ﷺ : أنه قال للصحابة والتابعين فى آخر حياته : ألستم فى طعام وشراب ما شئتم ، والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يتلوى فما يجد دقلا يملأ به بطنه . (والدقل : ردىء التمر).

وقد ثبت فى صحيح البخارى ، فقد قيل لسهل بن سعد : هل أكل النبى ﷺ النقى من البر ؟ وهو صحيح « القمح » وفى اصطلاحنا نحن الآن (الدقيق الأبيض الفاخر) ، فقال : والله ما رأى رسول الله ﷺ النقى من الدقيق من حين ابتعثه الله إلى أن قبضه إليه وتوفاه .

فقيل له : هل رأى رسول الله ﷺ المناخل التى تنخل الدقيق ، واستعملها لتخرج النخالة ، ويبقى الدقيق الناعم الجيد ؟ فقال سعد : فما كان يعرفه رسولنا ﷺ ولا أصحابه الكرام ،ولكن لما خف الإيمان والإسلام وضعفت قلوبنا فبدأت الدنيا تتوسع فى اللذائذ والمطامع .

فقال سعد بن سهل : والحديث ثابت فى صحيح البخارى : والله ما رأى رسول الله ﷺ منخلا منذ أن بعثه الله حتى توفاه .

وقد روى فى الصحيحين : عن أمنا عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض .

وقد أخرج ابن ماجه ، والترمذى : عن أنس بن مالك : عن النبى ﷺ قال : «لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ،ولقد أُخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما شيء يواريه إبط بلال » .

ولقد ذم الله ورسوله ﷺ من اتبع الشهوات :

قال تعالى :﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم] .

وفى الصحيحين : عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى قوم يشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وروى الإمام الطبرانى ، وابن ماجه ، وقد صححه الشيخ الألبانى فى صحيحه (٣٤٣) : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : تجشأ رجل عند النبى ﷺ فقال : « كف عنا جشاءك فإن أطولكم جوعا يوم القيامة أكثركم شبعا فى دار الدنيا ».

وروى الإمام البيهقى ، وابن ماجه : عن عطية بن عامر الجهنى ، قال : سمعت سلمان الفارسى وقد أكره على طعام يأكله ،وكانت شاة مصلية « أى مشوية » ، فقال : حسبى أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة » .

وقد روى ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيد – الترغيب (٣١٨٤) : أن النبى ﷺ رأى رجلا عظيم البطن فقال بإصبعه : « لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » .

قلت : يدعوه ﷺ إلى الصدقة وإلى ما ينفعه فى دنياه وأخراه، كما روى الإمام مالك والحاكم وصححه - الترغيب (٤٨٠٢) : أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى فى يد جابر بن عبد الله درهما ، فقال: ما هذا الدرهم ؟ قال : أريد أن أشترى به لأهلى لحما قرموا إليه (أى اشتد شهواتهم له)، فقال:أكلما اشتهيتم اشتريتم، ما يريد أحدكم أن يطوى بطنه لابن عمه، وجاره، أين تذهب عنكم هذه الآية قال تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

وقد ثبت فى الصحيحين ، وسنن الترمذى ، وابن ماجه : عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » .

قال الإمام ابن رجب :

والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع فيأكل فى معاء واحد ، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشره والنهم فيأكل فى سبعة أمعاء .

هدى النبى ﷺ وأصحابه فى الطعام والشراب

١ - تطييب المطعم والمشرب واجتناب الحرام واتقاء الشبهات .

روى الإمام مسلم،عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله- تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر،يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب له » .

٢- ألا يعيب طعام قدم إليه :

لما روى الشيخان، عن أبى هريرة ﷺ قال:ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط. إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه .

٣- أن يأكل بيمينه ومما يليه :

لما روى مسلم عن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاما فى حجر النبى ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة (تتحرك فى الإناء) فقال لى رسول الله ﷺ : «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » .

٤- ألا يأكل متكئا :

لما فيه من الضرر الصحى ، وظواهر الكبر.

روى الإمام البخارى : عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا آكل متكئا » .

٥- الأكل من جوانب القصعة دون وسطها :

روى أبو داود والترمذى : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى رسول الله ﷺ بقصعة من ثريد ، فقال : « كلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل فى وسطها » .

٦- الأكل بثلاث أصابع ولعقها عند الفراغ من الأكل :

روى الإمام مسلم : عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع ولا يمسح يده حتى يلعقها .

وروى أبو دواد : عن كعب بن مالك قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان ».

٧- ألا يبدأ يده بالطعام ويوجد من هو أكبر منه :

لما روى مسلم فى صحيحه : عن حذيفة ﷺ قال : كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده .

أما آداب الشراب فهى كما يلى :

(أ) استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثا :

لما روى الترمذى عن ابن عباس ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : « لاتشربوا واحدا كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا شربتم واحمدوا إذا أنتم رفعتم «أى انتهيتم من الشراب» .

(ب) كراهية الشرب من فم السقاء ، لما فيه من خشية الأذى :

روى البخارى والبيهقى : عن أبى هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ: « لا يشرب أحدكم من فم السقاء » .

(جـ) كراهية النفخ فى الشراب :

لما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإنـاء، أو أن ينفخ فيه .

ولا يخفى من هذا النفخ ، والتنفس من الأضرار الصحية ، والمنافاة للآداب الاجتماعية .

(د)الأيمن فالأيمن فى الشرب :

لما رواه البخارى ومسلم : عن سهل بن سعد الساعدى : أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ،وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام: « أتأذن لى أن أعطى هؤلاء ؟ » ، فقال : الغلام : لا والله ، يا رسول الله، لا أوثر بنصيبى منك أحدا ، فتله فى يده رسول الله ﷺ . (وتله : ألقاه).

(هـ) ما يقول إذا فرغ من الطعام :

روى البخارى ، وأبو داود : عن أبى أمامة : أن النبى ﷺ كان إذا رفع العشاء من بين يديه قال : « الحمد لله حمدا كثيرا مباركا غير مكفى ، ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » .

(و) الدعاء لصاحب الطعام :

روى الإمام مسلم : عن عبد الله بن بسر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ أكل عندهم تمرا وسويقا ودعا لهم ، فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » .

وروى الإمام الترمذى ، والنسائى ، والبيهقى : عن أنس بن مالك ﷺ : أن رسول الله ﷺ دعا لسعد بن عبادة ، وأهل بيته بعد أن قرب إليه سعد طعاما، فقال : « أكل طعامكم الأبرار ، وأفطر عندكم الصائمون ، وصلت عليكم الملائكة » .

وهكذا ترى أخى الحبيب : من خلال هذا الهدى النبوى : أن الطعام وسيلة لينة هينة لا تكلف فيها ، أو إسراف تسمو عن أن تكون لذة ، أو شهوة فاعلة ، وترتفع عن تراب الأرض مع أن أصلها من التراب ، وتشارك الروح الجسد قبل الطعام وخلاله ، وبعده بالشكر والتسبيح والتحميد ، لرب رحيم كريم ، ينعم الإنسان فى كيانه كله بالراحة والرضا والعفو والعافية .

اللهم أدم علينا نعمة السلامة ، والإسلام ، والأمن ، والإيمان يا رحيم يا رحمن ، واجعلنا أبر سلف لخير خلف يا رب العالمين .

نصائح عامة لمرضى الكبد الفيروسى

١- تناول سبع تمرات من تمر المدينة على الريق .

٢- تناول كوبين من الزنجبيل يوميا .

٣- عصيات طازجة وخصوصا من الجزر ، أو الليمون يوميا .

٤- تناول كأسا من منقوع العرقسوس ، إلا إذا كان لديك ارتفاع فى الضغط فمرتين كل أسبوع فقط .

٥- تلبينة من دقيق الشعير يوم بعد يوم حساء ، أو شرابا .

٦- كوب من الحليب ، أو اللبن مخلوط عليه فصين ثوم مضروب فى الخلاط.

٧- لايستخدم فى جميع الأكل أى زيت ، أو سمن غير زيت الزيتون .

٨- طبق كبير من السلطة الخضراء المتنوعة مرتين فى اليوم .

٩- يمنع لحم ، البقر والدجاج الأبيض ، والبيض الأبيض .

١٠- لا تأكل إلا لحوم الضأن الصغير ، والدجاج ، والبيض البلدى .

١١- الاعتماد على الألبان للحصول على البروتين ، والمنتجات البحرية .

١٢- عسل النحل لابد أن يحتوى عليه طعام الإفطار ، والعشاء .

١٣- جميع المشروبات الغازية ممنوعة ، وكذا العصائر المحفوظة .

١٤- الخبز الأسمر هو الأساس .

١٥- البعد عن الإثارة والانفعال ، والرضا الداخلى وبتسليم الأمر كله لله والمؤمن مبتلى ، وإذا أحب الله عبدا ابتلاه .

١٦- كثرة الذكر ، وقراءة القرآن ، ومناجاة الله فى السجود وقيام الليل .

١٧- شرب ماء زمزم ما أمكن ذلك .

١٨- البعد عن المنبهات كالشاى ، والقهوة ، والشيكولاتة ، وإن كان لابد فالشاى الأخضر .

١٩- تناول حبتين من خميرة البيرة .

٢٠- حبتان من زيت السمك يوميا .

٢١- الأسماك الطازجة من ٢ - ٣ مرات أسبوعيا .

٢٢- تناول الحبة السوداء ملعقة صغيرة يوميا تمضغ جيدا ، والفم مقفل ، ثم تبلع .

ومن لم يستطع تناول الأشياء الطبيعية مثل خميرة البيرة ، والليمون ، والجزر، فينصح بتناول فيتامين سى ، وبيتاكاروتين ١٠٠,٠٠٠وحدة دولية يوميا لمدة أسبوعين ، ثم تخفض إلى ٢٥٠٠- ٥٠٠٠ وحدة) ويتناول أقراص فيتامين بى المركب .

وختاما : نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يزدنا علما ، وأن يمنع فتنة القول والعمل ، وأن يجعلنا ممن يقولون القول فيتبعون أحسنه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

« موعظة اليوم »

« دعاء بصلاح المسلمين »

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أصلح من كان فى صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ اللهم أهلك من كان فى هلاكه صلاح لأمة محمد ﷺ .

« فى واحة الشعر »

أخى إننى ما سئمتُ الكفاح ولا أنا ألقيتُ عنى السلاح
وإن طوقتنى جيوش الظلام فـإنى عـلى ثقـة بالصـباح

« من مواقف الصالحين »

« تهنئة العز بن عبد السلام »

كان العز بن عبد السلام شجاعًا مقدامًا ، ذهب ذات مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة فشاهد الأمراء ، والخدم ، والحشم يقبلون الأرض أمام السلطان وشاهد الجند صفوفًا أمامه ورأى الأبهة ، والعظمة تحيط به من كل جانب ، فتقدم إلى السلطان وناداه باسمه مجردًا ، وقال : يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئ لك مصر ثم تبيح الخمور ؟ وأضاف الشيخ :

نعم تباح الخمور فى الحاخانات وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ، وأخذ يناديه بأعلى صوته ، والعساكر واقفون :

فقال السلطان : يا سيدى ، هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى .

فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف] .

فأصدر الأمير أوامره بإغلاق تلك الحانات ، ومنع تلك المفاسد ، وشاع الخبر بين الناس ، فسأل أحد تلاميذ الشيخ عن السبب الذى جعله ينصح السلطان أمام خدمه وعساكره فى مثل هذا اليوم الكريم ؟ فقال الشيخ : يا بنى رأيت السلطان فى تلك العظمة فأردت أن أذكره ؛ لئلا يتكبر ، قال : التلميذ: أما خفته ؟ فقال العز : والله يا بنى استحضرت هيبة الله وعظمته ـ تعالى ـ فلم أخف منه .

س : زوجي مريض سكر ولا يمكنه الاستغناء عن الماء ولا عن الغذاء ، فإن صام ، وامتنع عن الماء والغذاء يحصل عنده ضعف ، ولا يمكنه القيام لمباشرة عمله الذي لابد منه منه لعيشه ، فما الحكم ؟

ج : نص الأحناف على أن المريض إذا غلب على ظنه – بأمارة ، أو تجربة أو أخبار طبيب حاذق مأمون – أن صومه يُفضي إلى زيادة مرضه أو إبطاء بُرئه: جاز له الفطر في رمضان ، وكذلك يجوز الفطر للمريض بمرض السكر المعروف إذا كان صومه يفضي إلى عدم قدرته على أداء عمله الذي لابد لعيشه، أو عيش من يعولهم ، وعليه أن يقضي ما أفطره من رمضان في أيام أخر بعد زوال هذا العذر ، فإن تحقق اليأس من زواله وجبت عليه الفدية ، كالشيخ الفاني ؛ بشرط أن يستمر عجزه إلى آخر حياته ، ولا قضاء عليه في هذه الحالة ، والفدية هي إطعام مسكين واحد عن كل يوم غذاء ، وعشاء مشبعين ، أو إعطاؤه نصف صاع من برٍ ودقيق ، أو قيمة ذلك عن كل يوم ومما سبق يعلم الجواب ، والله أعلم .

توصيات عملية :

١- تفقد الفقراء والمساكين ومستحقي الصدقة .

٢- احرص على إخراج زكاة الفطر مبكرًا ، ولا تؤخرها بعد صلاة العيد وإلا كانت صدقة عادية .

٣- شارك بجهدك ، أو بمالك في مائدة الرحمن .

٤- أطب مطعمك ، ولا تستعجل الإجابة بالدعاء .

٥- قدم بين يدى دعائك صدقة واستغفاراً كثيرًا .

الحلقة السابعة

فى

« هدى الإسلام فى النوم »

« وقفة إيمانية »

إذا أجدبت الأرض ، وجف الضرع ، وانقطع الماء عن الزرع ، ومدّ الزرع يد الطلب يستعطى، وَأَمَالَ الرأسَ خاضعًا ، وَخَلَع ثوب الأرض شاكيًا وطالبًا من الله حرارة الشمس ، وبرودة الماء ، ولطف الهواء واحتضن التربة مناديًا إياك بلسان حاله بى مثل ما بك ولم أقبل على غيره وعلتنا متشابهة ولم ألجأ إلى سواه ، خالقنا واحد ، ولم أطرق باب مثلى فتعلم منى.

هدى الإسلام فى النوم

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا
(٤٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩) ﴾

[الفرقان]

يقول سيد قطب – رحمه الله:

(والليل يستر الأشياء والأحياء ، فتبدو هذه الدنيا وكأنها تلبس الليل وتتشح بظلامه فهو لباس ، وفى الليل تنقطع الحركة ، ويسكن الدبيب ، وينام الناس ، وكثير من الحيوان ، والطيور ، والهوام ، والنوم انقطاع ، عن الحس والوعى والشعور فهو سبات ، ثم يتنفس الصبح وتنبعث الحركة وتدب الحياة فى النهار فهو نشور من ذلك الموت الصغير الذى يتداول الحياة على هذه الأرض مع البعث والنشور مرة فى كل دورة من دورات الأرض الدائبة التى لا يصيبها الكلال وهى تمر بالبشر وهم غافلون عما فيها من دلالة على تدبير الله الذى لا يغفل لحظة ولا ينام)[1] .

فالنوم مع أنه يعترى المؤمن ، والكافر ، والتقى ، والفاجر ، ولا ينفك عنه أى كائن من الكائنات الحية ، فهو كالطعام والشراب والشهوة ، ولكن المؤمن عندما يدرك الفائدة والحكم من تسليط الله النوم على بنى آدم فتنقلب العادة فى حقه إلى عبادة .

---

(١) ظلال القرآن ٥ صـ ٢٥٧٠ .

وسوف يدور بحثنا عن أمرين فقط من أمور النوم :

أما عن الأمر الأول : وسيدور حول الفوائد والحكم التي من أجلها خلق الله النوم وسلطه على بنى آدم .

أما عن الأمر الثاني : حول الفوائد والآداب التي يراعى فعلها عند النوم ليكون فى نومك عبادة كما فى يقظتك عبادة .

أما عن الأمر الأول : الفوائد والحكم التي من أجلها خلق الله النوم وسلطه على بنى آدم ، وسيكون فى أربعة أمور كما يريد ربنا العزيز الغفور .

الفائدة الأولى : خلق الله النوم وشرعه على بنى آدم ؛ ليفرق الله بين عز الربوبية وذل العبودية ؛ ليكون النوم فارق بين الخالق والمخلوق ، فالذى لا ينام هو الحى القيوم :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، فالنوم نقص والله - عز وجل - منزه عن هذا النقص .

ثبت فى الصحيحين ، وفى سنن الترمذى: عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع أقواما ويخفض آخرين » .

وثبت فى كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقى مرسلا ومتصلا ، والحديث صحيح لنبينا ﷺ :

أن بنى إسرائيل سألوا نبى الله موسى على نبينا وعليه السلام ، وقالوا : يا موسى ، هل الإله ينام فقال : يا بنى إسرائيل اتقوا الله فأوحى الله إلى موسى أن خذ زجاجتين ، واملأهما بالماء وضع كل زجاجة فى يد وامتنع عن النوم ثلاثة أيام بلياليها ، فلما هجم النعاس على موسى عليه السلام قاوم موسى النوم ، وفى

الليلة الثانية هاجمه النعاس ، فقاومه وفى الليلة الثالثة لم يستطع موسى مغالبة النوم فنام موسى، وهذا جهد البشر فضربت يداه بعضهما البعض فانكسرت الزجاجتان، وخر الماء على الأرض ، فأوحى الله إلى موسى قل لبنى إسرائيل: لو نام الإله (لخرت السموات على الأرض) .

إن رائد الفضاء الأمريكى [بورمل] لما وضع قدمه على القمر كان أول كلمة قالها نادى الله قائلا : اللهم ارزقنا الرؤية الحقيقية حتى نرى الأشياء كما هى ، ولما عاد رائد الفضاء الروسى بسفينته إلى الأرض ، وعقد له مؤتمر صحفى سألوه ماذا رأيت وأنت فى سفينة الفضاء قال : رأيت الأرض كرة معلقة فى الهواء ، ولكن الذى أدهشنى وحيرنى من الذى علقها فى هذا الهواء ... ، والجواب على ذلك يقول الحق سبحانه فى سورة فاطر :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر] .

وقد قرر علماء التوحيد أن نخرج بفائدة من أن الله لا ينام ، فإذا كان كذلك فينبغى أن نراقب الله ولا نعصيه ؛ لأن الله ينظر إلينا فى كل لحظة فاستح منه ، ومن أجل ذلك ، قال رجل للإمام الجُنيد بن محمد القواريرى ـ وهو من أئمة السلف الصالح فى القرن الثالث الهجرى ـ فقال الرجل : كيف أستعين على غض البصر والمحرمات .. قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه .

فإذا أردت أن تنظر إلى محرم ، فاعلم أن الله ينظر إليك قبل أن تنظر إلى ذلك المحرم فهو : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر] .

يا كاتم الذنب أما تستحى   والله فى الخلوة رائيك
غرك من ربك إمهاله   وستره طول مساويك

هذا الذى غرك من ربك أن يمهلك ويستر عليك هذه الذنوب والمعاصى فينبغى للإنسان أن يقدر نظر الرحمن إليه ، فقد ورد فى الكتب السابقة ممن كان قبلنا : « أن العبد إذا أرخى ستره وبارز الله بالعصيان ناداه الله وقال يا عبدى أجعلتنى أهون الناظرين إليك » .

فاعلم أخى الحبيب : أن الله لا ينام ، ولا يغفل عنك طرفة عين ، وهو ينظر إليك فى كل حال ، فاستحى من الله ـ عز وجل : وإذا كنت تعلم بأن الله لا ينام، فينبغى لك أن تشد العزم ، وتناجى ربك ، والناس نيام ، فاغتنم الفرصة، والتقى بربك جل جلاله .

لذلك يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه [المورد العذب] نقلا عن إمام التابعين عبد الواحد بن زيد يقول : ركبنا البحر ذات يوم فعصفت بنا ريح دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر فطالعنا إليها ، وإذا نحن برجل قد عكف على صنم يعبده فقلنا له : ما معنا فى المركب من يعمل مثل هذا ، فأنتم لمن تعبدون؟

قلنا : نعبد الله - عز وجل . قال : ومن هو الله ؟ قلنا : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر قدرته وعذابه ،قال:فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولا بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك،قال : فما فعل برسولكم ؟ قلنا : لما أدى الأمانة وبلغ الرسالة قبضه الله إليه ، قال : أفما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : نعم ترك فينا كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنته ، قال: أرونى إياه ، فأتيناه بالمصحف ، قال : ما أحسن قراءته ، فقرأنا عليه منه شيئا ، فبكى الرجل وقال : لا ينبغى لصاحب هذا الكلام أن يعصى ، دلونى على الدخول فى هذا الدين . فعلمناه فرائض الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه، قال: ثم سألنا أن نحمله فى المركب فحملناه وعلمناه سورا من القرآن فلما جن عليه الليل وأخذنا مضجعنا لننام فقال : يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه

ينام ؟ قلنا : هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فقال : بئس العبيد أنتم لا ينام ربكم ، وأنتم تنامون ثم وثب قائمًا ، فلم يزل باكيًا حتى أصبح .

قال : فلما قدمنا عبادان ، قلت لأصحابى : هذا رجل غريب حديث عهد بالإسلام ، ومن المصلحة أن نجمع له شيئا ففعلوا ومددناه إليه فقال : ما هذا ؟ قلنا له : نفقة تنفقها عليك ، فقال : سبحان الله دللتمونى على طريق لم تعرفوه ، أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر أعبد غيره ولم يضيعنى ، فكيف يضيعنى وأنا أعبده ، وهو الخالق الرازق ؟ ثم مضى وتركناه .

قال : فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع يعالج سكرات الموت فأتيناه وهو بآخر رمق فسلمت عليه، وقلت : ألك حاجة ؟ فقال لى : قد قضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه ، قال : فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة ، فغلبتنى عينى فنمت ، فرأيت فى مقابر عبادان روضة عليها قبة ، وتحت القبة سرير ، وعلى السرير جارية لم أر أجمل منها ، وهى تقول بالله عجل فى جهازه ، فقد طال شوقى إليه ، فانتبهتُ فوجدته قد مات فغسلته وكفنته فلما كان الليل نمت فرأيته وهو فى هيئة حسنة ، والجارية على السرير تحت القبة وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].

الفائدة الثانية من حكم النوم : أنه راحة للأبدان ، فإذا واصل الإنسان العمل والسهر لضعف الجسم ، ولكن من رحمة الله بعباده أن جعل النوم راحة للأبدان قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾ [النبا] أى : راحة للأبدان ، وبذلك أمرنا رسول الله ﷺ والحديث فى الصحيحين : « عندما رأى رسولنا ﷺ حبلا فى المسجد «فقال : لمن هذا » ؟ فقالوا : هذا لزينب بنت جحش وهى من

أمهات المؤمنين – رضى الله عنهن جميعا – فقال رسول الله ﷺ : « حلوه وإذا فتر أحدكم عن العبادة فليجلس أو ليضطجع » وقد أثر عن الإمام على – كرم الله وجهه – كان يقول : « روحوا عن القلوب » .

الفائدة الثالثة : ليكون النوم آية وعلامة على البعث والنشور ، ولقد أوثر عن لقمان الحكيم : أنه قال : يا بنى إن كنت تشك فى الموت فلا تنام ، وإن كنت تشك فى البعث بعد الموت فإذا نمت فلا تستيقظ .

الفائدة الرابعة : فيه تبشير وتحذير لمن كان له قلب ، فيرى الإنسان ما يحذره فى النوم أو يبشره إن كان عنده قلب .

وقد بوب الإمام البخارى باب بهذا الخصوص وسماه [باب قيام الليل] ، وذكر رواية لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يقول : كنت رجلا عزبا وكنت أنام فى مسجد رسول الله ﷺ وكان الصحابة على عهد رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا ، فأقصها على رسول الله ﷺ : يقول فرأيت فى منامى كأن ملكان أخذانى وطارا بى إلى جهنم فرأيتها وعليها قرنان (أى جداران) ورأيت فيها أناسا من المنافقين فعرفتهم ولم يسمهم ـ تأدبًا مع أدب الإسلام – يقول : فأخذت أستعيذ بالله من النار وأقول : أعوذ بالله من النار فجاء ملكان آخران فأخذانى وطارا بى إلى الجنة ، وقالا : لا تخف لست من أهلها . يقول : فلما استيقظت استحييت أن أقصها على رسول الله ﷺ فقصصتها على حفصة أختى زوج رسول الله ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال : « يا حفصة ، إن أخاك رجل صالح لو كان يقوم الليل فما عرض على النار وما رآها » . يقول نافع مولاه : والله ما ترك عبد الله بن عمر قيامًا بعد ذلك حتى توفاه الله ، إذًا فالنوم من حكمه فيه تبشير وتحذير ، وانتفع بذلك عبد الله بن عمر .

ثبت فى الصحيحين : عن أبى هريرة ﷺ : أن رسولنا ﷺ قال :« ما بقى بعد النبوة إلا المبشرات » . قالوا : يا رسول الله ، وما المبشرات قال : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له الرؤيا من الله والحلُم من الشيطان » .

ومن المعلوم عند أئمتنا الكرام : إن الإنسان ما يكتسبه فى نومه خير مما يكتسبه فى اليقظة ، ومن المعلوم عند أئمتنا الكرام أن رؤية الله فى هذه الحياة الدنيا لا يتحقق إلا عن طريق النوم وفقط .. وقد أورد ذلك الإمام الدارمى وفى سنن الإمام النسائى قال رسول الله ﷺ : « من رأى ربه فى المنام فسوف يراه حقيقة » ، وهذا موعد المؤمنين جميعا يوم لقائه ، وقد ورد فى سنة تسع وستين وخمسائة للهجرة فى خلافة العبد الصالح نور الدين محمود زنكى وهو شيخ صلاح الدين ، ولكن محمود زنكى عربى ، وصلاح الدين كردى من الأكراد ذكر هذا الأثر ابن العماد الحنبلى فى كتابه (شذرات الذهب) وهذه منقبة تتعلق بصلاح هذا الأمير يقول : كان نور الدين محمود زنكى نائما وقت الظهيرة فرأى رسولنا ﷺ فى المنام - سبحان الله - كان الأمراء إذا ناموا يرون رسولنا ﷺ وعلماؤنا اليوم إذا ناموا لم يروا رسولنا ﷺ فى المنام .

يقول نور الدين محمود زنكى : رأيت رسولنا ﷺ يقول : يا محمود قم وخلصنى من هذين وهو يشير إلى رجلين أشقرين بصفة مخصوصة ومعلومة ، فنام الأمير،فجاء رسولنا ﷺ مرة ثانية،وقال،يا محمود قم وخلصنى من هذين، ففى المرة الثالثة قام الأمير مفزوعا من نومه واستدعى وزيره ، وقال أحدث فى مدينة رسول الله ﷺ شيئا ؟ فقال :لا أدرى فقال : جهز الجيوش وسنذهب إلى مدينة رسول الله ﷺ ، فلما وصل الأمير إلى المدينة أمر المنادى ينادى على أهل

المدينة رجالا وشبابا أن يخرجوا ؛ لكى يسلموا على الأمير ولم يكن هذه عادة الأمير عندما يذهب إلى المدينة ، ولكن ليرى هذان الرجلان اللذان رآهما فى المنام فخرج أهل المدينة عن بكرة أبيهم شبابا ورجالا ولم ير هذين الرجلان ، فقال : أكل رجال المدينة هؤلاء ولم يبق أحد ، قالوا : إلا رجلان لم يكونا من سكان الحرم ، فقال الأمير : علىَّ بهم ، فلما رآهما قال : من أنتما ، قالا : نحن جئنا للحج والعمرة ، فغلظ الأمير عليهم القول ، وهددهم بالقتل إذا لم يتكلما، فقالا : نحن نصارى وجئنا إلى هنا ؛ لكى نسرق جثمان رسول الله ﷺ فأمر بهما ، فقتلا وذهب فى المكان الذى كانا يسكنان فيه ، فوجدوا بئرًا وبالفعل كانوا قد حفروا سردابا ؛ لكى يصلوا إلى قبر رسول الله ﷺ وكان ما يخرج من التراب فكانا يلقيانه فى البئر ، فأمر به فردم هذا السرداب وتوسل به أهل الخير أن يصنع سورا من الحديد على قبر رسول الله ﷺ حتى لا يعود اللصوص إلى مثله ، وهذه منقبة عظيمة لا تحدث إلا عن طريق النوم .

وقد روى الإمام ابن القيم ـ رحمه الله : فى كتاب (الروح):

قال : كان رجل من أهل السنة ، وكان يشهد صلاة العشاء الآخرة فى مسجد رسول الله ﷺ وكان رجل رافضى خبيث يسب الشيخين أبا بكر وعمر ، وكان له أنصار ، وكان الرجل الموحد لا يقدر أن يدفع عنهما هذا الأذى ، فنام ذات يوم مهموما حزينا، فرأى رسولنا ﷺ فى المنام فقال:مالك حزينا، فقلت: يا رسول الله ، رجل رافضى خبيث يسب الشيخين ـ أبا بكر وعمر ـ فقال، رسولنا ﷺ : خذ هذه المدية (أى السكينة) واذبحه ، يقول : فتمثل لى الرجل الرافضى فى المنام فذبحته فى النوم ، فاستيقظت على أذان الفجر فإذا بالصراخ

والعويل فى بيت الرجل الرافضى ، فلبست ملابسى وخرجت أنظر ماذا حدث، فقالوا : ذبح الرجل على فراشه ، ولا ندرى من الذى ذبحه ، قال : فدخلت لأنظر هل ذبح من المكان الذى ذبحته منه فى المنام أم لا ؟ فوجدته كذلك فقلت : يا عباد الله إن صاحبكم قد مات ولا خلاص لكم .

إذًا ففى النوم تبشير وتحذير لمن كان له قلب .

الأمر الثانى : الآداب التى يراعى فعلها عند النوم :

١ - أن يبكر الإنسان بالنوم ؛ لكى يستعد للقيام قبل أذان الفجر ، فقد ثبت فى مسند الإمام أحمد ، وسنن الترمذى : عن أبى برزة : عن نبينا ﷺ . أنه كان يكره النوم قبل العشاء والسهر بعد العشاء .

أما السهر بعد العشاء فيكون فى ثلاثة خصال :

(١) المذاكرة لطلب العلم .

(٢) الضيف إذا حضر .

(٣) ملاطفة الأهل (الزوجة) ويكون بمقدار يسير ، ولكن لا يستغرق الليل كله ، والسهر فى غير ذلك فهو معصية سيحاسب عليها العبد .

٢ - أن يقدم الإنسان بين يديه التوبة النصوح لله - جل وعلا - وأن يكتب الوصية التى عليه والحقوق ، ويصفى قلبه من البغض ، والحقد والحسد لأحد من المؤمنين .

٣- توضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ

ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ، واجعلهن آخر كلامك ، فإن مت من ليتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيرا) رواه البخارى، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه .

وقد روى الإمام الدارمى ،وابن ماجه : عن أبى هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « من بات طاهرا بات فى شعاره ملك ، فلا يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا » .

٤- « تقرأ آية الكرسى ، وخواتيم البقرة ، والكافرون ، ثم تجمع كفيك وتنفث فيهما ، وتقــرأ الإخلاص ، والمعوذتـين ، ثم تمسح وجهك ورأسـك وما استطعت من جسدك وتكرر ذلك ثلاث مرات » رواه البخارى .

ثم تقول : سبحان الله ، ثلاثا وثلاثين ، والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، والله أكبر أربعا وثلاثين ، فإذا نمت كذلك كان عليك حافظ من الشيطان ، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيرا .

روى الإمام البخارى ، ومسلم : عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ «إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بضفة إزاره ثلاث مرات ، فإنه لا يدرى ما خلف عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

روى أبو داود والترمذى : أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد يضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول : « اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات ».

روى الإمام البخارى ، ومسلم : عن الإمام على بن أبى طالب : أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين فإنه خير لكم من خادم » .

وفى الختام

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

« موعظة اليوم »

« سواد الليل »

قال الفضيل بن عياض – رحمه الله : أدركت قومًا يستحيون من الله فى سواد الليل ، من طول الهجعة إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : هذا لك قومى خذى حظك من الآخرة .

« فى واحة الشعر »

إذا مـا الليـل أظلـم كابـدوهُ فيسـفر عـنهم وهـم ركُـوعُ
أطار الخـوف نـومهم فقـامُوا وأهل الأمن فى الدُنيا هُجُوعُ

«من مواقف الصالحين »

« ببركة لا إله إلا الله » :

كانت فترة الأربعينيات من أخصب الفترات فى تاريخ جماعة الإخوان المسلمين ، حيث شهدت إقبالاً هائلا من معظم فئات الشعب وشرائحه المختلفة على الجماعة وأنشطتها .

وحدث مرة أن كان أحمد محمد حسين باشا – رئيس الكشافة المصرية– وقد دعاه الإمام البنا لحضور استعراض لكشافة الإخوان المسلمين ، فحضر الرجل وشاهد الاستعراض ، ولاحظ وجود تشكيلة من الشباب ، والرجال والعجائز وذوى اللحى ، وكان عددهم كبيرًا يتقدمهم حملة المصاحف الكبرى.

فقال أحمد حسين باشا للشيخ حسن البنا ـ رحمه الله : بالله عليكم كيف جمعتهم كل هؤلاء من أقصى البلاد ؟ إننا فى الكشافة المصرية نقدم لهم كل التسهيلات ، والملابس ، والنفقات ومع ذلك لا يجتمعون علينا إلا بشق الأنفس ، فماذا فعلت مع كل هؤلاء ؟فضحك الإمام البنا وقال لرئيس الكشافة المصرية: شيء يسير جدًا قلنا لهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فجاؤوا على نفقتهم الخاصة .

« يستفتونك »

س : تاجر يريد أن يبيع بضاعة لتاجر آخر - ولكن التاجر الآخر« المشترى لا يملك مالاً ثمنًا للبضاعة فاستدان مبلغا من المال من البنك (طبعًا بفائدة ربوية) والبائع علم بذلك – أن ثمن البضاعة دين من البنك ، فهل يجوز له البيع واستخدام المال ؟ .

ج- الحمد لله . لا يجب على التاجر الذى يتعامل مع الناس بالبيع والشراء ، إذا باع لهم سلعة من السلع ، أن يبحث عن أصل الثمن الذى يدفعون له مقابل السلعة: أمن الحلال هو ، أم من حرام ، فإذا علم بطريق ما أن المشترى اقترض ثمن السلعة من البنك الربوى بفائدة ، فهذا لا يمنع من بيعها له ؛ لأنه المبلغ المقترض أصبح مملوكًا له ومضمونًا عليه .

ولكن لو كان امتناعه عن البيع له يمنعه من الاقتراض بالربا ، فيجب أن يمتنع عن التعامل معه فى هذه الصفقة ، من باب إعانته على البر والتقوى ، وعدم إعانته على الإثم والعدوان .

توصيات عملية :

١- غض بصرك وسمعك عن الحرام ، كما صامت بطنك عن الطعام .

٢- اعقد العزم على الخروج من رمضان معتوقًا من النار .

٣- زر دارًا للأيتام ، واكفل يتيمًا من أيتامها .

٤- اجتهد أن تختم القرآن فى رمضان اقرأه وتدبره ، وأكثر من الصلاة والسلام على النبى ﷺ يوم الجمعة .

٥- اجعل لفلسطين والعراق دعوة يومية عند فطرك فهى لا ترد .

الحلقة الثامنة

فى

« هدى الإسلام فى الحب»

« وقفة إيمانية »

أعد العدو عدته ، وأخذ أهبته ، ووتر سهمه فى كبد قوسه ، ثم أطلقه فأصاب الهدف وما هى إلا لحظات حتى سرى السم إلى الجوارح فصارت جوارح .

اللسان تكلم ، والقدم سعت ، والجسد انتفض ودارت العجلة .

نظرة ... فابتسامة ... فسلام ... فكلام ... فموعد ... فلقاء.

هدى الإسلام فى الحب

الحب .. هذه الكلمة التى ما تكاد تذكر حتى تضوى جوانب النفس البشرية وتهزها هزا ؛ لتستريح على مهادٍ من العواطف النبيلة ترشها كلمة الحب بالعبير ، وتنثر حولها الياسمين ، فلا يرضى المحب إلا أن يغتسل بماء السماء بالماء الطهور تسكبه عليه يد حانية ؛ ليتسامى فوق الديم يرف كالحلم الوضىء يتوضأ بماء المسك ، ويضم من يحب داخل دائرة العطر ، ويحوم به عبر سحابة وردية لا أحلى ولا أجمل .

والآن هيا بنا إلى البحث وسيدور ـ بإذن ربنا الغفور ـ حول هذه الأمور :

أولا : ما معنى الحب ؟

ثانيا : هل اعترف الإسلام بظاهرة الحب ؟

ثالثا : ما الحكمة من الحب ؟

رابعا : ما هى مجالات الحب ؟

خامسا : هل حظر الإسلام الحب وحاربه ؟ هل أدانه وكرهه ؟ هل ضيق عليه وشانه ؟

أولا : ما معنى الحب ؟

الحب هو شعور نفسى ، وإحساس قلبى ،وانبعاث وجدانى ، ينجذب به قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة وعاطفة وبشر ، والحب بهذا المعنى من المشاعر الفطرية المتأصلة فى كيان الإنسان لا انفكاك منه ولا غناء عنه ، وهوقابل فى

كثير من الأحيان ، لتتحكم الإرادة فيه إلى ما هو أسمى وأفضل إن أراد المحب أن يسلك فى حبه مسلكا كريما شريفا عفيفا ، وأن يعيش فى الحياة عيشة الأصفياء الأطهار والمتقين الأبرار .

ثانيا : هل اعترف الإسلام بظاهرة الحب ؟

الإسلام بواقعيته المتجسدة بالفطرة والسلوك والتشريع اعترف بظاهرة الحب المتأصلة فى كيان الإنسان ، بل جسد لنا ـ كما سيأتى تفصيله ـ ثلاث مراتب من الحب : الحب الأعلى ، والحب الأوسط ، والحب الأدنى ، تعامل بها بنو البشر عبر التاريخ ، وخلال العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

والأصل فى مراتب الحب الثلاثة قوله ـ تبارك وتعالى :﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة] .

فالحب الأعلى : حب الله ، والرسول ، والجهاد فى سبيل الله .

والحب الأوسط : حب الآباء ، والأبناء ، والإخوان والأزواج ، والعشيرة .

والحب الأدنى : إيثار حب الأهل ، والعشيرة ، والأموال ، والمسكن على حب الله ، والرسول ، والجهاد فى سبيل الله .

وصفوة القول : إن الإسلام اعترف بظاهرة الحب على أنه فطرة متأصلة فى كيان الإنسان ، لابد منه ، ولا غناء عنه لحكمة أرادها الله ـ عز وجل ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ﴾ [الروم : ٣٠] .

ثالثا : ما الحكمة من الحب :

من هذه الحكم : إن الحب امتحان قاس مرير لسلوك الإنسان ، هذا الامتحان يتجسد فى المسلك الذى يسلكه الحب فى الحياة ، هل سيسلك فى حبه مسلكا شريفا عاليا أم مسلكا دنيئا هابطا ؟ هل يغالى فى حبه أم يعتدل ؟ هل ينضبط فى انجذابه لمحبوبه أم ينفلت ؟كل ذلك سوف يعلم بعد أن يجتاز مرحلة الامتحان .

ومن هذه الحكم : إن ظاهرة الحب إن أحسن توجيهها والاستفادة منها فهى من أقوى الروابط فى تماسك الأسرة ووحدة المجتمع ، وتآلف أبناء الحياة ورفع ألوية الأمن ، والاستقرار ، والسلام فى ربوع الأرض ، وزرع بذور الرحمة والمحبة والمودة فى أنحاء المعمورة .

ومن هذه الحكم : إن ظاهرة المحبة الإيمانية إذا خالطت بشاشتها القلوب ، فإنها تصنع العجائب ، وتحول مجرى التاريخ ، وتشيد فى العالم صرح العزة والكرامة ، وتقيم فى العالمين دولة كبرى لا تغيب عنها الشمس ، كما تحقق ذلك على أيدى الجدود البواسل الأمجاد الأشاوس الذين ما زالت ذكراهم مضرب الأمثال ، وما زالت مآثرهم أغنية الأجيال .

ومن هذه الحكم : إن ظاهرة الحب المتأصلة فى الإنسان من أكبر البواعث فى عمارة الكون ، وتشييد معالم الحضارة ، وانتظام شؤون الحياة ، ولولا الحب لما اندفع أبناء الحياة فى الحياة إلى تحقيق غايتهم ، ولما بنوا فى عصور التاريخ أمجادا ولا حضارة ، ولما حققوا فى عالم الواقع كيانا ولا عزة .

وبالاختصار : لولا ظاهرة الحب لما كان فى الكون حركة ولا إبداع ولا عمران ولا مدنية .

رابعا : ما هى مجالات أو مراتب الحب ؟

سبق أن أشرنا أن القرآن الكريم صور لنا ثلاث ظواهر من ظواهر الحب:

الأولى : ظاهرة الحب الأعلى .

الثانية : ظاهرة الحب الأوسط .

الثالثة : ظاهرة الحب الأدنى .

وسوف نتكلم ـ إن شاء الله تعالى ـ عن كل ظاهرة من هذه الظواهر الثلاثة بشىء من التفصيل ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والسداد والتوفيق فى الأمر كله .

ظاهرة الحب الأعلى :

من المسلم به لدى أهل الإيمان والتقوى أن ظاهرة حب الله ، والرسول ونصرة الإسلام ، والجهاد فى سبيل الله لا يمكن أن يعادلها أية ظاهرة أخرى فى المنزلة والفضل والكرامة ؛ ذلك لأن حب الله والرسول ﷺ وإعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيل الله من مقتضيات الإيمان ومستلزمات الإسلام ، بل هو المنطق فى إعزاز دين الله ، وتبليغ الرسالة رسالة الإسلام فى الأرض ، وتشييد صرح الإسلام فى أنحاء المعمورة ، ولو قلبنا التاريخ بصفحاته ، ونقبنا عن أخبار الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان لرأينا نماذج بشرية رائعة فى الحب والتفانى لله ولرسوله وللجهاد فى سبيله .

فهذه رابعة العدوية التقية النقية الصالحة كانت إذا هزتها نشوة الحب وملكتها لذة المناجاة تمثلت بهذه الأبيات فى وقفة خاشعة مع الله وبين يدى الله سبحانه ، مخاطبة الحق جل جلاله .

حبيبـــى لا يعادلـــه حبيـــب   وما لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وحسى   ولكن فى فؤادى لا يغيب

وكانت إذا هزتها نشوة المحبة وملكتها لذة المناجاة تقول :

فليتـك تحلـو والحيـاة مريـرة   وليتك ترضى والأنام غضـاب
وليت الذى بينى وبينك عامر   وبينـى وبـين العـالمين خـراب
إذا صح الود منك فالكل هين   وكل الذى فوق التراب تـراب

وهذا العارف بالله « الجُنيد » كان إذا ذاق فى قرارة نفسه حلاوة العبادة ، ولذة الطاعة انتشى سرورا ، وقال : والله لو تعلم الملوك ما نحن فيه من لذة وسعادة لجالدونا عليها بالسيوف .

وكأنه – رحمه الله – يريد أن يقول : إن ملوك الأرض مهما استشعروا نشوة الملك ، وعزة السلطان لم يبلغوا النشوة الحقيقية التى بلغها أحباء الله فى مناجاتهم الخالصة وعبادتهم الخاشعة لله عز وجل .

وهذا «ثوبان » مولى رسول الله ﷺ ، كما روى البغوى ، والبيهقى ، كان « ثوبان » شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، فقال له عليه الصلاة والسلام : ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله ، ما بى مرض ، ولا وجع غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة ، فأخاف ألا أراك لأنك ترفع مع النبيين ، وإنى إن دخلت الجنة فأنا فى منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا فنزل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء] .

وروى البيهقى ، عن عروة قال : لما أخرج المشركون « زيد بن الدثنة » من الحرم ليقتلوه بالتنعيم وقد اجتمع فى الطريق « خبيب بن عدى » الأنصارى «وزيد بن الدثنة» فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ، قال أبو سفيان ـ وهو يومئذ مشرك ـ لزيد بن الدثنة: أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن مكانك تضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟

فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وأنى جالس فى أهلى معافى .

فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدًا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدًا .

وقال الحافظ الزرقانى : وفى رواية : أنهم ناشدوا خبيبا ، فقال : والله ما أحب أن يفدينى رسول الله ﷺ بشوكة فى قدمه .

وروى الإمام البيهقى ، وابن إسحاق : أن نسيبة بنت كعب الأنصارية قد قتل أبوها ، وأخوها ، وزوجها شهداء يوم أحد ، فلما أخبرت بذلك قالت : ما فعل رسول الله ﷺ تسأل عن سلامته ، قالوا : خيرا هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (أى كل مصيبة بعد سلامتك هينة) .

وروى ابن عساكر فى تاريخه بسند جيد ، عن بلال بن رباح ﷺ : أنه لما نزل (بداريا) اسم مكان قريب من الشام رأى النبى ﷺ فى المنام بعد وفاته ، وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورنى ؟ فانتبه بلال حزينا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر النبى ﷺ فجعل يبكى ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين – رضى الله عنهما – فجعل بلال يضمهما ،

فقالا له: نتمنى أن نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى المسجد، فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذى كان يقف فيه، فلما قال: (الله أكبر الله أكبر) .. ارتجت المدينة، فلما قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) خرجت العواتق - النساء - من خدورهن، وقلن: أبعث رسول الله ﷺ؟، فما رؤى يوم أكثر باكيا ولا باكية فى المدينة بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم لحنين الذكرى لرسولنا ﷺ وأشواقها.

ثم ماذا عن الطاعة والاتباع: فمن الطبيعى أن من يحب الله - سبحانه - ويحب رسوله العظيم ﷺ محبة قلبية خالصة أن يستجيب لندائهما، ويمتثل ويقف عند حدودهما، وإلا فإنه يكون كاذبًا فى دعوى المحبة ناقضًا عرى الإيمان:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وإليك أخى الحبيب بعض النماذج الخالدة فى صدق الطاعة والاتباع لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ:

١- روى الإمام البيهقى، وأبو نعيم فى (الحلية): أن أبا بكر ﷺ قدم طعاما، فلما تناول منه لقيمات، وذكر له بأن فى الطعام شبهة، فماذا فعل أبو بكر؟ وضع إصبعه فى فمه وأخرج تلك اللقيمات، وقال: والله، لو لم تخرج إلا مع روحى لأخرجتها؛ لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل لحم نبت من حرام، فالنار أولى به»، وأبو بكر هذا أنفذ جيش أسامة بعد وفاة النبى ﷺ وقال للمعارضين قولته الجريئة الخالدة: (والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفتنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم

يبق فى القرى غيرى لأنفذته ، ما كنت أحل عقدا عقده رسول الله ﷺ بيديه) ، وهو الذى قال لعمر ﷺ حين أشار إليه أن يجمع القرآن فى مصحف واحد : (كيف نفعل أمرا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟) .

٢- وهذا عمر ﷺ ، كما روى ابن كثير أراد أن يحدد فى خطبة له مهور النساء، فقامت امرأة من صفوف النساء فطساء سوداء عجوز،وقالت:ما ذاك الحكم؟، فقال لها : لم رحمك الله ؟ قالت : لأن الله سبحانه يقول :﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء :] .

فقال عمر : أصابت المرأة وأخطأ عمر .

روى الشيخان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يقبل الحجر « يعنى الحجر الأسود » ويقول : أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

٣- وروى الإمام مسلم : أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه ، وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده » فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، قال : لا والله وقد طرحه رسول الله ﷺ .

إلى غير ذلك من الأخبار الرائعة ، والنماذج الخالدة التى تبين صدق الطاعة، وفضيلة الاتباع ، وحقيقة المحبة .

ولا شك أن المؤمن الذى ذاق فى قلبه طعم الإيمان ينجذب بكليته إلى حب الجهاد ، ونصرة الإسلام مهما كلفه ذلك من ثمن ، ومهما لقى فى سبيل الله من

ضروب المكاره ، والأهوال ، وكان من ثمرات حب الجهاد والاستشهاد أن انطلق الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان فى مجاهل الأرض ، ومناكب المعمورة يهدون الأمم ، وينشرون الإسلام ، ويحطمون الطواغيت ويطمسون معالم الضلال ، ويرفعون راية الإسلام فى العالمين ، والتاريخ سطر فى صفحاته المشرقة نماذج خالدة عن جهادهم وتضحياتهم وحبهم للشهادة فى سبيل الله .

روى : أن سعد أبا خيثمة - ﷺ - قتل ابنه فى معركة بدر ، فجاء إلى رسول الله ﷺ يقول : لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمت ابنى فى الخروج ، فخرج فى القرعة فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة ، يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها يقول «الحق بنا يا أبتاه ترفقنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا» وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقا إلى مرافقة خيثمة فى الجنة ، وقد كبرت سنى ، ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى ، فادع الله يا رسول الله ، أن يرزقنى الشهادة ومرافقة خيثمة فى الجنة ، فدعا الرسول ﷺ له فقتل فى معركة أحد شهيدا .

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج مع رسول الله ﷺ للجهاد فقال له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد .

فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن بنى هؤلاء يمنعونى من أجاهد معك ، فوالله إنى لأرجو أن أستشهد فى سبيل الله فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد وضع الله - عز وجل - عنك

الجهاد، وقال لبنيه : « وما عليكم ألا تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا .

وقال نعيم بن مالك :يا نبى الله لا تحرمنا فوالذى نفسى بيده لأدخلنها ، فقال رسول الله ﷺ : بم ؟ ، قال نعيم : بأنى أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف ، فقال له الرسول ﷺ : «صدقت واستشهد يومئذ » .

قرأ أبو طلحة الأنصارى فى سورة التوبة حتى بلغ هذه الآية :

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة] ، قال أبو طلحة : يأمرنا الله أن نخرج خفافا وثقالا شبابا ، وكهولا ما سمع الله عذر أحد ، وقال لبنيه : أى بنى جهزونى ، جهزونى (يعنى للجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع النبى ﷺ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك .

قال : جهزونى .. فجهزوه بجهاز الحرب فغزا فى البحر وكان ذلك فى خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، وبينما كان الشيخ المعمر أبو طلحة على ظهر السفينة مع جند المسلمين فى وسط البحر مرض مرضا شديدًا فارق على إثره الحياة ، فطفق المسلمون يبحثون له عن جزيرة ليدفنوه فيها ، فلم يعثروا على مبتغاهم إلا بعد سبعة أيام وأبو طلحة مسجى بينهم لم يتغير فيه شيء كأنه نائم وفى عرض البحر بعيدا عن الأهل والوطن نائيا عن العشيرة والسكن دفن أبو طلحة ، وماذا يضيره بعده عن الناس ؟ ما دام قريبا من الله ـ عز وجل .

ولقد روى فى بعض الغزوات أن الابن وأباه كانا يتسابقان إلى الجهاد فيقرعان بينهما فتخرج القرعة للابن ، فيقول الأب : آثرنى يا بنى ، أنا أبوك ، فيقول الابن : إنها الجنة يا أبت ولو كان شيء غيرها لآثرتك والله .

وكان الواحد من هؤلاء الأمجاد الأشاوس الأبطال إذا سقط فى ميدان الجهاد شهيدا ، قال : وعجلت إليك ربى لترضى .

وكان آخر يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : غدا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه .

وكان ثالث يقول وهو فى ساحة الإعدام والأعداء محيطون به من كل جانب:

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

وكان رابع يقول وهو يسلم روحه إلى بارئها : يا سعد ، الجنة ورب النضر أجد ريحها من وراء أُحد .

إنهم فى الحقيقة جيل فريد لا كالأجيال ، ورجال متميزون لا كالرجال ، وأمة رائدة لا كالأمم إنهم من قدر الله وممن تربوا فى مدرسة محمد رسول الله ﷺ ، وممن أخلصوا فى الطاعة والمحبة والاتباع والعمل .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أما عن ماهية الحب الأوسط :

فهو طاقة من العواطف القلبية والمشاعر النفسية تنبعث من مشاعر إنسان تربطه مع من يحب رابطة العقيدة ورابطة النسب ورابطة القرابة، ورابطة العشيرة ورابطة الصداقة ، فتتوثق بينه وبين أولئك أواصر من المحبة والمودة والرحمة والتعاطف والوفاء .

فانطلاقا من هذه المشاعر القلبية والعواطف النفسية التى أودعها الله فى الإنسان تكون محبة المؤمن لإخوانه المؤمنين ، وتكون محبة الولد لوالديه ، ومحبة الوالدين لأولادهما ، وتكون محبة الزوج لزوجته، ومحبة الزوجة لزوجها ،

وتكون محبة الإنسان لذوى رحمه وقرباه وعشيرته وتكون محبة الصديق لصديقه ، وتكون محبة المواطن لوطنه ومسكنه ، ولا شك أن شريعة الإسلام اعتبرت هذه المشاعر القلبية والعواطف النفسية من الحب فى مرتبة الحب الشريف والعواطف السامية والمشاعر الصادقة المخلصة ، ولكنها من ناحية المنزلة تأتى فى المرتبة الثانية بعد حب الله - جل جلاله - وحب الرسول ﷺ وحب الجهاد فى سبيل الله ذلك لأن محبة الله والرسول والجهاد - كما أوضحنا - لا تعدلها فى الحياة منزلة ، ولا يتصور أن يدانيها فى الشرف والفضل مكانة ، وكيف لا تكون محبة الناس لبعضهم بعضا فى عداد الحب السامى والعواطف النبيلة والعلاقات الاجتماعية كلها ، وانتظام الحياة بأسرها قائمة على هذه المشاعر النبيلة من الحب وعلى هذه العواطف والأحاسيس من المودة ؟ فالحب الأوسط إذن ضرورى من أجل تحقيق مصلحة الأفراد والأسر بشكل خاص ، وتحقيق مصلحة الشعوب والإنسانية بشكل عام .

وشعار الإسلام فى ذلك :

روى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقد روى الشيخان : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

وروى الإمام مسلم فى صحيحه : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره وليكرم ضيفه » .

وروى الطبرانى والبيهقى والبزار : « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعيال الله » .

وقال تعالى :﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ظاهرة الحب الأدنى :

أو إن شئت فقل : الحب الدنىء الخسيس الهابط القاتل لإنسانية الإنسان ، وهذا الحب أقسام وأنواع :

١- منه حب الطواغيت والأنداد من متألهة البشر أو الحجر .

قال تعالى فى سورة البقرة :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

٢- ومنه الإلقاء بالمودة والمحبة لأعداء الله ، قال تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١] .

٣- ومنه الاسترسال فى شهوة الجنس والتقلب فى حمأة الرذيلة والفاحشة ، قال تعالى فى سورة يوسف عليه السلام :﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٠) ﴾ [يوسف] .

وقال فى سورة آل عمران :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

٤- ومنه تفضيل حب الأب والولد والزوجة والعشيرة والتجارة والوطن على حب الله والرسول والجهاد ، قال تعالى فى سورة التوبة : ﴿ قُلْ إِن كَانَ

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

[التوبة]

روى الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين » .

ثم ماذا عن وقوع المؤمن فى الفاحشة والتقلب فى أحضانها ؟

أليس له من تقوى الله رادع ؟

أليس له من مراقبة الله فى السر والعلن والمنقلب والمثوى زاجر؟

أليس له من الموت وما بعده عبرة ؟

أليس له من عذاب الله خشية ؟

وإليكم نموذجان عظيمان فى العفة والتسامى ، والخشية من الله فى السر ، نسوقها للتأسى والاقتداء :

الأول : يوسف عليه السلام شاب فى ريعان الشباب مكتمل الرجولة ممتلئ الفتوة تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال والأبواب مغلقة ، والسبل ميسرة كما حكى القرآن : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء وتلك الفتنة التى تخطف الأبصار ؟ ألانت قناته فاستسلم وخان عرضا اؤتمن عليه ؟ كلا إنما قال : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ، ومكرها وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن

تذيب من صلابته وتضعضع من شموخه وأعلنت ذلك للنسوة فى ضيق وغيظ ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ إغراء وإغواء وتهديد ووعيد قالته المرأة بصريح العبارة ،وهنا خير يوسف بين محنتين محنة فى دنياه ومحنة فى دينه ، فأى المحنتين يختار ؟

كانت محنة دنيا أن يسجن كما هددت المرأة ويكون من الصاغرين وهى قادرة على أن تقول وتفعل لما لها من نفوذ فى تلك الدوائر العليا ، كان مخيرا بين هذه المحنة ، ومحنة أخرى فى دينه بأن يفتن وأن يقع فى حمأة الفاحشة ويكون من الفاسقين ، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين ، ومحنة الدنيا لا تساوى شيئا بجانب محنة الدين ، ولهذا توجه يوسف عليه السلام إلى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ورضى بالسجن ولم يرض بارتكاب الفاحشة ودخل السجن وعاش فيه ما عاش .

هذا هو العفاف ، هذه هى الإرادة الصلبة ، هذه هى الرجولة من أراد أن يتخذ له مثلا عاليا من الشباب فليتخذ من يوسف عليه السلام ، لايتخذ من الممثلين العرب أو الممثلين الأمريكان ، يتخذه من أسامة بن زيد ، من محمد بن القاسم، من محمد الفاتح ، من خالد وعمار ومصعب وسعد ، ومن الشباب المؤمن على مراحل التاريخ .. هذا ما نريده من شبابنا .

الثانى : وهى امرأة فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد فى سبيل الله ، وغاب عنها كثيرًا ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ،وتهجم عليها

هواجس الوحدة ويثور فى عروقها دم الأنوثة ، وتتأجج فيها نار الغريزة فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان ووازع المراقبة لله فى جنح الليل البهيم سمعها عمر ﷺ تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه   وأرقنى ألا حبيب ألاعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه   لحرك من هذا السرير جوانبه

وفى اليوم الثانى دخل عمر على ابنته حفصة وقال لها : كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب ؟ ، قالت : أربعة أشهر ، فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين فى جبهات القتال يأمرهم : ألا تحبسوا جنديا عن أهله أكثر من أربعة أشهر ، كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله ، وبين الدافع إلى إثم الفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان .

خامسا : هل حظر الإسلام الحب وحاربه ؟ هل أدانه وكرهه ؟ هل ضيق عليه وشانه ؟

هيا بنا نتلمس الإجابة فى سيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتابعين بإحسان ﷺ أجمعين :

روى الإمام البخارى : إن مغيثا وبريرة كانا زوجين لكن ما لبثت الخلافات بينهما أن اشتعلت حتى انتهى الأمر بالطلاق ، ولكن مغيثا ندم على ذلك بشدة لأنه لم يستطع أن ينتزع حبها من قلبه وفشل فى أن يخفيه وظل كبده يتحرق شوقا إلى حبيبته فكان يجوب الطرقات وراءها ودموعه تسيل على خديه ، ومن فرط صدق هذا الحب وجماله رق إليه قلب رسول الله ﷺ فذهب إلى بريرة وقال لها : لو راجعتيه فإنه أبو ولدك ، فقالت له : أتأمرنى يا رسول الله ؟ ،

فقال لها : إنما أنا شافع ، قالت : فلا حاجة لى فيه .. فنرى رسول الله ﷺ لم يعنف مغيثا ولا زجره عن إظهار حبه بالصورة التى كان عليها ، وإنما راعى ميل قلبه ، فما رأيك بنبى عظيم لا تشغله هموم الدعوة ومتاعبها عن محاولة الإصلاح بين المتحابين ؟

بل إن فقهاء المسلمين نصوا صراحة على حكم شرعى فى هذا الحديث ، فيقول الإمام ابن الحجر العسقلانى شارح صحيح البخارى : « وترك النكير عليه من الرسول ﷺ بيان جواز قبول عذر من كان فى مثل حاله » .

ونرى سيرة الرسول ﷺ وصحابته احتشدت بالمواقف التى باحوا وصرحوا فيها بالحب دون خوف أو خجل ، ففى الحديث : أن عمرو بن العاص ﷺ سأل الرسول ﷺ من أحب الناس إليك ؟

قال : ﷺ «عائشة » و لا خجل ولا كبر ولا إحراج هكذا كلمة واحدة : عائشة ، فلما قال له عمرو : إنما عنيت الرجال والرسول ﷺ يعلم ما يعنى ، فأراد أن يؤكد على اعتزازه بعائشة ، فقال ﷺ : « أبوها » فهو ينسب الصديق أبا بكر إلى ابنته حبا وكرامة لعائشة (متفق عليه) .

وفى موقف آخر نجد الرسول ﷺ يقول لعائشة حين غارت من حبه لخديجة مؤكدا على شدة حبه لخديجة : « إنى قد رزقت حبها » (رواه البخارى) .

ومن الطريف أن يكون حب الرسول ﷺ لعائشة أمرًا يراعيه الخلفاء وكبار الصحابة من بعده فى تشريعاتهم وفى عملهم ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ المشهور بشدته يراعى حب رسول الله ﷺ لعائشة فيفرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف من العطاء ويزيدها ألفين ، وحين يسأل وما السبب يا عمر ؟ يقول : إنها حبيبة رسول الله ﷺ .

بل إن مسروقا التابعى الجليل : وهو أحد علماء الحديث الكبار كان إذا روى عن عائشة – رضى الله عنها – قال : عن الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول رب العالمين .

والرسول ﷺ يرفض وأد الحب .

روى الحاكم فى المستدرك : عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : يروى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وقال له : عندنا يتيمة خطبها رجلان : موسر ومعسر ، وهى تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر ، فقال رسول الله ﷺ : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » .

فالرسول لم يغضب من رجل يسأله عن قلوب تهوى وتحب ، لم يقل للرجل ما هذه التفاهة ؟ ، ولم يقل له : إن البنت لا تعرف مصلحتها فافعل ما ترى ، ولكنه رق لهذا القلب ولهذا الحب البرىء ، وهو كذلك يدلهم على الحل فى رقى وروعة الزواج ، فالإسلام يرعى هذا الحب، وما من طريق إلا الزواج .

والنجوم بحبيبهم يهتدون :

عرف الصحابة من خلال معايشتهم للرسول ﷺ تقديره للحب ورغبته فى الجمع بين المتحابين والشفقة عليهم فعملوا على إحياء سنته ، والسير على دربه ومنهجه .

فهذا أبو بكر الصديق يسير فى الطرقات ليلا ليتفقد أحوال الرعية ، فإذا به يسمع صوت فتاة تغنى عن الحب وعما أصابها وتبث شكواها أنها لم يجمع شملها مع حبيبها ، فسارع الصديق بطرق الباب ، ففتحت له فقال لها : أنا أبو بكر ، من التى كانت تغنى ؟ ، فأطرقت قليلا ثم قالت : أنا ، فقال : أحرة أم

مملوكة ؟ ، فقالت: بل مملوكة ، قال : فمن هويته ؟ فبكت لكنه أصر عليها حتى أخبرته فما كان منه إلا أن اشتراها من سيدها ومنحها لمن أحبته وأحبها .

وللصديق موقف آخر من الروعة فقد تزوج عبد الله بن أبى بكر من عاتكة بنت زيد ، وكانت جميلة لدرجة أن عبد الله كان لا يفارق منزله إلا لصلوات الجماعة ، فرأى أبو بكر أنها شغلته عن أمور عظيمة مثل : الجهاد فى سبيل الله ، وطلب العلم ومرافقة الرسول ﷺ ، فأشار عليه بأن يطلقها فلم يجد الابن البار بأبيه إلا الامتثال ، فالضغط على قلبه أفضل من عقوق الوالد خاصة إن كان الوالد هو رفيق رسول الله ﷺ فأنى للابن المؤمن أن يعصى والده ، وربما وجد عبد الله فى رأى أبيه صوابا ، واستشعر تكاسله وقعوده عن مرافقة المصطفى ﷺ فامتثل للأمر وطلق زوجته التى هام بها ، ولما فعل هذا حزن عليها حتى سمعه أبوه وهو ينشد ويقول :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها فى غير ذنب تطلق

لها خلق جزل ورأى ومنصب ... على كبر منى وإنى لوامق

أما عمر بن الخطاب الذى ينخدع البعض فيتهمه بالقسوة لقد عرف عنه قوله الرقيق: لو أدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما ، وعروة وعفراء محبان كانا فى الجاهلية وفرق بينهما ، فعمر أمير المؤمنين الذى يتجنب الشيطان سبيله يرق لقصة حبيبين ويعالجهما بدواء رسول الله ﷺ للمتحابين ، وهو الزواج.

بل إن الأعجب من ذلك أن نجد كبار الصحابة وقد أحبوا :

فهذا عبد الله بن عمر العابد الزاهد العالم التقى يحب جارية له حبا شديدا فتعثرت يوما فى مشيتها ، ووقعت ففوجئ من شاهد الوقعة أنه ما احتمل الموقف ، وظل يمسح لها التراب عن وجهها بيديه قائلا : فداك نفسى

وروحى، ثم إنها فارقته ، فكان حزينا لذلك جدا ، وكان حين يتذكرها يقول فيها الشعر ويتهم نفسه بالتقصير فى حق حبيبته ؛ لأنها فارقته فلم يخش أيضا من البوح ولا عن الإعلان عن زفرات قلبه المؤمن .

وهذه النظرة الراقية للحب هى التى جعلت أبا السائب المخزومى ، الذى يصفه ابن القيم بأنه من أهل العلم والدين بمكان يتعلق بأستار الكعبة وهو يقول : (اللهم ارحم العاشقين وقـو قلوبهم ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين) ، فانظر إلى أى مدى وجد هذا العابد العالم أنه فى موقفه هذا يحتاج إلى الدعاء لهذا الصنف من الناس ، فلم يتهمه بالخواء ولا بالفراغ ، ولا صب اللعنات على المحبين ، فسعادتهم الحقيقية فى أن يلتئموا مع أحبابهم .

وهذا أبو الفرج بن الجوزى – رحمه الله : يروى عن أحد العلماء أنه سأل تلاميذه : هل فيكم عاشق ؟ فقالوا : لا ، قال : اعشقوا ، فإن العشق يطلق لسان العِى ، ويفتح حيلة البليد والمختل ، ويبعث على التنظيف ، وتحسين اللباس وتطييب المطعم ، ويدعو إلى الحركة والذكاء والهمة ، وإياكم والحرام .

فالرجل قد حسمها فالحب فعلا يدعو إلى كل ذلك ، ولكن قبل أن تطيش عقول التلاميذ فيما لا يحل حسمها الرجل : وإياكم والحرام ، لتقرع الآذان وتنبه القلوب .

هذا ما عندى ، فما رأيك بنى الحبيب

أود أن أوجز ما خرجت به بعد هذه الرحلة الممتعة وهى الرسالة التى لابد أن يخرج بها كل شاب وفتاة .

إن الحب ليس جريمة بل فطرة نبيلة ، ولكن الحرام هو ما قد يرافقه مما يخرجه إلى دناسة الشهوة ، فتحابا لكن فى النور وبعلم الأهل ، اذهبى إلى أمك، وقولى لها : إن فلانا يريد أن يتقدم ولكن ظروفه لن تسعفه قبل كذا وكذا من السنوات اذهب لأبيك أقنعه بالعاطفة البريئة التى تجتاحك وليتم الحب فى النور، فالحب زهرة بريئة فواحة تحتاج إلى عناية ورعاية ، فليس من مصلحتها أن تنبت فى الظلام أو فى جو خانق مكتوم ، وهى زهرة أكبر من أن ترعاها يداك الصغيرتان فحسب .

وفى مسك الختام :

أثبت كلمة طريفة للكاتب الكبير الأستاذ / على الطنطاوى – رحمه الله – تمثل لونا من الوعى الإسلامى المعاصر للشباب ، فهى نموذج فريد للفهم البصير أسوقها لكم بشىء من الاختصار والتصرف حيث يقول – رحمه الله تعالى – فى رسالة له :

(يا بنى) لماذا تكتب لى على تردد واستحياء ؟ تحسب أنك وحدك الذى يحس هذه الوقدة فى أعصابه من ضرم الشهوة ، وأنك أنت وحدك الذى اختص بها دون الناس أجمعين ؟

لا يا بنى هون عليك فليس الذى تشكو داءك وحدك ولكنه داء الشباب ، ولئن أرقك هذا الذى تجد وأنت فى السابعة عشر فلطالما أرق كثيرين غيرك صغارا وكبارا ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى ، ولطالما صرف التلميذ عن درسه والعامل عن عمله والتاجر عن تجارته .

فماذا يصنع الفتى فى هذه السنوات وهى أشد سنى العمر غليان شهوة واضطراب جسد ؟ ماذا يصنع ؟ هذه هى المشكلة .. أما سنة الله وطبيعة

النفس فتقول له : تزوج ،وأما أوضاع المجتمع وأساليب التعليم تقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ولكن إياك أن تفكر فى الرابعة التى هى وحدها الخير وهى الزواج ،وهذه الثلاث :

١- إما أن تنطوى على نفسك على أوهام غريزتك وأحلام شهوتك تدأب على التفكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة والأفلام الفاجرة والصور العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك وتستأثر بسمعك وبصرك فلا ترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن ، تراهن فى الكتاب إن فتحته وفى طلعة البدر إن لمحته وفى حمرة الشفق وفى سواد الليل وفى أحلام اليقظة وفى رؤى المنام :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

ثم لا تنتهى بك الحال إلا إلى الهوس والجنون أو انهيار الأعصاب .

٢- وإما أن تعمد إلى ما يسمونه (الاستمناء) أو (العادة السرية) وقد تكلم فيه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ، وهو وإن كان أقل الثلاثة شرا وأخفها ضررا لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما كئيبا مستوحشا يفر من الناس ويجبن عن لقائهم ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو فى رباط الحياة .

٣- وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة وتسلك سبل الضلال وتؤم بيوت الفحش تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك فى لذة عارضة ومتعة عابرة، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التى تسعى إليها والوظيفة التى تحرص عليها والعلم الذى أملت فيه ،ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ما تضرب به فى لجج العمل الحر .

ولا تحسب بعد ذلك أنك تشبع ، كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهما كشارب الماء الملح لا يزداد شربا إلا ازداد عطشا ، ولو أنك عرفت منهن آلافا ثم رأيت أخرى ممتنعة عليك لرغبت فيها وحدها وأحسست من الألم لفقدها مثل الذى يحسه من لم يعرف امرأة قط ، وهب أنك وجدت منهن ما طلبت ووسعك السلطان والمال ، فهل يسعك الجسد ؟ وهل تقوى صحتك على حمل مطالب الشهوة ؟ وكم من رجال كانوا أعاجيب فى القوة وكانوا أبطالا فما هم إلا أن استجابوا إلى شهواتهم وانقادوا إلى غرائزهم حتى أمسوا حطاما .. إن من عجائب حكمة الله أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط ، وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض ، ولرب رجل ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف والطهر كشاب فى الثلاثين ، ومن أمثال الإفرنج التى سمعناها وهى حق وصدق (من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته).

وكأنى أسمعك بنى الحبيب تقول : هذا الداء فما هو الدواء ؟

والدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء وهو الزواج ، فإذا لم يتيسر لك فليس إلا التسامى ، وأضرب لك مثالا يوضح لك ما سبق :

أترى إبريق الشاى الذى يغلى على النار ؟

إنك إن سددته فأحكمت سده وأوقدت عليه فجره البخار المحبوس وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة ، أدار لك المصنع وسير القطار وعمل الأعاجيب .

فالأولى : حالة من يحبس نفسه عن شهوته يفكر فيها ويعكف عليها .

الثانية : حالة من يتبع سبل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

الثالثة : حال المتسامى (المستعفف) .

فالتسامى : هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحى أو عقلى أو قلبى أو جسدى يستنفذ هذه القوة المدخرة ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق فى العبادة أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس فى البحث أو بالتفرغ للفن والتعبير ، أو بالجهد الجسدى والإقبال على الرياضة والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية والإنسان يا بنى محب لنفسه لا يقدم أحدًا عليها فإذا وقف أمام المرآة ورأى استدارة كتفيه ومتانة صدره وقوة يديه كان هذا الجسم الرياضى المتناسق القوى أحب إليه من جسد أنثى ولم يرض أن يضحى به ويذهب قوته ويعصر عضلاته ويعود جلدا على عظم من أجل سواد عينى فتاة ولا من أجل زرقتها ، فالحل هو الزواج ، فإن لم يمكن فالتسامى ، ولا تستح مما تجد من حر هذه الشهوة التى ركبها الله فى النفس إنها علامة القوة و الأيد والشباب وعليك بالزواج .

ولو أنك طالب للعلم لا تزال فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله والانغماس فى العبادة وقراءة القرآن والذكر والعبادة وحضور مجالس العلم ، وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج .

والله أسأل أن يرى شبابنا الحق حقا ويرزقهم اتباعه ويريهم الباطل باطلا ويرزقهم اجتنابه ، وأن يبصرهم دائما طريق الحق والهدى والرشاد إنه أكرم مأمول وخير مسئول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

« موعظة اليوم »

كانت حفصة بنت سيرين تقول :

« يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب » .

« فى واحة الشعر »

فلسطين نادت فلبـوا النـدا   وهبوا أسودًا وكونوا الفـدا
ففى أرضها قد تمادى العدا   وحل الضلال محـل الهـدى
دعانـا الجهـاد ليـوم الفـدا   فجئنـا سراعًـا نمـد اليـد

فلسطين نادت فلبوا الندا

« من مواقف الصالحين »

« قوة سعيد فى الحق »

صلى الحجاج بن يوسف مرة بجنب سعيد بن المسيب وذلك قبل أن يلى الحجاج شيئًا – فجعل الحجاج يرفع قبل الإمام ويقع قبله فى السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه – وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة – فمازال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد فقال له :

يا سارق ، يا خائن ، تصلى هذه الصلاة لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك فلم يرد الحجاج عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائبًا على الحجاز ، فلما قتل ابن الزبير كر راجعًا إلى المدينة نائبًا

عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج ، فخشى الناس على سعيد فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟

فضرب سعيد صدره بيده ، وقال : نعم .

قال الحجاج : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرًا ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك ، ثم قام ومضى .

« يستفتونك »

س : إنى شاب لم أتزوج فأيهما أفضل الحج أم الزواج ؟

ج : لاشك أن الحج فرض لازم على كل مستطيع كما قال الله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران] .

ووجوبه على الفور عند جمهور الفقهاء يحرم تأخيره عن أول فرصة ، والزواج مشروع ، ومرغب فيه بالآيات والأحاديث الكثيرة غير أن الفقهاء قالوا : إنه قد يكون واجبًا وقد يكون مندوبًا فهو واجب على من وجد نفقته وقدر على تبعاته ، وخاف العنت « أى الوقوع فى الفاحشة » إن لم يتزوج بأن كانت حالته طبيعية ، وعنده القدرة على ما يكف به نفسه عن الفاحشة إن أخر الزواج .

وعلى هذا نقول : إن كان الزواج واجبًا قدمه على الحج ، لأنه لو لم يتزوج وقع فى الفاحشة والحج قد يكون واجبًا على المستطيع ومن الاستطاعة وجود مال زائد على حاجته الضرورية ، ومن حاجته الضرورية الزواج فى مثل هذه الحالة وبخاصة أن الحج واجب على التراخى عند بعض الأئمة ، يعنى لو أخره سنة لا يأثم بذلك : وإن كان الزواج مندوبًا قدم الحج عليه لضرورة تقديم الواجب على المندوب ، والله أعلم .

توصيات عملية :

١ – قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف .

٢-احرص على صلاة التراويح فى مسجد يختم القرآن .

٣- تابع أخبار إخوانك فى فلسطين والعراق ، واقتطع من راتبك نصيبًا شهريًا ترسله لهم .

٤ – لا تمزح فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجد .

« وقفة إيمانية »

الحلقة التاسعة

فى

« مع الذاكرين الساجدين »

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه : يا أبت أى الخصال خير للإنسان؟ قال : الدين ، قال : فإذا كانت اثنتين قال : الدين والمال ، قال : فإذا كانت ثلاثًا ،قال : الدين والمال والحياء ، قال : فإذا كانت أربع خصال ، قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق،قال : فإذا كانت خمسًا ، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء ، قال : فإذا كانت ستًا قال: يا بنى ، إذا اجتمعت الخصال الخمس فهو تقى نقى ولله ولى ، ومن الشيطان برىّ .

مع الذاكرين الساجدين

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾ [الحج] .

لا يعيش المؤمن بمفرده فى هذا الكون ولكن كل المخلوقات تسبح معه وتسجد معه لله رب العالمين ، وكأن الجميع فى منظومة واحدة تسبح بحمد الله وتقر بوحدانيته لا يشذ عنها إلا من جحد بآيات الله .

والآية التى بين أيدينا بينت أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض فهذا إجمال علمنا من خلاله أن كل مخلوق يسجد لله ، ولكن تأكيدا على هذا المعنى يأتى التفصيل ، فالشمس بعظمتها وقوتها والقمر ببهائه وضيائه ، والنجوم بكثرتها وتعددها ثم الجبال بشموخها ورسوخها ، والشجر بأغصانه وأنواعه ، وكل الدواب من عالم الطير والبحار والحيوان والحشرات... الكل يسجد لله الواحد القهار لم يستثن منهم مخلوقا حتى وصل إلى الناس فحدث الاستثناء ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾.

فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك ، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب فى هذه الأرض التى يعيش عليها الإنسان ، إذ بتلك الحشود كلها فى موكب خاشع تسجد كلها لله وتتجه إليه وحده فى وحدة

واتساق إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذى يتفرق ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ فيبدوا هذا الإنسان عجيبا فى ذلك الموكب المتناسق وهنا يقرر أن من يحق عليه العذاب فقد حق عليه الهوان ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ فلا كرامة إلا بإكرام الله ، ولا عزة إلا بعزة الله ، وقد ذل وهان من دان لغير الديان .

فهذه الشمس يقول عنها الرسول ﷺ فيما ورد فى البخارى ،ومسلم عن أبى ذر ﷺ قال : قال لى رسول الله ﷺ « أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم قال : « فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعى من حيث جئت ».

وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « قرصت نبيا من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه ، أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ فهلا نملة واحدة » .

ثم يؤكد القرآن على هذا المعنى فى آيات كثيرة ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل] .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء] .

فإن الله سبحانه خلق الإنسان لإعمار الأرض وفق منهج الله وأرسل له الرسل وأنزل الكتب ليبين للناس فمن تبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى لأنه

انسجم مع الكون كله ، ومن أعرض عن منهج الله فهو وحده فى هذا الكون يتخبط فى الظلمات وقد هان على الله وليس له مكرم من دون الله ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨) ﴾

[فصلت]

فإن أشرف ما يمر بالخاطر ، وأنضر ما يتحرك به اللسان ، وأزكى ما يؤثر فى الأخلاق والمسالك هو ذكر الله سبحانه وتعالى ... فإن الذكر يسدد خطوات الإنسان على طريق الحياة الصحيحة ، وينصره بالرسالة التى خلق من أجلها ، ويجعله عبدا يرتفع فى مستواه إلى الملأ الأعلى .. والذكر ليس حالة عضوية ولكنه حالة نفسية ومعنى أنه ليس حالة عضوية أن الله يقول للإنسان : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف : ٢٤] ولم يقل له : واذكر ربك إذا سكت ولكن هناك من يذكرون ربهم وقد عجزوا أن يفهموا معنى الذكر فهم يظنون الدين لغوا على الألسنة وربما فهموا الذكر مجالس جذب ووثب وقفز ثم قلوبهم بعد ذلك بعيدة عن استشعار جلال الله وإدراك هيبته ، فالذكر يجعل الإنسان فى حال من الصحو واليقظة والإحساس بوجود الله سبحانه وتعالى وبرقابته وبشهوده الذى لا يخبوا سناه على كل ذرة فى الكون وكما قالوا فى علم الطبيعة : (إنه لا مجال للفراغ ، بمعنى أن الإناء إذا كان ممتلئا بالماء ، وإذا خلا من الماء فهو ليس فارغا ، إنه مملوء بالهواء ، لا فراغ فى الطبيعة) .

كذلك أوعية القلوب ، إن هذه الأوعية لا تعرف الفراغ ، فإذا لم تملأه بذكر الله امتلأت بوساوس النفس وهواجس الشيطان ومغريات الهوى ، إذا لم تكن لديك الطاقة التى تحرك جوارحك فى طريق الاستقامة فإن الجوارح ستتحرك ولكن على طريق آخر ، فإنه لن يترك القلب فارغا بل سيتحرك بشىء ما فإن لم

يتحرك بذكر الله تحرك بغيره ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف] فمن لم يملأ الرحمن قلبه ملأ الشيطان قلبه ، لا فراغ ، إذن لا بد من أن نراقب أنفسنا حتى يبقى الذكر دائما ملء قلوبنا ولذلك كلفنا بهذا الذكر ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [ص].

تضرعا : تذللا ، خيفة : رهبة ، دون الجهر من القول : أى لا تزعق فإن الزعيق يضيع العقل .

ولذلك عندما ذكر بعض الناس – وهم سائرون فى الصحراء – بصوت عال قال لهم النبى ﷺ : « أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إن الذى تدعونه سميع قريب » رواه البخارى فى الدعوات .

وللذكر وسائل أو طرق شرعية ، نبدأ فنتعرض لها ونحصى ما أقدرنا الله عليه ، فإنه يذكر بالله وبعظمته وبحقوقه وبما ينبغى له ، ويبنى الصلة به على الرغبة والرهبة والوعد والوعيد ، وقد قال تعالى :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص] .

فالقرآن كتاب تذكير إذا نسى الفكر ، وكتاب إيقاظ إذا نام القلب ، وكتاب تسديد على الطريق إذا اعوجت الخطا وزاغ الإنسان عن سواء السبيل .

ومن هذه الوسائل : الصلاة ...

فالصلاة أساس لتذكير الإنسان بربه ، فهى – أولاً – أفعال تضمنت كل ما يحيا به العظيم ، كان الناس قديما يحيون العظماء تارة باليد وتارة بالوقوف ، وتارة بالركوع ، وتارة بالقعود المهذب، وتارة بالسجود ، مُنع هذا كله للناس ،

وجُمع هذا كله لله ، فبين يدى الله يقوم الإنسان قانتا ويركع ويسجد ويجلس ويحيى ربه ، وهو فى قيامه يقرأ القرآن ، وفى ركوعه وسجوده يسبح بحمد الله العظيم أو بحمد الله الأعلى .

ومثل هذه الصلوات تشبه أن تكون وجبات روحية دسمة ضخمة توجه الإنسان طول يومه إلى أن يبقى فى حضرة ربه وإلى أن يستمد منه ، وإلى أن يتقيه ويخشاه ، وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت] . يعنى أن ما تورثه الصلاة من ذكر الله ، وما تتركه من طابع نقى مشرق على ضمير الإنسان يجعل الإنسان أنأى وأبعد من الإلمام بالدنايا والهبوط إلى الحضيض لأن الصلاة وذكر الله أكبر من ذلك .

من هذه الوسائل (المأثورات) :

وقد ورد أن النبى ﷺ كانت له مأثورات كثيرة : قبل أن يأكل وبعد أن يأكل، قبل أن يلبس وبعد أن يلبس ، قبل أن يذهب إلى الخلاء وبعد أن يذهب إلى الخلاء ، قبل أن ينام وبعد أن ينام ، كانت أحواله كلها ذكرا ، فهو يتقلب فى أشعة متجددة لا تنتهى أقباسها ولا تخمد أنفاسها من شعور موار بذكر الله لا ينتهى أبدا ، وهى حياة انفرد بها خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ... كان إذا نام قال : « باسمك رب وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » رواه البخارى فى الدعوات.

وتارة إذا نام يقول :« اللهم إنى أسلمت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت » رواه البخارى فى الوضوء .

وكان إذا لبس ثوبا جديدا قال : « الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة » رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى.

وكان إذا طعم قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » رواه أبو داود ، والنسائى ، وأحمد .

وكان إذا أصبح قال : « أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور » وإذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه المصير » .

فمن الذكر – الذى هو ركن فى الدين – أن يحب الإنسان ربه أكثر مما يحب ماله عندما يطالب بإخراج الركن الشرعى وهو الزكاة .

معنى ذكر الله هنا : أولا : ذكر أمره ، ثانيا : ذكر وعده ، فقد وعد بأن ما يخرجه من مال سيرتد إليه حتما لأنه قال :﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[سبا] .

وحلف النبى ﷺ فقال : « ما نقص مال عبد من صدقة » رواه الترمذى .

ومعنى هذا الذكر أنك يوم ترفض إخراج الركن فأنت أولا : لا تعترف بحق الله ، وأنت ثانيا :تكذب وعده ... ولذلك قال جل شأنه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون] .

أخى الحبيب :

المحب لله طائر القلب ، كثير الذكر ، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل شوقا .

قال الإمام الجليل ابن القيم - رحمه الله :

(فمحبة الله تعالى ومعرفته ، ودوام ذكره الركون إليه ، والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين) .

فمن شاء أن يسكن رياض الجنة فى الدنيا ، فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة .

روى الإمام الترمذى ، عن جابر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس ، ارتعوا فى رياض الجنة » قلنا يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر ، ثم قال : « اغدوا وروحوا واذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » .

ودور الجنة تبنى بالذكر ، وكذلك زرعها ينبت بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء والفرش .

وروى ابن أبى الدنيا وله شواهد ، عن ابن مسعود ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : « فقال لى : يا محمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

فالذكر غراسها وبناؤها .

قال الحسن البصرى عن بناء الملائكة لدور الجنة : بالذكر بأبى أنتم وأمى ، أعينوهم على العمل .

وكان أحد العباد يستشعر حضور الملائكة لمجالس الذكر فيقول حين يشرع فى ذكره : أهلا بملائكة ربى ، لا أعدمكم اليوم خيرا ، خذوا على بركة الله .

والله يباهى بالذاكرين ملائكته .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج معاوية ﷺ على حلقة فى المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى . فقال : آلله، ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ، ما أجلسنا إلا ذاك .

قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة بكم ، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه،فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا ، قال : « آلله ، ما أجلسكم إلا ذاك » ، قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : « أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتانى جبريل ، فأخبرنى أن الله تبارك وتعالى يباهى بكم الملائكة » .

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر ، ومكانة الذكر عنده .

أنواع الذكر :

قال ابن القيم – رحمه الله: الذكر نوعان :

الأول : ذكر أسماء الرب – تبارك وتعالى – وصفاته والثناء عليه بهما ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به – تبارك وتعالى – وهذا أيضا نوعان :

أحدهما : إنشاء الثناء عليه بهما من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور فى الأحاديث نحو : «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، سبحان الله وبحمده ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » ونحو ذلك .

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو : « سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ،وزنة عرشه ، ومداد كلماته » فهذا أفضل من مجرد (سبحان الله).

ثانيها : الخبر عن الرب – تعالى – بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم وهو أرحم بهم من آبائهم.

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به عليه رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل .

وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد .

فالحمد لله : الإخبار عنه بصفات كماله – سبحانه وتعالى – مع محبته والرضا به فلا يكون المحب الساكت حامدا ،ولا المثنى بلا محبة حامدا ، حتى تكتمل له المحبة والثناء ، فإن كرر المحامد شيئا بعد شىء ، كانت ثناءا ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كانت مجدا .

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول الفاتحة ، فإذا قال العبد :

(الحمد لله رب العالمين) .

قال الله : حمدنى عبدى .

وإذا قال : (الرحمن الرحيم) .

قال : أثنى على عبدى .

وإذا قال : (مالك يوم الدين) .

قال : مجدنى عبدى .

الثانى : ذكر أمره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضا نوعان :

أحدهما : ذكره بذلك إخبارا عنه أنه أمر بكذا ،ونهى عن كذا ، وأحب كذا ، وسخط كذا ، ورضى كذا .

الثانى : ذكره عند أمره فيبادر إليه وعند نهيه فيهرب منه فذكر أمره ونهيه شىء ، وذكره عند أمره ونهيه شىء آخر .

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر ، فذكره أفضل الذكر ،أجله وأعظمه .

قال ابن القيم : فهذا الذكر من الفقه الأكبر وما دونه أفضل الذكر ، إذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه ، ذكر بآلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده ، وهو أيضا من أجل أنواع الذكر .

من أحوال الذاكرين :

أ- ماهان العابد (يسبح على خشبة الموت) .

جاء فى كتاب (صلاح الأمة ٣-٨٤) :

(أمر الحجاج - الثقفى - بصلب « ماهان العابد » فرفع على خشبة وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعا وعشرين فبقى شهرا بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة) .

ب- خالد بن معدان (يسبح على خشبة الغسل).

شيء عجيب حقا ... أرأيتم رجلا يسبح بعد موته ؟

قال سلمة بن شبيب :

(كان خالد بن معدان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات ، ووضع على سريره ليغسل ، جعل بأصبعه كذا يحركها، يعنى بالتسبيح) (الحلية ٥ - ٢١٠) .

قلت : كان خالد - رحمه الله - شيخ أهل الشام أدرك سبعين صحابيا من أصحاب النبى ﷺ ومن أقواله :

(لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس فى جنب الله أمثال الأباعر ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر) .

فيا أخي الحبيب :

أفضل الأعمال : (أن تموت ولسانك رطب بذكر الله) هذه هى وصية نبيك محمد ﷺ فعض عليها بالنواجذ ولا تكن من الغافلين .

« موعظة اليوم »

« لأنك تابع »

عدا كلب وراء غزال ، فقال الغزال : إنك لن تلحقنى ، قال الكلب : ولم ؟ قال الغزال : لأنى أعدو لنفسى ، وأنت تعدو لصاحبك .

« فى واحة الشعر »

ألا يا دعـوة القـرآن عُـودى   مظللـة ربـوع العالمينـا
ألا يا شرعة الرحمن سـودى   مبـددة فلـول الظالمينـا
ألا يا نصرة الـديان جُـودى   بتحطيم البغاة الآثمينا

« من مواقف الصالحين »

« أحيانى أحياه الله » :

صعد أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما على المنبر يومًا فقال : إنما المال مالنا ،والفىء فيؤنا ، فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه ، فلم يجبه أحد ، فلما كان فى الجمعة الثانية ، قال مثل ذلك ، فلم يجبه أحد ، فلما كان فى الجمعة الثالثة قال مثل مقالته ، فقام إليه رجلُ ممن حضر المسجد فقال : كلا، إنما المال مالنا والفىء فيؤنا ، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا.

فنزل معاوية ﷺ فأرسل إلى الرجل ، فأدخله فقال القوم : هلك الرجُل .

ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس : إن هذا أحيانى أحياه الله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون بعدى أُمراء يقولون ، ولا يرد عليهم ، يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القرود » .

وإنى تكلمت أول جمعة فلم يرد على أحد فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت فى الجمعة الثانية ، فلم يرد على أحد ، فقلت فى نفسى : إنى من القوم . ثم تكلمت فى الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد على فأحيانى أحياه الله .

« يستفتونك »

س : أحيانًا أصلى منفردًا فأقرأ فى الصلاة الجهرية بصوت منخفض ثم يأتى رجل يقتدى بى ، فماذا أفعل ؟ هل أعيد الفاتحة مرة أخرى أم أكمل حيث أنا؟

ج: لو خافت المصلى ببعض الفاتحة أو كلها أو كان منفردًا ثم اقتدى به رجل أعادها جهرًا ، وقيل لم يُعد وجهر بما بقى من الفاتحة أو السورة كلها أو بعضها: وقال العلماء : رجل صلى وحده فجاء رجل واقتدى به بعدما قرأ الفاتحة أو بعضها ، يقرأ الفاتحة ثانيًا ويجهر » : وقيل : « إذا شرع منفردًا فى صلاته وكانت جهرية يقرأ الفاتحة مخافتًا ثم اقتدى به جهر بالسورة إن قصد الإمامة وإلا فلا يلزمه الجهر » كما ذكر أنه إذا سها الإمام فخافت فى الفاتحة ثم تذكر يجهر بالسورة ولا يعيد ، وهذا رد على القول بإعادة الفاتحة لأن تكرار القراءة عمدًا يوجب الكراهة كما تقرر ، ثم القول بها ليس بواجب بل هو أولى كما لا يخفى .

توصيات عملية :

١- استغفر كل يوم ١٠٠ مرة « بصيغة أستغفر الله العظيم » .

٢- يشمل الذكر تلاوة القرآن والتسبيح والاستغفار والتهليل والدعاء .

٣- وحضور مجالس العلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤- احمل معك سبحة لتتذكر ذكر الله .

٥- ادع عقب كل صلاة وقل : « اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات » .

الحلقة العاشرة

فى

« هدى الإسلام فى الجوار »

« وقفة إيمانية »

ما أحلى أن يجد الإنسان فى صحيفته حسنات لم يتعب فيها ، وأن يملأ ميزانه بطاعات عملها غيره ، وأن يرتقى درجات الجنة بعد أن يواريه التراب ، وذلك بأن يعمل عند الله أجيرًا يدل التائهين ليتسلم أجرته فى الآخرة سكنى الفراديس فى جوار نبى أو صحابى أو شهيد .

رعاية الإسلام للجار

قال تعالى :﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء] .

قال الإمام القرطبى – رحمه الله تعالى :

أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ، ليس منها شىء منسوخ ، وكذلك هى فى جميع الكتب ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل وإن لم ينزل به الكتاب ، وقوله تعالى :﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾.

﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ المسلم ، ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ اليهودى والنصرانى .

قلت : وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافرا وهو الصحيح .

أولا : فضل الإحسان إلى الجار :

وروى الإمام البخارى : عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ؟ ، قال : « إلى أقربهما منك بابًا » .

وروى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : إنى نزلت محلة قوم وإن أقربهم إلى جوارا أشدهم لى أذى فبعث النبى ﷺ أبا بكر وعمر وعليا يصيحون على أبواب المسجد :

« ألا إن أربعين دارًا جارا ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » ، وقال الإمام على بن أبى طالب ﷺ: « من سمع النداء فهو جار » .

ومن إكرام الجار : ما رواه مسلم عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) .

فحض ﷺ على مكارم الأخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة ، فإن الجار قد يتأذى بقتار قدر جاره ، وربما تكون له ذرية فتهيج من ضعفائهم الشهوة ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة لاسيما إن كان القائم ضعيفا أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة.

ودلت السنة المطهرة على أن الإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه من موجبات رحمة الله ودخول جنته .

وروى الإمام أحمد وغيره ورجاله ثقات:عن أبى هريرة ﷺ قال:قال رجل : يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : « هى فى النار » ، قال : يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ، ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هى فى الجنة » .

وإكرام الجار دليل الإيمان وعلامة عليه :

روى الإمام الترمذى وصححه الألبانى : عن أبى هريرة ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن، فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدى فعد خمسا ، فقال :

«اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

والمحسن إلى جاره خير الجيران عند الله - تعالى :

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

وقيل : (من حفظ نجا من النار) ، وأنشدوا :

يا حافظ الجار ترجو أن تنال بـه عفـو الإلـه وعفـو الله مـذخور
الجـار يشـفع للجـيران كلهـم يوم الحساب وذنب الجار مغفور

والصبر على أذى الجار طريق للوصول إلى حب الله للعبد وهذا مقام كريم :

عن مطرف بن عبد الله ، قال : بلغنى عن أبى ذر ﷺ حديث فكنت أحب أن ألقاه فلقيته فقلت له : يا أبا ذر ، بلغنى عنك حديث وكنت أحب أن ألقاك فأسألك عنه .

فقال : قد لقيت فاسأل : قال : قلت : بلغنى أنك تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثة يحبهم الله عز وجل وثلاثة يبغضهم الله عز وجل » قال : نعم ، فما أخالنى أكذب على خليلى محمد ﷺ ثلاثا يقولها ، قال : قلت من الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟

قال : « رجل غزا فى سبيل الله فلقى العدو مجاهدا محتسبا فقاتل حتى قتل وأنتم تجدون فى كتاب الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ

صَفًّا ﴾ [الصف : ٤] ، ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتى يشق عليهم الكرى أو النعاس فينزلون فى آخر الليل فيقوم إلى وضوئه وصلاته ، ورجل له جار يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله إياه بموت أو حياة » .

قال : قلت من الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟

قال : « الفجور المختال وأنتم تجدون فى كتاب الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان] ، والبخيل المنان، والتاجر الحلاف » رواه ابن حبان.

وبالجملة : فالجار الصالح من سعادة الدنيا والآخرة :

روى الإمام أحمد فى مسنده : عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « أربع من السعادة :المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنىء .. وأربع من الشقاء : الجار السوء والمرأة السوء ، والمركب السوء ، والمسكن الضيق » .

وروى ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ، ثم قرأ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط . لذلك روى الإمام الذهبى فى كتابه (الكبائر ص ٢٢٤) :

إن سهل بن عبد الله التسترى – رحمه الله – كان له جار ذمى ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنف الذمى ويطرحه بالليل حتى لا يراهُ

أحد فمكث على ذلك - رحمه الله - على هذه الحالة زمانا طويلا إلى أن حضرت سهل الوفاة فاستدعى جاره الذمى وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه و فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يدخل فى الجفنة ، فقال : ما هذا الذى أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت ، وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرنى أجلى وأنا أخاف ألا تتسع أخلاق غيرى لذلك ، فقال الذمى : أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد إلى يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم مات سهل - رحمه الله .

وكان للإمام أبى حنيفة النعمان - رحمه الله - بالكوفة جار إذا انصرف من عمله يرفع صوته منزله منشدا هذا البيت :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

فكان يسمع أبو حنيفة إنشاده لهذا البيت فى كل ليلة ، فاتفق أن أخذ الحرس فى ليلة من الليالى هذا الجار وحبسوه ، ففقد الإمام أبوحنيفة صوته فى تلك الليلة ، وسأل عنه فى الغد ، فأخبروه بحبسه ، فركب إلى أمير الكوفة (عيسى ابن موسى) وطلب منه إطلاق سراح الجار ، فأطلقه فى الحال فخرج الفتى ودعا به الإمام أبو حنيفة ، وقال له سرا : فهل أضعناك يا فتى ؟ ، قال الجار : لا ، ولكن أحسنت وتكرمت ، وأنشد الفتى يقول :

وما ضرنا أنا قيل وجارنا   عزيز وجار الأكثرين ذليل

ثانيًا : عقوبة من أساء الجوار :

جاء التحذير من عاقبة إساءة الجوار فى أحاديث كثيرة منها :

روى البخارى ومسلم : عن أبى هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» .

وروى الإمام أحمد ورجاله رجال الثقات : عن المقداد بن أسود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ما تقولون فى الزنا » ، قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره» قال:« ما تقولون فى السرقة؟» قالوا : حرمها الله ورسوله فهى حرام ، قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه أن يسرق جاره » .

روى الإمام البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : «الذى لا يأمن جاره بوائقه » .

وزاد الإمام أحمد : قالوا : يا رسول الله ، وما بوائقه ؟ قال : « شره وظلمه ».

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار : عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن من آمنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه » .

فمن امتثل أوامر الله - عز وجل - وأدرك مدلول السنة النبوية كف أذاه عن جيرانه وتحمل ما يصدر منهم بصدر منشرح ونفس راضية .

لذلك روى الإمام أحمد : عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «أول خصمان يوم القيامة جاران » .

وروى الإمام الحاكم والبزار وابن حبان : عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله ، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : « هى فى النار » .

وذلك أن أذية اللسان لا تمحى مع الزمن ، بل تحفر فى الأعماق أخاديد عميقة وتجلب المقت والسخط والقلق والحيرة .

قال الشاعر :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وروى أبو داود فى سننه : عن أبى هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره ، فقال له : « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثة ، فقال : «اذهب فاطرح متاعك فى الطريق » ففعل فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه ويلعنون فعله ، فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه ، فجاء إليه جاره فقال :« ارجع فإنك لن ترى منى شيئا تكرهه » .

وروى الإمام الطبرانى : عن فضالة بن عبيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من الفواقر : إمام إن أحسنت لم يشكر ، وإن أسأت لم يغفر ،وجار سوء إن رأى خيرا دفنه ، وإن رأى شرا أذاعه ، وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك » .

ثالثًا : حق الجوار فى الإسلام :

اعلم أخى الحبيب : إن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة ؛ إذ قال النبى ﷺ : «الجيران

ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار ، وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذى له حقان: فالجار المسلم ، فله حق الجوار وحق الإسلام .. وأما الجار الذى له حق واحد فالجار المشرك » .

ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود ﷺ فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على ، فقال : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه .

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كف أذاه فليس فى ذلك قضاء حق ، ولا يكفى احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف .

روى الإمام الأصبهانى ، وأشار المنذرى إلى ضعفه « الترغيب » عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « كم من جار متعلق بجاره يقول : يا رب سل هذا لِمَ أغلق عنى بابه ومنعنى فضله ؟ » .

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه،وكان يجلس فى ظل داره ، فقال: ما قمت إذًا بحرمة ظل داره إن باعها معدما فدفع إليه ثمن الدار وقال : لا تبعها .

لذا كان الصالحون يتحرزون من أذى الجار ويحتاطون لأنفسهم فى ذلك : شكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له: لو اقتنيت هرا ؟ ، فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت القط فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسى .

وجملة حق الجوار :

روى الخرائطى فى (مكارم الأخلاق) : عن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك

نصرته، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعته جنازته ، وإن أصاب خيرا هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستعلِ عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » ، ثم قال : « أتدورن ما حق الجار ؟ » والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله تعالى » .

ولا عجب أن يوجب الرسول ﷺ للجار على جاره هذه الحقوق ما دام الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع يسوده الحب ويظلله الود ويكنفه السلام فحين يكف كل جار عن أذى جاره ويعرف له حقه عليه فيعينه على شدته ويقيله من عثرته ويحفظه فى غيبته ، ويشاركه فى أفراحه ليضاعف بالمشاركة مسراته ويسانده فى أحزانه ليخفف بالمساندة أحزانه عند ذلك تربط بين البيوت المتجاورة المحبة وتؤاخى بين القلوب المتباعدة بالمودة الصادقة وينزل الجار من جاره منزلة الأهل والولد .

ومما روى أن أبا بكر الصديق ﷺ رأى ولده عبد الرحمن يخاصم جارًا له ، فقال : « لا تخاصم جارك يا بنى فإن هذا يبقى والناس يذهبون » .

ومن أهم الحقوق الواجبة على الجار : تعليم جاره وتفقيهه فى أمر دينه ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، ومصاحبة ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فالفقر الثقافى أسوأ عقبى من الفقر المالى ، والشعب الذى يعانى من الغباء والتخلف لا يصلح للمعالى .

روى الإمام الطبرانى فى معجمه الكبير قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف المسلمين خيرًا ثم قال : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم

ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم ؟وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة » ثم نزل ، فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء؟ قال : عنى الأشعريين (هم قوم أبى موسى الأشعرى ﷺ) فإنهم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب ، فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا يا رسول الله : ذكرت قوما بخير وذكرتنا بسوء ، فما بالنا؟ فقال رسول الله ﷺ مرة أخرى : «ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا » فقالوا : يا رسول الله أنفطن غيرنا ؟ فأعاد عليهم قوله ، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضًا ، فقالوا : أمهلنا سنة – فأمهلهم سنة ليعلموهم ويفقهوهم ويعظوهم ، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة] .

ومهلة سنة تكفى لمحو الأمية الكتابية والعقلية والدينية وتجعل الجهال أهل فطانة ورشد ، وأعتقد أن المسلمين فى العصر الحاضر أحوج أهل الأرض إلى هذه النصيحة النبوية فإن تخلفهم الفكرى والخلقى تسود له الوجوه .

ومع مسك الختام :

لقد كان يوما تاريخيا أغر ، ذلك اليوم الذى قدم فيه النبى ﷺ المدينة المنورة ، فقد كانت بيوت المدينة والطرق ترتج بأصوات التحميد والتهليل، وكان

الغلمان يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، واستقبل الأنصار رسول الله ﷺ استقبالا حافلا فالتفوا حوله وكل يحاول الإمساك بزمام ناقته ﷺ راجيا أن يتحفه بالنزول عنده ،وأن يكون ضيفه وجاره ، ورسول الله ﷺ يقول : «دعوها فإنها مأمورة » .

ولم تزل الناقة سائرة حتى أتت دار بنى مالك بن النجار فبركت على مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار ، وثم تحولت عنه ولم تلبث أن عادت إليه فبركت فيه ، وذلك أمام دار أبى أيوب الأنصارى فقال رسول الله ﷺ : «ها هنا المنزل إن شاء الله ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون] » ، واحتمل أبو أيوب رحل رسول الله ﷺ : ووضعه فى منزله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام الناقة فكانت عنده وخرجت ولائد بنى النجار يقلن :

نحن جوار بنى النجار يا حبذا محمد من جار

وكان بيت أبى أيوب مؤلفا من غرفتين واحدة فوق الأخرى ،ولما قدم النبى ﷺ على أبى أيوب نزل فى الأسفل وطلب أبو أيوب من الرسول ﷺ أن يصعد إلى العلو فقال ﷺ : « إنه أرفق بنا ومن يغشانا أن نكون فى سفل البيت » ، وصعد أبو أيوب وزوجته إلى الغرفة العليا ولكن لم تكتحل أعينهما بنوم ، وجعلا لا يتحركان خيفة أن يصدر منهما شىء يؤذى رسول الله ﷺ ، وحدث أن انكسرت جرة كبيرة مملوءة ماء فقاما ينشفان الماء بكساء يلتحفانه لئلا يصل شىء منه يؤذى رسول ﷺ ، وفى الصباح نزل أبو أيوب وقال للنبى ﷺ : لا ينبغى أن أكون فوقك فاظهر أنت وكن فى العلو ، وأصر أبو أيوب على رسول الله ﷺ أن ينتقل إلى الغرفة العلوية ،وقبل ذلك ﷺ وقرت عين أبى أيوب إذا أكرم جاره وحظى بمرضاته وآثره على نفسه ، وكانت أم أيوب حريصة مهتمة

بما يشتهيه جارهم رسول الله ﷺ من طعام فكانت تسارع إلى إعداد ما يحبه من الطعام مدة إقامته جارا لهم ، وقد تجاوزت إقامته السبعة أشهر ، رضى الله عن أبى أيوب وزوجته وجعلهما ممن قال فيهم الحق سبحانه :﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ] .

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال :

جاء رجل إلى الشافعى فقال له - رحمه الله تعالى : صديقك فلان عليل ، فقال الشافعى : والله لقد أحسنت إلى وأيقظتنى لمكرمة ودفعت عنى اعتذار يشوبه الكذب ، ثم قال :

أرى راحة للحق عند قضائه ... ويثقل يوما إن تركت على عمد
وحسبك حظا أن ترى غير كاذب ... وقولك لم أعلم وذلك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيدا يستعذب الناس ذكره ... وإن نابه حق أتوه على قصد

فيا أخى الحبيب :

أحسن إلى جارك وأطعمه من طعامك وكف عنه لسانك وتحمل منه الأذى واصبر أياما قليلة والموعد الله والجنة .

« موعظة اليوم »

قال عمر بن عبد العزيز عند دفع الناس من عرفة : « ليس السابق اليوم من سبق به بعيره ، إنما السابق من غفر له » .

« فى واحة الشعر »

ذرينى أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين إدراك المعالى رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

« من مواقف الصالحين »

« رضينا يا رسول الله » :

استشهد عمرو بن معاذ فى غزوة أحد وعلمت أمه كبشة بنت رافع وهى أول صحابية بايعت الرسول ﷺ من الأنصار،بالخبر خرجت تستقبل رسول الله ﷺ وجاءت تعدو نحوه ﷺ وقد وقف على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه ، فقال سعد : يا رسول الله : أمى فقال : مرحبًا بها .

فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ وقالت : أما إذا رأيتك سالمًا فقد اشتويت المصيبة « أى : استقللتها » وعزاها رسول الله ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها ثم قال : يا أم سعد أبشرى وبشرى أهليهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعًا ، وقد شفعوا فى أهلهم جميعًا قالت : رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟

ثم قالت : يا رسول الله ، ادع لمن خُلفُوا .

فقال : اللهم أذهب حزن قلوبهم ،واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا .

« يستفتونك »

س : كُنتُ حاملاً فى العام الماضى ، وقد أهل علينا شهر رمضان المبارك وأنا فى الشهر السابع ولم أستطع الصيام ، فماذا أفعل ؟

ج : يرى الأحناف أن الحامل إذا خافت الضرر من الصيام جاز لها الفطر ، سواء أكان الخوف على النفس والولد أم على النفس فقط أم على الولد فقط، ويجب عليها القضاء عند القدرة على الصوم بدون فدية وبدون متابعة الصوم فى أيام القضاء .

وبما أنك قد أفطرت فى العام الماضى فإنه يجب عليك القضاء ولا فدية عليك ولو تأخر القضاء عن العام التالى ، كما لا يجب عليك تتابع الصوم عند القضاء ، والله أعلم .

توصيات عملية :

١ - ابدأ جارك بالسلام ، عده فى مرضه ، عزِّه فى المصيبة ، شاركه فى الفرح، اصفح عن زلاته ، لا تتطلع لعورته ، إن استقرضك فأقرضه ،وإن استغاثك فأغثه ، وإن استنصرك فانصره .

٢- احرص على تنظيم جدول زيارات لجيرانك فى رمضان .

٣- إذا غضبت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أو توضأ ، وغير موضعك فإن كنت جالسًا فقف ، أو قائمًا فاقعد ... عندها يذهب عنك الغضب إن شاء الله .

الحلقة : الحادية عشرة

فى

مكانة المرأة فى الإسلام

«وقفة إيمانية»

لما صابر الورد الألم وتحمل الشوك ووخز الإبر استحق أن يتصدر مجالس الأمراء ، ويصبح رمز الحسن والبهاء ، ولا تكاد تجد هدية أرق من الورد ، ولما آثر الحشيش السلامة، صار مرتع الحمير وعلف البهائم ، ورخص وداسته الأقدام ، حتى غدا رمز المهانه: فكونى زهرة فى حقل الإسلام .

مكانة المرأة فى الإسلام

قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب] .

يعتقد كثير من الناس أن المرأة فى الإسلام ليست مطالبة بأكثر من الحجاب وأن الحجاب هو نهاية المطاف ، والحقيقة غير ذلك ،إن الإسلام بناء سلوك ، وبناء فكر ، وقد جعل للمرأة مكانة ودورا رائدا فى المجتمع ، فكرم المرأة بما لم يحدث فى أى دين آخر ، وهذه الحقيقة للأسف تغيب عن كثير من المسلمات اليوم ، ولا يوجد نظام ولا قانون على ظهر الأرض أعطى للمرأة حقها مثل الإسلام .

قال عمر بن الخطاب ﷺ :والله كنا فى الجاهلية ما نعد النساء شيئا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم .

أحوال المرأة قبل الإسلام :

- جاء فى شريعة (مانو):

(إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها كما لو كان إلها ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه حتى إن خلا من الفضائل) .

• وفى شريعة الهند القديمة :

(إن الوباء والموت والجحيم خير من المرأة) .

وحياة المرأة فى هذه الديانة تنتهى بحياة زوجها ، فإذا أحرق جثمانه بعد الموت ، فإن عليها أن تلقى بنفسها فى النيران وإلا حلت عليها اللعنة الأبدية .

• وعند ملة (اليونان) :

كانوا ينظرون إلى المرأة كمتاع ،وربما يعرضونها فى السوق ويبيعونها .

وكان هذا من حق الزوج على زوجته .

وفوق ذلك كانوا يعتبرون النساء رجسا من عمل الشيطان ، وكانوا يقدمون البنات قربانا إلى آلهتهم .

• وعند ملة (فارس) :

كانت المرأة فى هذه الملة فى انحطاط وذلة ... فإن الأفراد المتبعين المتعصبين للديانة (الزردشتية) ، كانوا يحقرون شأن المرأة ويعتقدون أنها سبب هيجان الشرور التى توجب العذاب والسخط لدى الآلهة ، ولهذا يبيحون عليها أن تعيش تحت أنواع من الظلم ، وكانت تحت سلطة الزوج ... وكان لزوجها أن يحكم بقتلها .

• ولدى ملة (بنى إسرائيل) :

كانت فى الذلة والهوان ، وكانوا يعتبرون البنات فى منزلة الخادمات ، كما كان لهم الحق أن يبيعوهم بيع الإماء ، كما لم يكن للبنات حق فى الميراث .

• وفى العقيدة (النصرانية) :

يقول أحد رجال الكنيسة ، وهو (سان بونا فتورى) لتلاميذه :إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنا بشريا ، ولا كائنا وحشيا ، وإنما الذى ترونه هو(الشيطان) بذاته ، والذى تسمعون هو صفير الشيطان .

- ولدى العرب فى الجاهلية :

(كانوا يعتبرون المرأة جزءا من الثروة ،ولهذا الأرملة كانت تعد ميراثا لابن الموروث ، وكانت هذه العادة الظالمة جارية بصفة خاصة بين قبائل [اليمن] الذين كانوا يعيشون مع الإسرائيليين والصابئين ، وكان تعدد الزوجات شائعا فى جميع قبائل العرب بدون شرط أو تحديد .

- وكانوا ينظرون إلى البنات نظرة الاستكراه والتشاؤم ... فإذا ولدت زوجة الرجل (ابنة) يفكر الرجل من أول الأمر بشأن المولودة فى وأدها ودسها فى التراب ، وإن أمسكها أمسكها على هون – أى على ذلة – .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩ ﴾ [النحل].

- **أما (موقف الإسلام من المرأة):**

فإن الإسلام كرمها ، كرمها كـ (إنسان) ، وكرمها كـ (أنثى) ، وكرمها كـ (بنت) ، وكرمها كـ (زوجة) وكرمها كـ (أم) .

*** أولاً : تكريم الإسلام للمرأة كإنسان :**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

قال تعالى:﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران : ١٩٥].

وروى الإمام أحمد وأبوداود ، قال رسول الله ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال» .

- **ثانيا : تكريم الإسلام للمرأة كأنثى :**

قدر الإسلام أنوثة المرأة ... واعتبرها مكملا للرجل ، قال تعالى :﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وركب الله فى كل من الرجل والمرأة شهوة الغريزة للتجاذب واللقاء حتى تستمر الحياة ويبقى النوع ، ومن ثم يرفض الإسلام كل نظام يصادم هذه الفطرة ويعطلها كنظام (الرهبنة) .

ولكنه حظر كل تصريف لهذه الطاقة على غير ما شرعه الله ... ولهذا حرم الزنا ، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وسد كل منفذ يؤدى إلى هذه الفواحش .

ونستطيع أن نحدد موقف الإسلام من أنوثة المرأة فيما يلى :

١ -أنوثتها ، حتى تظل ينبوعا للرقة والحنان والجمال ، ولهذا أحل لها التحلى بالذهب ولبس الحرير .. فى حين حرمها على الرجل . روى الإمام أحمد وابن ماجه ، قال ﷺ : « إن هذين حرام على ذكور أمتى حل لإناثهم » وحرم عليها التشبه بالرجل .

وروى الإمام أحمد فى مسنده ، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، والديوث » .

٢- حافظ الإسلام على خلقها وحيائها .. وحرص على سمعتها وكرامتها.. ولذا أوجب عليها :

الغض من بصرها - الاحتشام والتستر - تجنب كل ما يلفت انتباه الرجل من: تمايل فى المشى ، أو خضوع بالصوت ، أو وضع رائحة يشمها الرجال .

ونهى عن المصافحة ، والخلوة ، والسفر بغير محرم ،وغير ذلك وعندما فلت زمام المرأة فى الدول الأوربية كان من ثمارها :

انتشار الأبناء غير الشرعيين ، كثرة الطلاق ، كثرة العوانس ، انتشار الأمراض الفتاكة ، هذا بعض حصاد التحلل .

- **تكريم الإسلام للمرأه كبنت :**

نالت فى ظل الإسلام تكريما لم يسبق له مثيل ... ، فلقد كانت التقاليد المتوارثة عند العرب قبل الإسلام تبيح للأب أن يئد ابنته ، خشية العار أو خشية الإنفاق فكانت البنت فى نظرهم معرة ومضرة ، فجاء الإسلام ليحرم هذا العمل الأثيم ويجرم مفاعله .

قال تعالى :﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأنعام] .

روى أبو داود والحاكم ، قال رسول الله ﷺ : « من كانت له أنثى ، فلم يئدها، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » .

واعتبر الإسلام البنت - كالابن - هبة من الله تعالى :

قال جل شأنه : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى] .

وبين الإسلام أن البنت قد تكون سببا لنجاة والديها من عذاب النار .

روى الإمام مسلم عن عائشة قالت : «جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال:« إن الله قد أوجب لها بهما الجنة » أو « أعتقها بهما من النار» .

وروى ابن ماجه : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبناه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » ، وأوجب الإسلام نفقة البنت على ذمة أبيها أولى الأمر إلى أن يتم زواجها حيث ينتقل الإنفاق لها وجوبا إلى ذمة زوجها .

- **تكريم الإسلام للمرأة كزوجة :**

شرع الإسلام للزوجة حقوقا ألزم بها الزوج ، من هذه الحقوق على سبيل الإجمال :

١- المهر .

٢- النفقة .

٣- حسن المعاشرة .

٤- الاعتدال فى الغيرة .

٥- العدل بين الزوجات .

٦- أن يعلمها أحكام دينها .

٧- الحرص على إعفافها وصيانتها .

٨- وغير ذلك من الحقوق .

وفى الختام أضع صورة للأخت المسلمة فى عصور الإسلام الزاهية ؛ ليتبين لنا الفرق وليكون قدوة لنا على مر العصور .

روى الهيثم بن عدى الطائى قال : حدثنا مجاهد عن الشعبى علامة عصره قال : لقينى شريح القاضى فقال: يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فإنى رأيت لهن عقولا،قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلت من جنازة ظهرًا فمررت بدورهم فإذا أنا بعجوز على باب الدار جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت فاستسقيت وما بى عطش ، فقالت : أى الشراب أحب إليك ؟ فقلت : ما تيسر ، قالت : ويحك يا جارية بلبن فإنى أظن الرجل غريبا، قلت : من هذه الجارية ، قالت : هذه زينب بنت حدير إحدى نساء بنى حنظلة، قلت : فارغة أم مشغولة ، قالت : بل فارغة ، قلت : أريدها .

قالت : إن كنت لها كفوا (وهى لغة بنى تميم) فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل فامتنعت منى القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بأيد إخوانى القراء الأشراف، علقمة ، والمسيب ، وموسى بن عرفطة ، ومضيت أريد عمها فاستقبتلنى ، فقال : يا أبا أمية : (هذه كنية لشريح القاضى) :ما حاجتك ؟ ، قلت: زينب بنت أخيك، قال : ما بها رغبة عنك ، فأنكحنيها ، فلما صارت فى حبالى ندمت ، وقلت : أى شيء فعلت بنساء بنى تميم ، وذكرت غلظة قلوبهن، فقلت: أطلقها ، ثم قلت: لا ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك ، فلو رأيتنى يا شعبى ، وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت على ، فقلت : إن من السنة إذا أدخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين، فيسأل الله من خيرها ويعوذ به من شرها ، فصليت وسلمت ، فإذا هى خلفى تصلى

بصلاتى، فلما قضيت صلاتى ، أتتنى جواريها فأخذن ثيابى ،ولبسننى ملحفة (عباءة) قد صبغت بزعفران فى عكر العصفر ، فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى إلى ناصيتها ، فقالت : على رسلك يا أبا أمية كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله إنى امرأة غريبة ، لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فآتيه وبين لى ما تكره فأزدجر عنه ، وقالت : إنه قد كان لك فى قومك من هى كفء لك ، وفى قومى مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .

قال : فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضوع ، فقلت : أحمد الله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على النبى وآله وبعد ، فإنكِ قلتِ كلاما إن ثبت عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة ، وإن تدعيه يكن حجة عليك فإنى أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها ، فقالت : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟قلت : ما أحب أن يملنى أصهارى ، قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكرهه فأمنعه ؟ ، قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبتُّ معها يا شعبى ، بأنعم ليلة ، ومكثت معى حولا لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى الدار، فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة ،ختنتك (أم زوجته) فسرى عنى ما كنت أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك يا أبا أمية ، قالت : وعليك السلام من أنت ؟ فقالت: أنا فلانة ختنتك، قلت: قربك الله ،

قالت: كيف رأيت زوجتك ؟ قلت: خير زوجة ، فقالت لى :يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالين :

إن ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ، فإن رابك ريب فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدللة ، قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورضت فأحسنت الرياضة ،قالت: تحب أن يزورك أختانك؟ قلت : متى شاءوا ؟ قال : فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك الوصية ، فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة واحدة وكنت لها ظالما .

وأخذ المؤذن فى الإقامة بعدما صليت ركعتى الفجر ، وكنت إمام الحى فإذا بعقرب تدب ،فأخذت الإناء فأكفأته عليه ، ثم قلت : يا زينب لا تحركى الإناء حتى آتى ، فلو شهدتنى يا شعبى ، وقد صليت ورجعت فإذا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالقسط والملح ، فجعلت أمغث اصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين.

وكان لى جار من كندة يقرع امرأته ويضربها ، فقلت فى ذلك :

رأيت رجالا يضربون نساءهم   فشلت يمينى حين أضرب زينبا
أأضربها فى غير ذنب أتت به   فما العدل منى ضرب من ليس مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب   إذا طلعت لم تبد منهن كوكبا

وهكذا يا ابنتى أزف إليك باقة من زهور العقل والحكمة لامرأة عاقلة توصى ابنتها يوم زفافه الملك كندة الحارث بن عمرو :

أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل لتركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن فتاة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة

حاجتها إليهما وحبها لهما ، لكنت أغنى النساء عن الزوج ، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

أى بنية ، إنك تركت البيت الذى فيه درجت إلى بيت لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ،فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا (سريعا) .

يا بنية ،خذى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا :

١- الصحبة بالقناعة .

٢- والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

٣- والتعهد لموضع عينيه فلا تقع منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

٤ ، ٥- والتعهد لوقت طعامه . والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

٦- وعليك بالكحل ، فهو أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود .

٧،٨ - والعناية به وببيته وماله والاحترام له ولذويه وآله . والرعاية على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم جميل وحسن التدبير .

٩،١٠ - ولا تفشى له سرا .ولا تعصى له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره (أغضبته)، ثم اتق مع ذلك الفرح أمامه إن كان حزينا والاكتئاب (الحزن) إن كان فرحانا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ،وإن الخصلة الثانية من التكدير .

كونى أكثر ما تكونين له إعظاما يكن أكثر ما يكون لك إكراما ،وكونى أحسن ما تكونين له موافقة ،يكن أفضل ما يكون لك مرافقة .

واعلمى يا بنيتى ، أنك لن تصلى إلى مبتغاكِ ، حتى تؤثر هواه على هواك ورضاه على رضاك ، والله يختار لك وهو ولى التوفيق .

فحملت إلى زوجها وهو أمير كندة – فعظمت فى عينيه وظلت أثيرة (يؤثرها على غيرها ومحببه لديه) وولدت له سبعة من الذكور كانوا ملوكا بعده .

« موعظة اليوم »

« العلماء أطباء »

قال سفيان الثورى :

الأعمال السيئة داء ، والعلماء دواء، فإن فسد العلماء فمن يشفى الداء ؟

« فى واحة الشعر »

باريس ضاقت بالحجاب بالنبى وبالكتاب
بالصالحات القانتات العازفات عن الشراب
السالكات على الصراط الراضيات بمن أناب
الراضيات بربهن الظامئات إلى الثواب
باريس ما أشقى الحضارة إذ يؤرقها الحجاب
والستر والدين الحنيف الماجد البر المهاب
الحجاب تاج على رأس اليمامة ما يضيرك يا غراب ؟

« من مواقف الصالحين »

« ذات النطاقين وتقواها بعد أن كف بصرها »

من الأحداث التى تدل على فقهها فى الدين أن ابنها المنذر قدم من العراق وأرسل إليها بكسوة من ثياب رقاق ، وكان قد كف بصرها فلمسته بيدها ثم قالت: أف ... ردوا عليه كسوته :

فشق ذلك على ابنها المنذر فقال لها :

إنه لا يشف .

قالت : إنها إن لم تشف فإنها تصف .

مهدأ ثم أشترى لها ثيابًا أخرى فقبلتها وقالت : مثل هذا فاكسنى .

« يستفتونك»

س- هل ورد فى الشرع ختان الإناث ؟

ج : ختان الإناث من شعائر الإسلام وردت به السنة النبوية واتفقت كلمة فقهاء المسلمين وأئمتهم على مشروعيته لكنهم اختلفوا فى وجوبه :

فقال الإمام الشافعى رحمه الله بوجوبه وفرضيته على النساء وهو راوية عن الإمام أحمد - رحمه الله .

وقال الإمام أبو حنيفة والإمام مالك - رحمهما الله - باستحبابه للنساء والحكمة من مشروعيته ، ما فيه من تلطيف الميل الجنسى فى المرأة والاتجاه به إلى الاعتدال المحمود .

والختان المشروع هو قطع أدنى جزء من الجلدة التى فى أعلى الفرج .

والمقصود منه تعديل الشهوة لا قطعها تمامًا .

ليكون الختان بهذا عاملاً على اتزان الشهوة عند المرأة التى يغلب عليها طابع العاطفة وسرعة التأثر بحيث لا ينعدم التأثر الجنسى أو الشهوة عندها تمامًا ، وهى أمر فطرى ركبه الله فيها وأباح لها التمتع به بالطريق الحلال الذى شرعه، وفى هذا يعلم النبى ﷺ أمته كيف تختن الإناث اختتانًا شرعيًا صحيحًا بقوله لأم عطية ﷺ وقد كانت تختن الإناث فى المدينة : « إذا خفضت فأشمى

ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه «أى أنضر » وأحظى للزوج » رواه الطبرانى وحسنه الهيثمى وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة «٧٢٢» .

كما دل على مشروعية الختان قول النبى ﷺ : «إذا التقى الختانان وجب الغسل » متفق عليه .

ومن هنا يتبين لنا مشروعية الختان للأنثى وأنه من محاسن الفطرة وله أثر محمود فى السير بها إلى الاعتدال .

أما آراء الأطباء عن مضار الختان للأنثى فإنها آراء لا تستند إلى أساس علمى متفق عليه ، ولا يصح الاستناد إليها فى استنكار الختان الذى رأى فيه الشارع الحكيم الخبير العليم حكمته من وتقويمه للفطرة الإنسانية .

ومن هنا نرى أنه على كل ولى أمر أراد لعفيفته أن يساعدها على حراسة فضيلتها والاحتفاظ بعفتها وتحصين شرفها من دوافع الشهوة وقوتها فليتوجه بها إلى طبيبة مسلمة أو طبيب مسلم يتقى الله ويقدر مدى حاجتها إلى الاختتان ولا تغتر بمن يدعى أن ختان الإناث ليس من الشرع أو يتخذ من حالات الختان التى تخالف السنة والشرع لما فيها من الإجحاف .ذريعة للاعتراض على هذه المكرمة أو تجريم أو تحريم هذه الفضيلة المشروعة : « فالله أعلم بهم يتولاهم بأعمالهم ونياتهم » .

والله أعلم

الحلقة الثانية عشرة

فى

«هدى الإسلام فى آداب الزيارة»

« وقفة إيمانية »

عن مالك ﷺ أنه قال: «لا يؤخذ العلم من أربعة : سفيه معلن بالسفه ، وصاحب هوى، ورجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه فى الحديث ، ورجل له فضل وتعفف وصلاح لا يعرف ما يحدث » .

عن صالح المرى عن الحسن قال :

« يتوسد المؤمن ما قدم من عمله فى قبره ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، فاغتنموا المبادرة ، رحمكم الله فى المهلة ».

هدى الإسلام فى آداب الزيارة

إن الله – سبحانه وتعالى – شرع لنا الزيارة ليس لضياع الوقت وقضائه فيما لا يفيد ، إنما شرع الزيارة كى يتواد المسلمون ويتعاطفون وتقع الألفة بينهم ، ويتعرف المسلم على قضايا إخوانه ، وما يهمهم فى دنياهم ، فيتعارفوا جميعا فى إيجاد ما يناسبها من حلول ، ويقترب المسلم من أخيه المسلم فيشعر بدفء الإيمان وعاطفة الجسد الواحد ، وقد جعل الإسلام للزيارة شأنا عظيما حيث قد جعل لها ضوابط تنضبط بها وآدابا سوف نوضحها – إن شاء الله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾ [النحل : ٨٠]

وبعد:

لقد امتن الله على بنى آدم بأن جعل لهم فى هذه الحياة الدنيا بيوتا ، فقد ثبت فى سورة النعم وهى سورة (النحل) وقد ثبت تسميتها بهذا الاسم عن قتادة ﷺوسميت بذلك لأن الله عز وجل عد فى سورة (النحل) جميع النعم ففى آية ثمانين وما بعدها فى سورة النحل قال الله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾ [النحل : ٨٠] .

هذه البيوت التى امتن بها علينا لنسكن فيها ونستريح وهذه من النعم الضرورية ، كما أن الزوجة الصالحة من النعم ، وكما أن استراحة الإنسان ونومه فى الليل من النعم الضرورية .

وربنا العزيز الغفور يقول فى سورة القصص: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص] .

وهكذا الزوجة الصالحة فى سورة الروم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] .

وهذا من النعم الضرورية لابن آدم إذا لم يحصل بنى آدم هذا السكن المعنوى لتغصت حياتهم ، وأصيبوا بالشقاء والقلق واضطراب النفس ، وإن هذا من الحاجات الضرورية فى الحياة أن يكون للإنسان سكن يسكن فيه ويستريح، ثبت فى صحيح الإمام مسلم ، والحاكم ، وغيرهما : عن عبد الرحمن الحبلى قال: أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما :فجاء رجل يسأله وقال يا أبا محمد ، ألسنا نحن من فقراء المهاجرين الذين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم (أى بمقدار خمسمائة سنة) فقال : ألك مسكن تسكن فيه ، فقال الرجل : نعم ، فقال : ألك زوجة تأوى إليها ، فقال : نعم ، فقال : إذا أنت من الأغنياء ، السكن حصل لك فحصلت لك الراحة النفسية ، فقال الرجل : وعندى خادم يخدمنى عبد مملوك ، فقال : سبحان الله فأنت من الملوك انتقلت من طبقة الأغنياء إلى طبقة الملوك وتريد بهذه الثلاثة أن تكون من فقراء المهاجرين لقد كان الرجل من بنى إسرائيل ملكا إذا حصل هذه الأمور الثلاثة سكن ، زوجة ، خادم .

وكذلك يقول الله عز وجل لبنى إسرائيل : ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ يقول عبد الرحمن الحبلى: ثم جاء أناس إلى أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : فقالوا : يا أبا محمد والله ، إنا لا نقدر على شىء لا زاد ولا متاع ولا نفقة ، والله،

لا نقدر على شيء من متاع الدنيا ، فقال عبد الله بن عمرو :ما شئتم ماذا تريدون ؟ سوف أخبركم بين أمور ثلاثة إن شئتم أتيتمونا بعد ذلك (أى وقت) أعطيناكم بما أنعم الله به علينا ، وإن شئتم رفعنا أمركم إلى السلطان ليعطيكم ما تستحقون من النفقة ، وإن شئتم صبرتم ، وأحدثكم عن نبيكم حديثا أنه ﷺ قال: « إن فقراء أمتى يدخلون الجنة قبل أغنيائها بأربعين خريفا » فقالوا : نصبر ولا نسأل أحدا شيئا ، وهذا السكن لابد منه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ .

أخى الحبيب : نحن فى وقت كثرت فيه الزيارة وخرجت عن الزيارة الشرعية من أجل هذا لابد من تذكير نفسى وإخوانى بهذا الأمر لنسير على حسب شريعة الله المطهرة ، لابد من ضبط هذه الزيارات .. فالذين يزورون ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : محبون يزورون فى الله ... وهذا صنف عزيز قليل نادر .

القسم الثانى : فريق معجب برأيه يزور ليجادل وليمارى وهذا صنف لا خير فيه ولا ثواب فى مجالسته فالوحدة خير من الجلوس معه .

القسم الثالث : فريق جاء ليتجسس ولينقل الأخبار وليفترى على عباد الله ، وما أكثر هذا الصنف فى هذا الزمان وقد حذرنا رسولنا ﷺ منه وأخبر عنه :

روى الإمام أحمد ، الطبرانى ، والحاكم بإسناد صحيح ووافقه الذهبى : عن وابصة بن معبد وله صحبة ، قال : إنى فى الكوفة فى دارى ، إذ سمعت على باب الدار : السلام عليكم أألج ؟ قلت : وعليكم السلام ، فلج فلما دخل فإذا هو عبد الله بن مسعود قلت : أبا عبد الرحمن ؟ أية ساعة زيارة هذه : وذلك فى نحر الظهيرة ؟ قال : طال على النهار فذكرت من أتحدث إليه : فقال : فجعل

يحدثنى عن رسول الله ﷺ وأحدثه : ثم أنشأ يحدثنى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع ، والمضطجع فيها خير من القاعد ،والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الراكب ، والراكب خير من المجرى ، قتلاها كلها فى النار ، قال : قلت يا رسول الله ، متى ذلك ؟ قال : ذلك أيام الهرج ، قلت : ومتى أيام الهرج ؟ قال: « حين لا يأمن الرجل جليسه » قال : قلت : فما تأمرنى إن أدركت ذلك؟ قال : « اكفف نفسك ويدك وادخل دارك » قال : قلت يا رسول الله ، أرأيت إن دخل على دارى ، قال :« فادخل بيتك » قلت : أفرأيت إن دخل بيتى ؟ قال : «فادخل مسجدك واصنع هكذا (وقبض بيمينه على الكوع) وقل ربى الله حتى تموت على ذلك » .

والشاهد فى الحديث : قوله ﷺ : « حين لا يأمن الرجل جليسه » وعلامات هؤلاء :

إذا دخلوا عليك مدحوك وتملقوك ، وإذا غابوا عنك بألسنة حداد سلقوك ، فإذا كان هذا وضع الناس ، وكان الأمر كذلك فلابد من آداب الزيارة الشرعية وليس هذا احتقارا لأحدٍ ولا بغضا ولا حقدا وإنما لاعتبارات :

أولها : من الذى يستحق أن يزار فى هذه الأيام :

١-إن كنت تزوره وتظن أنه عالم - فاعلم أخى الحبيب - أن العلم ذهب من أيام بل قل من سنين مضت ، يقول مسروق – عليه رحمة الله – وهو من أئمة التابعين : (ذهب العلم وبقيت بقية فى أوعية سوء) هذا فى زمن التابعين ، وكان الإمام داود بن نسير الطائى أبو سليمان إمام الكوفة وهو من تلاميذ الإمام أبى حنيفة النعمان وحديثه مروى فى سنن النسائى يقول عنه الإمام

الذهبى فى سير أعلام النبلاء كان إماما زاهدًا قانتًا فقيهًا قدوة رأسًا فى العلم والعمل لم يُسمع بمثل جنازته ، لما مرض هذا العبد الصالح الزاهد امتنع الناس عن النوم ثلاثة أيام خشية أن يموت هذا العبد ويدفن ولم يعلم به أحد لأنه لا يرضى الشهرة، هذا العبد الصالح جاءه رجل لكى يزوره فقال : ما جاء بك ؟ قال : أحبك فى الله قال : أما أنت فقد ثبت أجرك على الله عز وجل أما أنا فكيف حالى عند ربى إذا قال لى يا داود : هل أنت من الزهاد كى تزار ، والله لست من الزهاد ، وإذا قال لى : هل أنت من العباد لتزار والله لست من العباد، وبدأ داود الطائى يبكى هذا الذى يقول عنه عبد الله بن المبارك سيد المسلمين فى زمانه يقول : وهل المراد من العلم إلا ما عليه داود الطائى (لا يحسد من العلم والخشية لله عز وجل) ، وقد جاء الفضيل بن عياض إمام الحرم المكى وشيخ المسلمين فى زمانه لكى يزور داود بن نسير الطائى فقال : يا أبا على يا فضيل أقلل من زيارتك فقد قليت الناس .

وكان هذا العبد الصالح فى مجلس أبى حنيفة النعمان فحذف أحد الجالسين بحصاة ، فقال له أبو حنيفة : يا داود طال لسانك وطالت يدك ، يقول داود الطائى : والله ما تكلمت بعد كلام أبى حنيفة عاما كاملاً ، أجلس فى المسجد وكأنى جزع شجرة .

من الذى يزار فى هذه الأيام وفى هذا الزمان إن كنت تزور لصالح الإنسان فدع عنك هذا الغرور الزائد ولا داعى أن يلبس عليك أحوال الناس (العلم ذهب وما بقى منه فى أوعية سوء) من يزار فى هذا الوقت وهذا الزمان (افتضحوا فاصطلحوا) .

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكرى

وبقيـــت فـــى خلـف يزكـى بعضـــــــه بعضـــــاً

أنت صوفى وأنا صوفى ، أنت من أهل الحديث وأنا من أهل الحديث ووالله لو رآنا أهل الحديث ، على هذا الحال لرجمونا بالحجارة إنما هذا حالنا «اصطلحوا فافتضحوا » تزورنى وأزورك ، من أنت ومن أنا فليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ؛ لذلك يقول داود الطائى (نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها سمعه وبصره) .

وقال الحسن البصرى : (صوامع المؤمنين بيوتهم) .

وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين : (العزلة عبادة) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة من لسانه) .

وقال مالك بن أنس : (كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانعزال عن الناس) .

وكان الإمام أحمد بن حنبل ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخواص، ويوسف ابن أسياط ، وحذيفة المرعشى ، وخلق كثير يحبون العزلة .. هل يعنى هذا أن نترك الناس ونذهب إلى شعاب الجبال هناك ؟ بالطبع لا ، إن الإسلام دين معاملة ومنهج حياة لذلك حرم الإسلام الرهبانية ومنع منها رسول الله ﷺ فعن أبى هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ :« المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

ولكن نخالطهم فى ماذا ؟

نخالطهم فى الخير وفى الصلاة وفى مجلس العلم والجماعة والجهاد فى سبيل الله فى خدمة المسلمين وفى الدعوة إلى الله ثم نعتزلهم فى الشر وفضول المباحات لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يفسر قول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ فيقول : فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أنزل وينذروا كما أنذر ﷺ .

وهذا تلميذ الإمام المحقق ابن القيم الجوزية – رحمه الله – يقول : وتبليغ سنة النبى إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس ، أما تبليغ السنة فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم فى أممهم – جعلنا الله جميعا منهم بمنه وكرمه وفضله : ويستطرد الداعية المبدع الراشد حفظه الله قائلا فى كتابه (المنطلق ص ١١٤ – ١١٥) : (لا ينبغى للداعية أن يبتئس إن لم يجد أفضل من قيام الليل يوما والإكثار من ختمات القرآن فإن ما هو فيه من الدعوة وتعليم الناس وتربية الشباب خير وأجزل أجرا لنشر الدعوة وتبليغها ، ويبادلون الناس بالكلام ويحتكون بهم احتكاكا هادفا لا ينتظرون مجيء الناس لهم ليسألوهم) .

هكذا كان شأن الدعاة دوما : وعلى داعية اليوم أن يكون رحالة سائحا فى محالات مدينته ومدن قطره يبلغ دعوة الإسلام .

ويروى لنا التابعى الكوفى الفقية (عامر الشعبى) أن رجالا خرجوا من الكوفة ونزلوا قريبا يتعبدون ،فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم فقال لهم : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا :أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد ، فقال عبد الله بن مسعود : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو ، وما أنا ببارح حتى ترجعوا.

وقد كان الصادق المصدوق ﷺ ينادى ويقول : فيما رواه الترمذى وأبو داود وأحمد والدارمى : عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وهذا الإمام المبارك عبد الله بن المبارك يعقد مقارنة بين من تخلى للعبادة وبين من آثر الجهاد فى سبيل الله فى قصيدته إلى عابد الحرمين الفضيل بن عياض – رحمه الله – فأنشد يقول :

يا عابد الحرمين لـو أبصرتنـا — لعلمـت أنـك بالعبـادة تلعـب
من كان يخضب خده بدموعه — فنحورنـــا بـــدمائنا تتخضـــب
أو كان يتعب خيلـه فى باطـل — فخيولنـا يـوم الكريهـة تتعـب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا — رهج السنابك والغبار الأطيـب
ولقـد أتلنـا عـن مقـال نبينـا — قول صحيح صـادق لا يكـذب
لا يستوى غبـار خيـل الله فى — أنف امرئ ودخـان نـار تلهـب
هـذا كتـاب الله ينطـق بيننـا — ليس الشـهيد بميـت لا يكـذب

الأمر الثانى: الذى يدعونا إلى الإقلاع عن الزيارة فهو المحافظة على الوقت.

فالوقت له قيمة عظيمة فى الإسلام ولهذا أقسم الله تعالى فى كتابه ، والله لا يقسم إلا بما هو غال وله قيمة ، أقسم بالعصر ، وأقسم بالضحى ، وأقسم بالفجر ، وأقسم بالليل والنهار ليلفت أنظارنا إلى أهميته وإلى خطورته حتى نتفكر فى أجزاء الوقت .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [الليل].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ ﴾ [الفجر] .

وقد جعل الله الوقت فرصة للإيمان والعمل الصالح ، وهما سبب السعادة فى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ۝٦٢ ﴾ [الفرقان] فلابد أن نتدارك ما فاتنا من الوقت وأن نعرف قيمة الأوقات وقيمة العمر الذى أنعم الله به علينا فإننا سنسأل عنه يوم القيامة، ففى الحديث فيما رواه الإمام مسلم والترمذى : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » .

ولذا كان الحسن البصرى – رحمه الله – يقول : « ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وينادى بلسان الحال ويقول : يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فإنى لن أعود إلى يوم القيامة) . وقيل لإبراهيم بن أدهم – طيب الله ثراه – يا إبراهيم كيف وجدت الزهد فى الدنيا ؟ فقال إبراهيم : بثلاثة أشياء . قيل : وما هى ؟

قال إبراهيم : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس – ورأيت الطريق طويلا وليس معى زاد – ورأيت جبار السماوات والأرض قاضيا وليس معى من يدافع عنى .

سأذكر لك نماذج من الذين استغلوا أوقاتهم ونزورهم قبل وفاتهم لنرى من أحسن استغلال الوقت وحسنت خاتمته ، ومن أساء استغلال الوقت وساءت خاتمته .

نسافر معا إلى «بغداد» لنتعرف على رجل دائم التعرف فى الطاعات ، مستغلا بذلك كل وقته حتى قيل عنه إنه كان (شيخ وقته وفريد عصره) وهو الإمام الجنيد - رحمه الله - حيث مدحه الكعبى - رحمه الله - لأصحابه فقال :

(رأيت لكم ببغداد شيخا يقال له «الجنيد» ما رأيت مثله ويعنى بذلك غزارة علمه ، وقوة يقينه ، ومتانة إيمانه وكثرة عبادته ، فإنه كان شديد الحرص على استغلال وقته بالطاعات حتى قال الحريرى واصفا وفاته : (كنت واقفا على رأس «الجنيد» فى وقت وفاته وهو يقرأ القرآن فقلت له :ارفق بنفسك ، فقال لى : يا أبا محمد ، أرأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت ، وها أنذا تطوى صحيفتى وكان قد ختم القرآن الكريم ثم بدأ بالبقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله) [1].

ونذهب من بغداد إلى بلاد الشام حتى نقابل الإمام أبا الحسن بن محمد أحد مشايخ الشام فقد توفى - رحمه الله - (وهو ساجد فى صلاة الفجر فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة) وهذه الوفاة من فضل الله تعالى عليه بأن يقبض روحه وهو ساجد يسبحه ويستغفره ويدعوه ، فقد كان سباقًا إلى الله تعالى فى استغلال وقته من الناحية العلمية والإيمانية كما يقول الإمام «السبكى - رحمه الله» .

(وكان يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنائز ولم يخلف مثله أحد من بعده) فتوفى وهو ساجد ونسأل الله أن يتحقق فيه قول الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه :

---

(١) انظر : طبقات الشافعية(للسبكى) وشذرات الذهب (لابن العماد) .

(إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء) .

ولقاؤنا الثالث مع الشيخ ابن قدامة رحمه الله حيث يرقد فى بلاد الشام ، فقد كان إماما فى كيفية استغلال وقته حتى قال عنه صاحب كتاب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » :

إنه حفظ القرآن الكريم ، والفقه ، والحديث وكان مقرئا زاهدا عابدا منيبا إلى الله ، كثير النفع لخلق الله ، ذا أوراد وتهجد واجتهاد ، أوقاته مقسمة على الطاعات من الصلاة والصيام والذكر ، وتعلم العلم والفتوة والخدمة .

أخى الحبيب : من كانت هذه بدايته فكيف تتوقع نهايته ؟

دعنا نروى لك قصة وفاته وقارن بين البداية والنهاية :

فقد كان الإمام ابن قدامة - رحمه الله :

(لا يسمع دعاءً إلا حفظه ودعا به ، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاها ، ولا يسمع حديثا إلا عمل به ، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شيبوبته ، وقلل الأكل فى مرضه قبل موته حتى عاد كالعود ، ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح) [1].

توفى رحمه الله وهو عاقد على أصابعه يسبح الله تعالى ويستغفره فماذا تقول أيها القارئ بهذه النتيجة ؟

وهذا الإمام فخر الدين الرازى :توفى عن ثلاث وستين سنة ، وتراث من التأليف نحو ٢٠٠ كتاب ما بين كتاب فى اثنين وثلاثين جزءاً كالتفسير المشهور له ، ورسالة فى صفحات .

---

(١) انظر : شذرات الذهب ٥/ ٢٧ (لابن عماد الحنبلى) .

وهذا الإمام النووى توفى عن خمس وأربعين سنة ، وكان كل يوم يقرأ اثنى عشر درسا على مشايخه ، شرحا وتصحيحا ، يأكل فى اليوم أكلة ويشرب شربة واحدة عند السحر ، ولذلك ترك من المؤلفات ما قسموه على أيام حياته فكان لكل يوم أربعة كراريس .

أما وفيات الذين استزلهم الشيطان وأضاعوا أوقاتهم فى المعاصى والآثام ونموذجنا فى ذلك هو (أبو لهب) الطاغية المعروف بعدائه للإسلام والمسلمين، فيروى لنا ابن كثير قصة وفاته فى كتابه البداية والنهاية ٣ ص ٣٠٩ فيقول : (قامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله «بالعدسة » وهى بثرة قاتلة تخرج كالطاعون فقتلته ، فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن « تعفن » - وكانت قريش تتقى هذه «العدسة » كما تتقى «الطاعون »- حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان ؟ إن أباكما قد أنتن فى بيته ألا تدفنانه ؟

فقالا : إنا نخشى عدوى هذه القرحة ، فقال : انطلقا أنا أعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ، ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضوا عليه الحجارة) .

فهذه نهاية السباقين لعبادة الشيطان :

١- مرض . ٢- تعفن . ٣- انتفاخ .

٤- ورضخ بالحجارة .

وكل ذلك قبل القبر ، فماذا يا ترى بعد القبر أو البعث أو النشور ؟ بل ماذا يجد عند الحساب وعلى الصراط ؟

أما لقاؤنا الثانى من لقاءات الذين استزلهم الشيطان فمع هذا الظالم أحمد بن الحريزى الذى كان يستغل وقته بتعذيب المسلمين واضطهاد علمائهم ، ويمنعهم من نشر الخير وإصلاح الناس :

(ففى سنة (٥٥٠هـ) كان أحمد بن الحريزى يعذب الناس بين يديه يعلق الرجال بأرجلهم والنساء بثديهن ويومئ إلى الجلاد الرأس والوجه)شذرات الذهب ٣ / ١٥٠ (ابن العماد).

وقد توفى وفاة سيئة وخسف الله بقبره كما ذكر (ابن رجب) رحمه الله قال : دخل أحمد بن الحريزى الحمام فدخل عليه ثلاثة فضربوه بالسيوف حتى قطعوه، فحمل إلى بغداد ودفن بها ، فأصبح وقد خسف بقبره .

فاضبط أُخى الحبيب ساعتك على القرآن والسنة لا على الملاهى واتعظ بمثل هذه الوفيات وزد فى عملك وعد إلى عز وجل فهو أرحم الراحمين ، فقد أورد « ابن قدامة المقدسى » فى كتابه التوابين :

يقول يوسف بن الحسين (زاهد من العلماء) كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ الغدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شاطئ الغدير واقفة فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت فقال ذو النون : إن لهذا العقرب شأنا فامض بنا ، فجعلنا نقفو أثرها فإذا برجل سكران وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهى تطلبه فاستحكمت العقرب فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها وعبرت ، فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال :يا فتى انظر مما نجاك الله : هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك ثم أنشأ ذو النون يقول :

يــا غــافلا والجليــل يحرســه   مــن كــل ســوء الظلــم
كيف تنـام العيـون عـن ملـك   تأتيـه منـه فوائـد الـنعم

فقال السكران بعد أن أفاق :

إلهى ، هذا فعلك بمن عصاك فكيف رفقك بمن يطيعك ثم ولى ذاهبا وأعلن توبته نادما على وقته الذى ضيعه فى المعاصى ، فلنحرص على استغلال الوقت .

إن ما تقدم من تحذير من الزيارات التى لا تكون على شريعة الله ، أما إذا كانت الزيارة لما بينك وبينه أخوة صادقة ومودة ، أو صلة رحم ، أو مريض فقد حثنا رسولنا ﷺ على ذلك :

روى الإمام مسلم فى صحيحه: عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : إن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟

يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمنى .

قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت إنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟

يا ابن آدم : استسقيتك فلم تسقنى .

قال : يارب ، وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟

قال : « استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما عملت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى » .

وقد روى الإمام الطبرانى فى معجمه وحسنه الشيخ الألبانى: عن أنس بن مالك ﷺ قال : رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم برجالكم فى الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « النبى فى الجنة والصديق فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة ، ألا أخبركم بنسائكم فى الجنة ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت : هذه يدى لا اكتحل بغمض حتى ترضى عنى » .

وروى الإمام مسلم : عن أبى هريرةﷺ عن النبى ﷺ (أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ـ عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

وروى الإمام الترمذى : عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ناداه منادٍ : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت فى الجنة منزلا » .

وروى الإمام مالك بإسناد صحيح : عن معاذ بن جبل ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : « قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىَّ ، وللمتجالسين فىَّ وللمتزاورين فىَّ ، وللمتبادلين فىَّ » .

وروى الإمام الترمذى : فى الحديث القدسى : « قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » .

وروى الإمام البخارى ومسلم : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ....رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » .

آداب الزيارة :

١ -أن يصافح من يلتقى بهم فى المجلس .

قال الإمام النووى : المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقى .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه : عن البراء بن عازب ﷺ قال : قال: النبى ﷺ :« ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » .

٢ -الجلوس حيث ينتهى به المجلس ولا يقيم أحدا من مكانه ليجلس محله .

لما رواه البخارى ومسلم والترمذى : عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه » وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه ».

٣-تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له .

لما رواه البخارى وأبو داود وأحمد :إن معاوية خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير قعود ، فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير – وكان أوزنهما – قال معاوية : قال النبى ﷺ : من سره أن يمثل له عباد الله قياما فليتبوأ بيتا من النار – وكان أوزنهما – قال معاوية .

٤- غض البصر : فالواجب عند الزيارة غض البصر وعدم التطلع إلى أركان البيت وإلى ما فيه وليكن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهو فى

المعراج، قال تعالى :﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ قال ابن عباس : أى ما عدل يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الحد الذى رأى .

٥-من خرج من مجلسه لحاجة ثم رجع فهو أحق به :

لما روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به » .

٦-إكرام الضيف :

لما رواه البخارى ومسلم : عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

٧- مدة الضيافة :

روى الإمام البخارى ومسلم عن أبى شريح الكعبى : أن رسول الله ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه » .

٨- التخفيف من الزيارة :

حتى لا يتضرر أهل البيت بذلك ، كما فعل القوم مع النبى ﷺ عندما تزوج زينب فجلسوا وأطالوا الجلوس ، وكان يريد انصرافهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٩- الاستئذان عند الذهاب :

لما رواه أبو الشيخ فى (تاريخ أصبهان) وصححه الألبانى عن ابن عمر رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه » .

١٠- كفارة المجلس : لما رواه أبو داود عن أبى برزة الأسلمى قال : كان رسول الله ﷺ يقول بآخره إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل : يا رسول الله ، إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى . قال : «كفارة لما يكون فى المجلس» .

هذه بعض آداب الزيارة فى الإسلام ، نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى الإسلام ردا جميلا . والحمد لله أولا وآخرًا ظاهرا وباطنا ، والحمد لله رب العالمين .

« موعظة اليوم »

التوبة قبل الجهاد

كان الفضيل بن عياض : رحمه الله : يقول للمجاهدين إذا أرادوا الخروج للجهاد : عليكم بالتوبة ، فإنها ترد عنكم ما لا ترده السيوف .

« فى واحة الشعر »

أحداث عهد عصابة حكموا بنى ... مصر بــلا خلــق ولا قــانون
آنســت مظــالمهم مــن خَلَــواْ ... حتــى ترحمنــا عــلى «نــيرون»
حسبوا الزمان أصم أعمى عـنهم ... قــد نَومُّــوه بخطبــة وطنــين

«من مواقف الصالحين »

حُكى عن محمد بن المنكدر –رحمه الله – أنه كان له شقاقٌ – جنس من الثياب – بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع غلامُه فى غيبته شقةً من الخمسيات بعشرة .

فلما حضر ابنُ المنكدر ، وعلم بذلك صار يطلب المشترى طول النهار حتى وجده ، وقال له :

إن الغلام غلط فباعك خمسة بعشرةٍ .

فقال المشترى : يا هذا ، قد رضيتُ .

فقال ابن المنكدر : إن رضيت أنت فأنا لا أرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال :

إما أن تأخذ شقَّةً من العشريات ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد علينا شُقتنا وتأخذ دراهمك .

فقال : أعطنى خمسةً .

فدفعها إليه وانصرف الأعرابى وهو يسأل ويقول :

من هذا الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر

فقال الأعرابى : لا إله إلا الله ، هذا الذى نستقى به فى البوادى إذا قُحطنا .

« يستفتونك »

س – هل يجوز للمرأة أن تكون إمامًا فى الصلاة ؟

ج : معلوم أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ، والنصوص فى ذلك كثيرة ، وإذا كان الإسلام يفضل أن تصلى المرأة فى بيتها بدل أن تصلى فى المسجد ، من أجل ثواب الجماعة فإنه يمكنها أن تقيم صلاة الجماعة فى بيتها ، أو فى المدرسة التى تتعلم أو تعلّم فيها ، أو العمل الذى تمارسه مع الزميلات ، فإذا كان فى البيت زوجها أولدها أو أبوها أو أخوها مثلاً كان هو الإمام والمرأة مأمومة ، وكذلك فى المدرسة أو العمل يجوز أن يصلى بالنساء أحد المدرسين أو أحد الزملاء سواء كانت الصلاة فى المسجد أو فى مكان إمامًا لبناتها أو نساء أخريات فى المنزل أو للزميلات فى المدرسة والعمل ، وذلك رأى جمهور الأئمة.

والإمام مالك هو الذى يمنع أن تكون المرأة إماما مطلقًا ، لا للرجال ولا للنساء فلا يجوز أن يقتدى بها الرجل حتى لو كان ابنها أو أباها أو أخاها فإمامتها على رأى الجمهور جائزة للنساء فقط .

وروى أبو داود والحاكم ، وابن خزيمة وصححه أن النبى ﷺ : جعل لأم ورقه بنت نوفل مؤذنًا ، وأباح لها أن تؤم أهل بيتها من النساء فقط ، وذلك لحديث رواه ابن ماجه عن جابر أنه سمع النبى ﷺ يقول على المنبر : « لا تؤمَّن امرأة رجلاً لا فاجراً ولا مؤمنًا » .

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تؤم النساء وتقف معهن فى الصف ، وكذلك كانت السيدة أم سلمة رضى الله عنها تفعله ، ويرى بعض الأئمة أن المرأة إذا كانت إمامًا للنساء تقف فى الصف ولا تتقدم عليهن ، لكن لو تقدمت فصلاتها وصلاة المأمومات صحيحة لعدم ورود النهى عن ذلك . والله أعلم .

توصيات عملية :

١-نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

٢- من ترك النظرة المحرمة مخافة الله شعر بلذة الإيمان وحلاوة الطاعة والعكس بالعكس .

٣-يشمل غض البصر التلفاز والجرائد والمجلات إذا حوت صوراً عارية ومشاهد محرمة .

٤-لا تنس الدعاء للمجاهدين المستضعفين من المسلمين بالنصر والحفظ من كيد العداء وبخاصة «إخواننا فى فلسطين ، والعراق ، والشيشان وغيرها من بلاد المسلمين » .

٥-حدث نفسك بالجهاد والفداء لقول النبى ﷺ :« من مات ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » .

الحلقة : الثالثة عشرة

فى

« الشباب فى موكب الإسلام »

« وقفة إيمانية »

لـك مقـدار دمـع ، إن لم تكفـك الـدنيا لتـذرفه ذرفتـه فى الآخـرة وعنـدك مخـزون حزن .. إن استنفذته فى دنيـاك انمحـى مـن ذاكرتك معنى الحزن فى أخراك وكنـت مـن الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ، ويظلهـم الله فى ظله ، ادفع الثمن كاملاً اليـوم فـلا مجـال هنا للمساومة .

الشباب فى موكب الإسلام

قال تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف] .

الشباب مرحلة القوة:

الشباب يمثل مرحلة القوة والحيوية الدافئة ؛ لأنه وسط العمر ووسط كل شيء خياره ، فحيثما تكون الشمس فى كبد السماء فى رابعة النهار تكون أقوى وأحر ما تكون ، الشباب إذا مرحلة الفتوة والحيوية فى عمر الإنسان وفى حياته، ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة .

مرحلة العطاء والبذل والقدرة على تحمل الأعباء ، ولذلك كان حملة الدعوات وحماة الرسالات شبابا ، فنحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان كما يؤدى واجبه ويبلغ أهدافه ، ويؤدى الحقوق الأدبية المكتوبة عليه ،ولهذا كانت مرحلة الشباب من أخطر المراحل فى حياة الناس ، وكان لها حساب خاص عند الله ، لم ؟ لأنها مرحلة القوة فإن الإنسان يبدأ به ضعف الطفولة ، وينتهى وبه ضعف الشيخوخة ، يبدأ ضعيف القوة المادية والأدبية ، وينتهى وقواه المادية ضعيفة ، وإن كان واسع التجربة ، أو كثير المعرفة .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم].

هذه القوة بين ضعفين ، جعلت لفترة الشباب حسابا خاصا ، وجعلت النبى ﷺ يقول فى ما رواه الإمام الترمذى عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيم علم ؟ » .

ولما كان الشباب من العمر ، وسيسأل الإنسان عنه ما دام جزءا من عمره ، لكن الله أراد أن يبين أن للشباب حسابا خاصا دون فترة الصبا الباكر أو المراهقة ، فإن فترة الشباب تعتبر فعلا أعمر الفترات بالقوة وأملأها بالخيال ، وأغلاها بالطاقات المادية والأدبية على السواء ، وهذه الخواص التى حفت بفترة الشباب جعلت لهذه الفترة ولأصحابها مكانة خاصة .

قال المؤرخون : كان النبى ﷺ يعرف بأنه يحف دائما بهذا الزهر المتفتح من الشباب الذين وهبوا الله أعمارهم وكرسوا له قواهم ، واستطاعوا أن يكونوا قذائف الحق التى دمر بها الباطل ، واستطاعوا أن يكونوا مشاعل النور التى أضاء لها الظلمة ، واستطاعوا أن يكونوا طلائع الفجر التى تطلع على الدنيا بحضارة الإسلام فأغناها روحيا وماديا بعد أزمات روحية ومادية طاحنة طحنت البشرية وأسقطت قدرها ، وجعلت همتها خسيسة وحركتها كليلة ، فلما ظهر هذا الشباب حول محمد ﷺ بدأ الإسلام يؤدى رسالته تأدية رائعة جليلة .

النبى ﷺ نفسه بعث فى اكتمال شبابه على سن الأربعين ، وإذا كانت خصائص الشباب من قوة وسعة ، ورحابة ، وعاطفة حارة وإقبال عارم ، كل ذلك بقى فى الكيان النبوى حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وعندما ننظر إلى

الرجال المقاتلين ، فأرى الثلاثة الذين قتلوا فى مؤتة : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، كانوا شباباً تقريبا فى الثلاثين من أعمارهم ، ومع ذلك فإن زيد بن حارثة تلاشى فى رماح الرومان وجاء بعده جعفر فقاتل بضراوة ، وكان رجلا فيه كبرياء الإيمان واعتزاز أهل اليقين بما وهبوا من سمو وشرف ، فلما قاتل سمع منه :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

والروم يومئذ كانوا هم الدولة الأولى فى العالم ، ولكن جعفر ، وهو تلميذ من تلامذة محمد بن عبد الله ﷺ كان يحتقر الكفر وأهله ، وكان يرى أن القوة البدنية والطاقة المادية إن ساندت الضلال والشرك ، فما تساوى ولا تعلن خسيسة أحد ولا ترفع قدر مبدأ ، ولذلك قاتل الروم باحتقار : احتقار الشرك واحتقار الوثنية والمظالم ، قاتل وقُتل ، وجاء بعده عبد الله بن رواحة ، فأخذ الراية وتردد بعض الشيء فأنشد يخاطب نفسه وهو يقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه
إن أجلب الناس أشد الرنة ما لى أراك تكرهين الجنة
قد طال ما كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة فى شنة

وقاتل وقتل شهيدا ..

زيد بن حارثة خلف ولدا أسماه أسامة بن زيد ، جعله النبى ﷺ قائدا على جيش لمقاتلة الرومان ، وليدرك ثأر أبيه فى مؤتة ، من هو أسامة هذا ؟ ابن زيد ابن حارثة ، وأم أيمن .

ومن هو زيد بن حارثة ؟ ...ومن هى أم أيمن ؟

زيد بن حارثة كان طفلا عربيا تجرى فى عروقه دماء إفريقية إذ كان يصفونه (قصيرًا ، شديد السمرة ، فى أنفه فطس) ، خطفته قبيلة عربية فى غارة من غارات الجاهلية ، وباعوه فى سوق عكاظ ، فاشتراه (حكيم بن حزام) ، وأهداه لعمته [خديجة] زوج محمد بن عبد الله ﷺ ، ووهبت خديجة زيدا إلى زوجها محمد الذى لم يكن قد بعث نبيا بعد ، فأعتق محمد زيداً أى حرره واتخذه بمثابة الولد ، وتزوج زيد [أم أيمن] وهى جارية حبشية كانت وصيفة لزوجة عبد الله بن عبد المطلب .

فجاء أسامة ، أبوه عبدًا تجرى فى عروقه دماء إفريقية ، وأمه جارية حبشية سوداء خالصة ، وهو (أى أسامة) ، قيل ، توقفت ناقة النبى ﷺ على رأس موكب الحجاج ، فتعطل الموكب كله ، وتطلع الناس يرون من هو ذلك الذى ينتظره رسول الله ﷺ ، ويعطل سير الحجاج من أجله ، فجاء غلام أسود أفطس ، قد ترك الجدرى آثاره فى وجهه .

وتحركت العنجهية وميراث التفرقة العنصرية والطبقية فى بعض النفوس ، فقالوا : من أجل هذا الغلام الأفطس الأسود يوقف المسير ؟ أمثاله من العبيد السود فى إمبراطوريات الروم والفرس كان يحظر عليهم لمس شراب أو طعام السادة ، وكان يحظر عليهم دخول بيوت السادة ، مكانهم فى الاسطبلات والمراعى ...والأعمال الدنسة النابعة منهم كان يصارع الأسود لتسلية السادة ، وحتى مطلع عصر التحرر فى أوربا كانت هناك أسلحة خاصة لا يحق لغير النبلاء استخدامها .

عبد أسود فتك الجدرى بوجهه ... فى عالم ينقسم إلى سادة وعبيد ، إلى بيض وملونين .. وينقسم السادة فيه إلى طبقات ومراتب ، وينقسم العبيد فيه إلى درجات .. أدناها وأوضعها مرتبة العبد الأسود .

أى مستقبل لعبد أسود أفطس ؟ كان المستقبل ...كيف ولماذا ؟ لأنه كان أسود سعيد الحظ ...ولد قبل الأمم المتحدة بـ ١٤ قرنا ، وعلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية ، جاء فى لحظة نادرة من عمر الدنيا وهى لحظة ظهور الإسلام ، وانبثاق حضارة جديدة لا تقسم الناس إلى ألوان ولا إلى أصول وأعراق ، ثورة جاءت ليس فقط لتحرر المستذلين والمستعبدين ، بل وتضعهم فى الصف الأول ، فقد ولى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قيادة الجيش وعمره ثمانية عشر عاما ، يولى القيادة ويتولاها بجدارة ويشعر الشاب وهو يمتطى فرسه وينطلق إلى وجهه أن خليفة رسول الله ﷺ وسنه واحد وستون عاماً ، يمشى إلى جانبه فيخجل أسامة ، ويقول : يا خليفة رسول الله ، إما أن تركب وإما أن أنزل ، فيقول الخليفة الراشد له : والله لا أركب ولا تنزل وما علىَّ أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله !!

ثم من باب إعطاء القائد حرمة القيادة وحرية الرياسة يقول أبو بكر لأسامة: هل تأذن لى فى عمر ليبقى معى ؟ وعمر بن الخطاب مجند فى الجيش ، فيأذن أسامة بن زيد فى أن يبقى عمر ، ويصدر أمراً ببقاء عمر مع خليفة رسول الله ﷺ .

عندما أتصور شابا فى الثامنة عشر من عمره أقول فى نفسى : طبيعة الإيمان وتربية القرآن ، لو كان هذا فى إحدى العواصم العربية لرأيناه يتسكع فى

الطرقات سادلا شعره على رأسه كأنه امرأة لا يعرف ماذا يصنع ؟ ولا يدرى هو أن أله فى الحياة رسالة أم لا ؟

بهؤلاء الرجال مضى الإيمان فى طريقه لم يتوقف فكان الشباب يعلمون أن مكانتهم عند الله بمقدار ما يضحون وبمقدار ما يؤدون ، سمعوا فى دينهم حديثاً عن الفتية أصحاب الكهف كانوا شاباً، لكنه شباب زانه الإيمان ، زانته المغامرة فى سبيل الله ، زانته المقاومة للضلال السائد والرفض للشرك المستبد ، ذكره القرآن ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ [يوسف:٢٣] .

وسمعوا القرآن يتحدث عن شباب يوسف ، كيف زانته العفة ، عرضت عليه الشهوة ، المتعة الجنسية سعت إليه ، ولم يسع هو إليها ، وكانت كل العوامل تجعله يقبل مثل هذا لو كان ضعيف الإيمان فهو شاب عنده قوة الشباب وجماله وعنفوانه ، وهو شاب غريب عن وطنه ليس هناك من يعرفه ، وليس هناك من يلومه ... وهو غريب ليس عنده زوجة تعفه ويستغنى بها ، والتى تدعوه ليست امرأة من عرض الطريق ، إنما هى امرأة ذات منصب وجمال، فهى امرأة العزيز ، وهى سيدته ، وهو مملوكها ، وهو فى بيتها ،ولم تكن فتنة عارضة ، ولا لحظة طارئة ، ولكنها فتنة تراوحه وتغاديه وتصابحه وتماسيه... وهى التى دعته إلى نفسها ، ولم تكتف بالتلميح حتى دخلت فى باب التصريح ، وقالت : هيت لك ، ولكن يوسف رفض ذلك كله بإباء وشمم وقال : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف].

ولما لم يُجْدِ مع يوسف الإغراء ، لجأت إلى التهديد والوعيد ، وقالت أمام النسوة ما قالت متوعدة مهددة : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ

يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف ٣٣] .

كان يوسف عليه السلام مخيرا بين محنتين : محنة فى دينه : أن يزنى ويكون من الفاسقين ، ومحنة فى دنياه : أن يسجن ويكون من الصاغرين ، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين ، وقال : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ .

ولما غضب إبراهيم عليه السلام من مسلك أبيه تاجر الأصنام الذى يصنعها، ويغرى الناس بعبادتها واستطاع أن يناوش الأصنام بلسانه ، ثم بيده وكان حديث الناس : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء]

فالذى حطم الأصنام كان شابا ، كانت قدرة الشباب ، وطاقته وعواطفه وأفكاره وآماله ، كانت تدور حول قيم حقيقية ، حول مثل رفيعة ، حول أهداف نقية ، فكان الشباب بحق نور لأمته وخيرا للدين الذى اعتنقه وعاش به ، وعاش له ، هذا من الناحية العسكرية ، أما من الناحية العلمية ، فعندما أنظر إلى الرجال الذين اعتبروا أئمة لهذه الأمة ، أرى أنهم كانوا من الشباب : عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الذى غار منه بعض كبار السن ، لأن عمر رضي الله عنه كان يجعله مع مشيخة الأمة فى استشارته والأخذ برأيه ، كان شابا ، عبد الله ابن الزبير ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عمرو العبادلة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شبابا ، أبو هريرة كان شابا كثير الشكوى للنبى ﷺ من العزوبة ، وكان يرجوه أن يعينه على الزواج ، وهذا الشاب شغل نفسه بالعلم حفظاً واستيعاباً ، ورواية ودراية ، ونشراً وانطلاقا به فى الآفاق ، فكان المؤسس للحضارة العلمية فى هذا الدين القيم .

ووجدنا الأئمة من بعده ناسا حلاوة العلم عندهم أذهلتهم عن حلاوة المادة والبحث وراءها ، والاستكثار منها ، وجدنا رجلا كالشافعى الذى سعدت القاهرة بأنه كان يدرس فى مساجدها ، مسجد عمرو بن العاص ﷺ ، ومساجد أخرى .

هذا الإمام مات وعمره بضع وخمسون سنة ، أى إنه كان يكوِّن علمه وهو شاب ، والشافعى هو الواضع لعلم أصول الفقه الذى هو فن التشريع فى الإسلام (فن تقنين القوانين واستخراج الأحكام وتقعيد القواعد) .

مات الشافعى فى الخمسين من عمره ، متى صنع هذا الفقه ؟ فى شبابه ، وهو الذى يقول عن نفسه : أنه ما كان عبدا للمال ولا لجاه ولا يتبع نفسه شيئا من هذا ، يقول :

أمطرى لؤلؤاً جبال سرنديب وفيض آبار تكرور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبرا
همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

هذا إمام من أئمة الفقه الإسلامى .. هذا شاب من علماء المسلمين ، معروف أن فترة الشباب فترة قوة الغريزة الجنسية وعرامها ، واشتداد أمرها ، ومن قديم قال العلماء : إن هذه الغرائز تقوى مع كثرة المثيرات وتضعف مع قلة المثيرات ، ولا أعنى بتقوى وتضعف ، أنها تصح وتعتل ، بل أعنى أن هناك ما يخرجها عن حد الاعتدال ، وهناك ما يلزمها حد الاعتدال من البيئة والسلوك العام حولها .

ولذلك فإن الشباب أحوج أهل الأرض إلى مشرفين أمناء يدركون كيف يستغلون قوته فى الخير ، وكيف يهذبون غرائزه ويجعلونها لا تتردد ولا تنزلق ولا تنحرف .

بنى الحبيب : لم تكتب إلى على تردد واستحياء ؟ تحسب أنك وحدك الذى يحس هذه الوقدة فى أعصابه من ضرم الشهوة ، وأنك أنت وحدك الذى اختص بها دون الناس أجمعين ؟

لا يا بنى هون عليك فليس الذى تشكو داءك وحدك ولكنه داء الشباب ، ولئن أرقك هذا الذى تجد وأنت فى السابعة عشرة فلطالما أرق كثيرين غيرك صغارا وكبارا ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى ولطالما صرف التلميذ عن درسه والعامل عن عمله والتاجر عن تجارته .

وما الحب الذى افتن فى وصفه الشعراء ، وفى تحليته الأدباء إلا ما تجده أنت سواء بسواء ، ولكنك أخذته مجردا مكشوفا فعرفه الناس فلم يخدعوا عنه ، والشهوة فى رسالتك إلى كالشهوة فى غزل الشعراء وشعر الغزليين ، ولوحات المصورين ، وألحان المغنيين ، ولكن الضمير هنا بارز ظاهر ، والضمير هناك مستتر خفى ، وشر الداء ما خفى واستتر .

إنه ما أشرف بنى الحبيب على مثل سنك أحد إلا توقد فى نفسه شىء كان خامدا ، فأحس حرارة فى أعصابه ، وتبدلت فى عينه الدنيا غير الدنيا والناس غير الناس ، فلم يعد يرى المرأة على حقيقتها إنسانا من لحم ودم ، له ما للإنسان من المزايا وما فيه من العيوب ، ولكن أملا فيه تجتمع الآمال كلها وأمنية فيها تلتقى الأمانى ، ويلبسها من خيال غريزته ثوبا يخفى عيوبها ويستر نقائصها ، ويبرزها تمثالا للخير المحض والجمال المكمل ، ويعمل منها ما يعمل

الوثنى من الحجر ينحته صنما ، ثم يعبده بطوعه ربا ، إن الصنم للوثنى رب من حجر والمرأة للعاشق وثن من خيال .

كل هذا طبيعى معقول ولكن الذى لا يكون أبدا طبيعيا ولا معقولا أن يحس الفتى بهذا كله فى سن خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة ، ثم يضطره أسلوب التعليم إلى البقاء فى المدرسة إلى سن العشرين أو خمسة وعشرين .

فماذا يصنع الفتى فى هذه السنوات وهى أشد سنى العمر اضطرام شهوة واضطراب جسد وهياجا وغليانا ؟ ماذا يصنع ؟ هذه هى المشكلة .

أما سنة الله وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج ، وأما أوضاع المجتمع وأساليب التعليم تقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولكن إياك أن تفكر فى الرابعة التى هى وحدها الخير وهى الزواج .

إما أن تنطوى على نفسك على أوهام غريزتك وأحلام شهوتك تدأب على التفكير فيها وتغذيها بالروايات الداعرة والأفلام الفاجرة والصور العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك وتستأثر بسمعك وبصرك فلا ترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن ، تراهن فى الكتاب إن فتحته وفى طلعة البدر إن لمحته وفى جمرة الشفق وفى سواد الليل وفى أحلام اليقظة وفى رؤى المنام :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل سبيل

ثم لا تنتهى بك الحال إلا إلى الهوس والجنون أو انهيار الأعصاب .

وإما أن تعمد إلى ما يسمونه (الاستمناء) ، وقد كان يسمى قديما غير هذا ، وقد تكلم فى حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ، وكان له فى كتب الآداب بابا لا أحب أن أدل عليه أو أرشد إليه ، وهو وإن كان أقل الثلاثة شرا وأخفها

ضررا لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما كئيبا مستوحشا يفر من الناس ، ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو فى رباط الحياة .

إن من عجائب حكمة الله أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط ، وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض ، ولرب رجل ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف والطهر كشاب فى الثلاثين ، ومن أمثال الإفرنج التى سمعناها وهى حق وصدق : من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته .

وكأنى أسمعك بنى الحبيب تقول : هذا الداء فما هو الدواء ؟

والدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء وهو الزواج ، إن الله ما حرم شيئا إلا أحل شيئا مكانه حرم المراباة ، وأحل التجارة ، وحرم الزنا وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج . وهو وحده طريق الإصلاح ،فإذا لم يتيسر لك فليس إلا التسامى (التعفف) وأنا لا أريد أن أعقد هذا الكلام بمصطحات علم النفس ليكون مفهوما واضحا ، فأضرب لك مثالا يوضح لك ما سبق : أترى إبريق الشاى يغلى على النار ؟

إنك إن سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه فجره البخار المحبوس وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة ، أدار لك المصنع وسير القطار وعمل الأعاجيب .

فالأولى : حالة من يحبس نفسه عن شهوته يفكر فيها ويعكف عليها .

الثانية : حالة من يتبع سبل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

الثالثة : حال المتسامى (المستعفف).

فالتسامى : هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحى أو عقلى أو قلبى أو جسدى يستنفذ هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق فى العبادة أو بالانقطاع إلى العمل ، والانغماس فى البحث أو بالتفرغ للفن والتعبير أو بالجهد الجسدى والإقبال على الرياضة والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية والإنسان يا بنى محب لنفسه لا يقدم أحدًا عليها ، فإذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ومتانة صدره وقوة يديه كان هذا الجسم الرياضى المتناسق القوى أحب إليه من كل جسد أنثى ولم يرض أن يضحى به ، ويذهب قوته ويعصر عضلاته ، ويعود جلدا على عظم من أجل سواد عينى فتاة ولا من أجل زرقتها ، فالحل هو الزواج ، فإن لم يكن التسامى، ولا تستح مما تجد من حر هذه الشهوة التى ركبها الله فى النفس ، إنها علامة القوة والأيد والشباب وعليك بالزواج .

ولو أنك طالب للعلم لا تزال فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله والانغماس فى العبادة وقراءة القرآن والذكر والعبادة وحضور مجالس العلم ، وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج .

والله أسأل أن يرى شبابنا الحق حقا ويرزقهم اتباعه ويريهم الباطل باطلا ويرزقهم اجتنابه ، وأن يبصرهم دائما طريق الحق والهدى والرشاد ، إنه أكرم مأمول وخير مسئول .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

« موعظة اليوم »

«العلماء أطباء »

قال سفيان الثورى ، رحمه الله :

الأعمال السيئة داء والعلماء دواء ، فإذا فسد العلماء فمن يشفى الداء .

«فى واحة الشعر » :

ســـــتعلم أمتنـــــا أننـــــا ركبنـــا الخطـــوب هيامـــاً بهـــا
فـــإذا نحـــن فزنـــا فيـــا طالمـــا تـــذل الصـــعاب لطلابهـــا
وإن نلـــق حتفـــاً فقـــد قـــدمت كـــؤوس المنايـــا لشَّرابهـــا

« من مواقف الصالحين »

« عطاء عمر بن عبد العزيز »:

أتت عمةُ عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة فقالت : إنى أريد كلام أمير المؤمنين : قالت لها : أجلسى حتى يفرُغ :فجلست فإذا بغلام قد أتى ، فأخذ سراجاً .فقالت فاطمة : إن كنت تريدنيه فالآن ، فإنه إذا كان فى حوائج العامة، كتب على الشمع ، وإذا صار إلى حاجة نفسه ، دعا بسراجه ، فقامت ، فدخلت

عليه ، فإذا بين يديه أقراص وشىء من ملح وزيت ، وهو يتعشى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أتيت بحاجةٍ لى ، ثم رأيتُ أن أبدأ بك قبل حاجتى .

قال: وماذاك يا عمَّة ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا .

قال : ليس عندى ، يا عمة ، ولو كان عندى لفعلت .

قالت : يا أمير المؤمنين ، كان عمك عبد الملك يُجرى على كذا وكذا ، ثم كان أخوك الوليد فزادنى ، ثم وليت أنت فقطعته عنِّى .

قال : يا عمة إن عمى عبد الملك وأخى الوليد وأخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين ، وليس ذاك المال لى فأعطيكه ، ولكن أعطيك ما لى إن شئت: فقالت وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

قال : عطائى مائتا دينار فهو لك ؟ قالت : وما يبلغ منى عطاءك ؟

قال : فليس أملك غيره يا عمة . قالت : فانصرفت عنه .

س – ما حكم الدين فى محاولات الطلاب للغش أثناء الامتحانات ، وهل يجوز للملاحظين أن يساعدوهم نظراً لصعوبة الامتحان ؟

ج – من المقرر أن الغش فى أى شىء حرام ، والحديث واضح فى ذلك « من غشنا فليس منا » رواه مسلم ، وهو حكم عام لكل شىء فيه ما يخالف الحقيقة فالذى يغش ارتكب معصية ، والذى يساعده على الغش شريك له فى الإثم ، ولا يصح أن تكون صعوبة الامتحان مبررة للغش فقد جعل الامتحان لتمييز المجتهد من غيره ، والدين لا يساوى بينهما فى المعاملة وكذلك العقل السليم لا يرضى بهذه التسوية ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

وانتشار الغش فى الامتحانات وغيرها رذيلة من أخطر الرذائل على المجتمع، حيث يسود فيه الباطل ويندحر الحق ، ولا يعيش المجتمع بانقلاب الموازين الذى تسند فيه الأمور إلى غير أهلها ، وهو ضياع للأمة وإحدى علامات الساعة كما فى الحديث الشريف .

والذى تولى عملاً يحتاج إلى مؤهل يشهد له بكفاءته وقد نال الشهادة بالغش يحرم عليه ما كسبه من وراء ذلك ، وكل لحم نبت من السحت فالنار أولى به وقد يصدق عليه قول الله تعالى :﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وإذا كان قد أدى عملاً فله أجر عمله كجهد بذلة أى عامل ، وليس مرتبطاً بقيمة المؤهل ، وهو ما يعرف بأجر المثل فى الإجارة الفاسدة ، وما وراء ذلك فهو حرام . والله أعلم .

توصيات عملية :

١-أخلص العمل يكفك منه القليل ؛ لأن صاحب النية الصادقه بنيته يسبق صاحب العمل بعمله .

٢-زر دارًا للأيتام ، وأكفل يتيمًا من أيتامها .

٣ – عد مريضًا فى المستشفى من تعرف أو لا تعرف ، واصطحب معك هدية بنية إدخال السرور عليه ، خاصة لو كان محتاجاً .

٤- أعط الولاء لله وللرسول وللإسلام ، وأعلن البراء من الشرك والمشركين.

٥- أعط القدوة للناس فى كل شىء فى التزامك بمبادئ الإسلام ومناهجه الشريفة والولاء لله وللرسول ، وفى تعميق الأخوة الإسلامية .

٦- أعط القدوة فى حسن تعاملك مع الناس وكرم أخلاقك مع العامة .

الحلقة : الرابعة عشرة

فى

« صداقة الكون للمؤمنين »

« وقفة إيمانية »

قال ابن القيم : « اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود ، والبضائع رخيصة ، سيأتى على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير » .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ :

« إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا «أى فارغاً» لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة » .

صداقة الكون للمؤمنين

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل].

ونقف هنا أمام صداقة إيهانية أكيدة وأمام حرص إيهانى متبادل بين الطرفين، فالكون كله يساند أهل الإيهان ويدعو إلى التوحيد الخالص لله وكل المخلوقات تعين أهل الإيهان على أداء رسالتهم فالمؤمن الصحيح ليس بمفرده فى هذا الكون ، ولكن جنود الله التى تساعده كثيرة وما يعلم جنود ربك إلا هو .

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله : (ونقف هنا أمام خارقتين لا خارقة واحدة ، خارقة إدراك سليهان لتحذير النملة لقومها ، وخارقة إدراك النملة أن هذا سليهان وجنوده ، فأما الأولى فهى مما علمه الله سليهان ، وسليهان إنسان ونبى ، فالأمر بالقياس إليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية فى مقالة النملة ،

فقد تدرك النملة أن هؤلاء خلق أكبر ، وأنهم يحطمون النمل إذا داسوه ، وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة مثل أى مخلوق ، أما أن تدرك النملة أن هذه الشخوص هى سليمان وجنوده فتلك هى الخارقة الخاصة التى تخرج على المألوف)[1].

ولكنها صداقة الإيمان وفضل الله يؤتيه من يشاء ، ثم يستمر الشهيد سيد قطب قائلا : (ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب صاحب إدراك وذكاء إيمان وبراعة فى عرض النبأ ويقظة إلى طبيعة موفقة وتلميح وإيماء أريب ، فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله ، وأن السجود لا يكون إلا لله وحده الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض وأنه رب العرش العظيم)[2].

وانظـــر إلى ذلـــك الهدهد المؤمن الداعى للإيمان يختار من نعم الله ما يخصه ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حيث إن الهدهد له مقدرة على رؤية الماء والغذاء تحت سطح الأرض .

ونجد أنفسنا فى حرج – أى حرج وأى خجل – حينما نقصر فى واجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإذا كان الإيمان فى نفوسنا وفى نفوس الناس ، نكون فى غاية الحرج وفى غاية الخجل أمام إيجابية لك الهدهد الذى فزع حينما رأى ناسا يسجدون للشمس من دون الله ، فلم يتقاعس ولم يتوان ولم يلتمس لنفسه عذر الضعف أو عذر عدم المقدرة ؛ لأنه طائر ضعيف أمام ملكة قوية لها ملأ وأتباع وجنود .

---

(١) الظلال ٥ / ٢٦٣٧.

(٢) الظلال ٥ / ٢٦٣٩ .

إنه لم يقل كما كثير من أصحاب السلبية واللامبالاة - إننى لن أغير الكون - ولم يقل الزم نفسك عليك نفسك ، ولم يقل الباب الذى يأتيك منه الريح أغلقه واسترح ، كل هذه الشعارات إنما هى شعارات ضعفاء الإيمان ضعفاء اليقين بقوة الله التى هى مع المؤمن الصادق .

يأتى الهدهد بثبات الإيمان ويقف أمام النبى الملك ويقول : (أحطت بما لم تحط به) وبهذه القوة يخاطب هذا الهدهد الضعيف البنيان القوى الإيمان ، يخاطب النبى الملك سيدنا سليمان عليه السلام ، فعلى الفور ينزعج سليمان عليه السلام ويتابع موضوع الدعوة إلى الله ويرسل الكتاب إلى ملكة سبأ ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وحينما ترد الملكة على الكتاب بهدية يردها سليمان قائلا :﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾[النمل : ٣٦] .

فليس الموضوع عند أهل الإيمان ملكا ماديا ولكن هبة الإيمان ونعمة الهداية هى أفضل من ملك الدنيا بأثرها لا يتخلى عنها المؤمن الصادق بإغراء مادى أو بتهديد سلطان قوى لأن المؤمن الصادق يعلم أن الدنيا كلها معه تسانده وتدعوا معه للإيمان :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

إن المؤمن الصادق يمتلك كل أدوات التغيير حتى وإن لم يكن معه شىء من أسباب القوى المادية فيكفيه أنه مع الله القوى الجبار المهيمن مالك الملك ، وهذا ما نراه فى قصة الذى عنده علم من الكتاب فإنه بإيمانه تفوق على القوى غير العادية ، ثم ننتقل إلى صداقة إيمانية جديدة مع الذى عنده علم من الكتاب وحادثة نقل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى نبى الله سليمان طرفه ، يقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله : (وهذا الذى عنده علم من الكتاب ، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التى

تتسم بها هذه الخارقة التى تمت على يده لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقى ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار) (١) .

يقول الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله : (إذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه أسباب النجاح جميعا)

للمؤمن يسخر الله كل شىء :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح].

هذه الجنود يسخرها الله - تبارك وتعالى - لعباده المؤمنين ، فقد رأينا الكون بما فيه ومن فيه يتجاوب مع المؤمن الصادق فوجدنا أن البحر يحمل أمانته ويؤديها عنه .

وذلك فيما رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه (يقرضه) ألف دينار فقال : ائتنى بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدا ، قال : فائتنى بالكفيل ، قال كفى بالله كفيلا ، قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج فى البحر فقضى حاجته ، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها البحر فقال : (اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا فرضى بك، وسألنى شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا فرضى بك ، وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى أستودعكها ، فرمى بها فى البحر

---

(١) الظلال جـ ٥ / ٢٦٣٧.

حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده ، فخرج إلى الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها حطبا لأهله فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار ، فقال : والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه .

قال : هل كنت بعثت إلى بشىء ؟قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه ، قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت وانصرف بالألف دينار راشدا) .

وإن النهر يفهم رسالته فيفيض بالخير ، وإن الوحوش تلبى نداءه فتخلى له الوادى .

(ومن ذلك أن المصريين كانوا متعودين أن يأتوا بفتاة كل عام ويزينوها ويرموها فى نهر النيل ويقولون هذه عروس النهر ، واعتقدوا أنهم لو لم يفعلوا ذلك ما جاد النيل وما فاض خيره ، فلما دخل المسلمون مصر أرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بعروس النيل ، فماذا فعل عمر بن الخطاب أحضر صحيفة فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد : فيا أيها النيل إن كنت تجرى بأمرك فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت تجرى بأمر الله فاجر بأمر الله) ، وقال لعمرو بن العاص : ارم الصحيفة فى النيل ولا ترم فتاة بعد اليوم فإن هذه جاهلية ، فلما رمى عمرو بن العاص بالصحيفة فى نيل مصر زاد منسوب الماء ضعف ما كان يأتى قبل ذلك .

وإن الملائكة تنزل من السماء لسماع تلاوته ، وإن الذئب يرعى غنمه حتى استيقظ من نومه .

كان أسيد بن حضير يقرأ سورة (البقرة) فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهى الملائكة نزلت لقراءته .

وروى عن مالك بن دينار قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، قالت رعاة الشاة فى ذروة الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذى قام على الناس ؟ فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنا إذا قام على الناس خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شاتنا .

وعن حسن القصار قال : كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع وفى غنمه نحو ثلاثين ذئبا فحسبتها كلابا ، ولم أكن رأيت الكلاب قبل ذلك ، فقلت : يا راعى ما ترجوا بهذه الكلاب كلها ، فقال يا بنى: إنها ليست كلابا ، إنما هى ذئاب ، فقلت : سبحان الله ذئاب فى غنم لا يضرها ؟ فقال : يا بنى إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

وإن الله أسمع صوته لجنده على بعد مئات الكيلو مترات (خبر سارية والجبل وعمر بن الخطاب) ، وأن الله أحيا له الدابة لكى يواصل رحلته ، فهذا صلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق على منَّة ودعا الله ﷻ فأحيا له فرسه فلما وصل إلى البيت قال : يا بنى خذ سرج الفرس فإنه عارية ، فأخذ سرجه فمات الفرس .

محبة وولاية أهل الإيمان :

أعلاها وأسماها ود الرحمن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم] .

وهو ود يشيع فى الملأ الأعلى ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلئ به الكون كله ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله أحب عبدا دعا جبريل فقال : يا جبريل إنى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » رواه الإمام مسلم والترمذى .

ثم ولاية الله لأهل الإيمان ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة :٢٥٧] .

ثم دفاع الله عنهم ونصرته لهم أى لأهل الإيمان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج :٣٨] ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [غافر :٥١].

ثم ولاية الملائكة للمؤمنين ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الأنفال :١٢] .

هكذا تستمر الصداقات والولاية لأهل الإيمان حتى تصل إلى تسخير الكون كله وما فيه من طيبات ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

استغفار ودعاء لأهل الإيمان :

ويستمر الحب والولاء لدرجة أن كل المخلوقات تستغفر للمؤمن الذى يعلم الناس الخير ، قال رسول الله ﷺ :(إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها حتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى ، وأحمد : رياض الصالحين رقم ١٣٨٥ .

أنا بالله عزيز :

يـا زمـان أنـا حـر   حـرر الإسـلام ذاتـي
أنـا باللـه عزيـز   عزتـي فـي سجداتـي
أنـا عبـد اللـه لا   عبـد الهـوى والشهواتي
معـى اللـه فلـم لا   أتحـدى النائبـات
معـى الإيمـان يهـد   ينى ببحـر الظلمـات
معـى حـب الحق حب   الخـير حـب المكرمات
معـى حبى للورى هم   إخوتـي وأخواتـي
سخـر الله السماء والأرض   لـي والنـيرات
أنـا أقـوى الخلـق بـالله   بذكـري بصلاتـي
لا يدانى كل ملك الأرض   إحـدى ركعاتـي

مؤمن سخر الله له جنود السموات والأرض :

إن المؤمن الصادق المتعلق بربه جل وعلا قد لا يؤبه له فى الدنيا ، لكنه إذا أقسم على الله أبره .

ومن المؤمنين الصادقين الربانيين صحابى جليل بعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر ابن ساوى بالبحرين بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام .

عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع دارين ،فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له ، فيهن : نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ ، فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك ، وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ منه ونشرب ، فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلا

فإذا نحن بماء أقلعت عنه السماء ، فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتى ، وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ؟ فسرنا قليلا ثم قلت لصاحبى : نسيت إداوتى فجئت إلى ذلك المكان ،فكأنه لم يصبه ماء قط ،ثم سرنا حتى أتيت دارين والبحر بيننا وبينهم فقال : يا عليم يا حليم يا على يا عظيم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا فاقتحمنا البحر ، فخضنا ما يبلغ لبودنا فخرجنا إليهم فلما رجع أخذه وجع البطن فمات ، فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه فى ثيابه ودفناه ، فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير ، فقال بعضنا لبعض : لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه، فرجعنا فطلبناه ، فلم نجده فقال رجل من القوم : إنى سمعته يقول : يا على يا عظيم اخف عليهم موتى أو كلمة نحوها ، ولا تطلع على عورتى أحدًا فرجعنا وتركناها ـ رحم الله تعالى (العلاء بن الحضرمى) ﷺ .

«موعظة اليوم»

قال الحسن البصرى : لأن أقضى حاجةً لأخٍ لى أحب إلى من أعتكف سنة »

وقال على بن أبى طالب ﷺ:

« إن الجنة لتساق إلى من سعى لأخيه المؤمن فى قضاء حوائجه ليصلح شأنه على يديه ... » .

«فى واحة الشعر»

إلهى ما أعدلك

مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك

لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك

«من مواقف الصالحين»

« علام تبكى يا صاحب رسول الله ؟ »:

كان الصحابى الجليل أنس بن مالك ﷺ يبكى كلما تذكر فتح مدينة «تستر» فى بلاد فارس :

وكانت « تستر » من أحصن مدن فارس وقد حاصرها المسلمون قرابة العام ونصف العام ، ثم فتح الله على المسلمين وسقطت المدينة فى أيديهم ، وتحقق لهم فتح من أصعب الفتوح التى خاضها المسلمون .

لقد فتح باب حصن تستر قبيل ساعات الفجر بقليل ، وانهمرت الجيوش الإسلامية داخل الحصن ، ودار لقاء رهيب بين ثلاثين ألف مسلم وبين مائة وخمسين ألف فارس ، وبفضل الله كتب الله النصر للمسلمين ، وكان هذا الانتصار بعد لحظات من شروق الشمس ، فلم يستطع المسلمون فى هذه المعركة الطاحنة والسيوف على رقابهم أن يصلوا الصبح فى ميعاده فبكى أنس ابن مالك ﷺ عنه لضياع صلاة الصبح مرة واحدة فى حياته : يبكى وهو معذور ، وجيش المسلمين معذور ، وجيش المسلمين مشغول بذروة سنام الإسلام ... مشغول بالجهاد ، ولكن الذى ضاع شىء عظيم .

يقول أنس ﷺ : وما تستر ؟ لقد ضاعت منى صلاة الصبح وما وددت أن لى الدنيا جميعًا بهذه الصلاة .

« يستفتونك »

س – كان للذين يصلون التراويح جماعة بعض أذكار يقولونها بين كل ركعتين أو أربع ركعات ، ويرى بعضهم أنها بدعة غير مشروعة ، فما رأى الدين فى ذلك ؟

جـ – ليس هنا نص يمنع من الذكر أو الدعاء أو قراءة القرآن فى الفصل بين كل حال ، وكون السلف الذين يؤخذ عنهم التشريع لم يفعلوه لا يدل على منعه، إلى جانب أن النقل عنهم فى منع الذكر المذكور غير موثوق به وهذا الفاصل يشبه ما كان يفعله أهل مكة من قيامهم بالطواف حول البيت سبعًا بين كل ترويحتين ، الأمر الذى جعل أهل المدينة يزيدون عدد التراويح على العشرين ، تعويضاً عن هذا الطواف ، وهو أسلوب تنظيمى يعرفون به عدد ما صلوه ، إلى جانب ما فيه من تنشيط للمصلين فلا مانع مطلقاً وبهذا لا يدخل تحت اسم البدعة ، فالنصوص العامة تشهد له فضلاً عن عدم معارضته لها ، ولئن يسمى بدعة فهو على نسق قول عمر ﷺ : نعمت البدعة هذه عندما رأى تجمع المسلمين لصلاة التراويح خلف أبى بن كعب .

توصيات عملية :

١ – صل رحمك التى قطعتها ، وأحسن إلى من أساء إليك.

٢– زر من استطعت من أقاربك فى رمضان ، ومن لم تزره اطمئن عليه بالهاتف .

٣- ادع أقاربك إلى الإفطار فى بيتك تنل أجرين أجر صلة الرحم وأجر الإفطار .

٤- اجتهد فى العبادة : قم الليل – اقرأ القرآن ، ولا تصرف وقتًا فى غير فائدة .

٥- اجعل لنفسك عبادة سر لا يراها إلا الله وحده لا شريك له .

الحلقة : الخامسة عشرة

فى

« الصلاة شجرة الإيمان »

يـا سـاهيًا فى صـلاته : جسـمك فى مصر ، وقلبك هائم فى كل مصر ، وصورة بلا روح، جسد بلا حياة ، عربى النطق أعجمى الفهم مثلك مثل من طلب منه الملك جوهرة ثمينة، لقاء قربه ، وجعله فى الحاشية ، فاشترى حفنة تراب ، ووضعها فى سلة قش وقـدمها ، فلـما رآها الملك غضـب ، وكـان الطـرد والإبعـاد بديل القرب والإسعاد .

« وقفة إيمانية »

الصلاة شجرة الإيمان

قال الله تعالى :﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء].

الصلاة فى الإسلام لها منزلة عظيمة فهى عمود الإسلام (الصلاة عماد الدين) ولذلك فهى لا تسقط عن المسلم أبدا لا فى حضر ولا فى سفر ولا فى مرض ولا فى حرب ، فهى لا تسقط عن الرجل أبدا بذهاب عقله ، ولا تسقط عن المرأة إلا فى الحيض أو النفاس ، فالمسلم الذى لا يصلى إما مجنون وإما حائض أو نفساء ، والآيات التى بين أيدينا تبين كيف يحافظ المسلم على الصلاة فى أشد ظروف الانشغال فى القتال والمبارزة ، أمام بريق السيوف ، إذاً كيف يقوم المسلم بهذا الدين ، ويجاهد من أجل إعلاء كلمته ، وهو ليس مؤهلا للقيام بهذه المهمة الضخمة ، والنصر لا يتنزل إلا على المؤمنين ، وأبجديات الإيمان هى الصلاة .

ومع أن النصر بيد الله ومع أنه أعد للكافرين عذابا مهينا ، ولكن الصورة الإيمانية العظيمة التى تتجلى بها الآيات تدل مع معية الله للمؤمنين القائمين بواجبات هذا الدين فهو حريص عليهم يعلمهم الأخذ بالأسباب وعدم التواكل ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء :٧١] ويفصل لهم سبحانه بنفسه كيفية صلاة الخوف ، عن جابر ﷺ قال : شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفنا صفين خلفه والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبى ﷺ وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف الآخر فى نحر العدو فى مواجهته) فلما قضى النبى ﷺ السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبى ﷺ ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا فى الركعة الأولى ، وقام الصف المؤخر فى نحر العدو فلما قضى النبى ﷺ بالصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبى ﷺ وسلمنا جميعا .

هذا وهناك كيفيات عدة لصلاة الخوف تراجع فى كتب الفقه .

الصلاة فرض على كل الأنبياء :

ولأن الصلاة هى الصلة بين العبد وربه ، وهدية الله إلى خلقه فقد كانت هدى الأنبياء من قبل ، فقال تعالى على لسان عيسى ابـن مريـم ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم] ، وقــال على لســان إسماعيل ﷺ :﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم].

وقال آمراً موسى : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم].

وقال عن إسحاق ويعقوب عليهما السلام ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء] .

وقال فى وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه :﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان : ١٧].

ثم أخبر سبحانه أن كل المخلوقات تسبح له وتصلى له ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور : ٤١].

ومن جاء الأمر للنبى ﷺ ولأمته ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه].

ثم بين أن تضييع الصلاة سبب الحسرة فى الدنيا والآخرة ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم].

وفى مواقف الشدة والابتلاء فالصلاة هى المدد الربانى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة].

الصلاة عماد الدين ومفتاح الجنة ودليل الإيمان ، والعلاقة الحقيقية بين المخلوق والخالق وسكينة النفس وطهارة الروح ، والفيصل بين الإسلام والكفر وهكذا جعلها النبى « **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** » ، رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ، وقال : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » رواه أحمد والنسائى ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم .

حينما دعا إبراهيم ربه دعاه أن يجعل أبناءه من مقيمى الصلاة ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم].

وحينما أثنى الله على إسماعيل قال : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم].

ولما وصى لقمان الحكيم ابنه كان من أهم ما أوصاه به:﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

[لقمان]

الصلاة هذه منزلتها فى كل دين من الأديان وفى الإسلام خاصة ، كانت الصلاة أول ما فرض من العبادات ، فرضت فى مكة وفرضت فى صورة لم تفرض عبادة بمثلها ، فرضت العبادات كلها فى الأرض وفرضت الصلاة وحدها فى السماء بخطاب مباشر من الله لنبيه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، فهى بقية هذه الذكرى فهى معراج كل مؤمن إلى الله تبارك وتعالى ، هذه الصلاة وهذه أهميتها هى آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ أمته عند مفارقته الدنيا جعل يقول : (الصلاة الصلاة أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم) ، وهى آخر ما يفقد من الدين فإن ضاعت ضاع الدين كله قال رسول الله ﷺ : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروَة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة » .

من أجل ذلك جعل الله الفوز والسبق والنجاح والفلاح لمن حافظ عليها وكان من الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وقد شدد النكير على من يفرط فيها ويتهاون فى أدائها وهم الذين يضيعونها فقال جل شأنه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون] .

فويل هذا واد فى جنهم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل فيه صديد أهل النار ، فإن أودية جهنم لتستعيذ من شدة حره ذلك لمن تهاون عنها وأخرها عن وقتها، فما بالك يا أخى بالذين لا يصلون فإن من المسلمين أناسا لا يصلون ، وإن من المسلمين أناسا لا يدخلون المسجد إلا لصلاة الجمعة وفقط ، وإن من المسلمين أناسا لا يصلون طوال العام إلا فى رمضان ، ومن المسلمين من لا يصلى إلا الجمعة الأخيرة فى رمضان ،ومنهم من يعكف على الملاهى ، وعلى المعاصي وعلى كل ما يغضب الله ويقول :

دع المساجد للعبـاد تسكنهـا   وطف بنا حول خمار ليسـقينا
ما قال ربك ويل للألى سكروا   بل قال ربك ويـل للمصـلينا

ومن المسلمين أناس لا يدخلون المساجد طول حياتهم إنما يدخلونها مرة واحدة وهم محملون على الأعناق على خشبة الموتى لا ليصلون ، وإنما ليصلى عليهم صلاة الجنازة ، فمن شغله ماله وأولاده أو تجارته عن الصلاة فهو ملعون ومن الخاسرين ، وتارك الصلاة ملعون ملعون ، ولو أنطق الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات والجمادات للعنت تارك الصلاة ، وليعلم تارك الصلاة أن ذنبه وأن معصيته عند الله أقبح من القتل وشرب الخمر والزنا ، ولقد أفتى علماؤنا الكرام عليهم رحمة ربنا المنان ، الإمام مالك والشافعى وأحمد وعلى رأسهم أئمة السلف سفيان الثورى والأوزاعى وابن المبارك والإمام ابن القيم وابن تيمية ، وأفتى كثير من الصحابة وعلى رأسهم معاذ بن جبل وأبى هريرة وابن عباس ، ولم نجد مخالفا لصحابة رسول الله ﷺ أفتوا بأن تارك الصلاة يستتاب فإن تاب تاب الله عليه ، وإن لم يتب قتل حدا يضرب عنقه بالسيف ، وأفتوا بأن من ترك الصلاة جحودا فهو كافر .

وقد ذكر الإمام ابن القيم فى كتابه (الصلاة وحكم تاركها) عشرة أدلة على ذلك .روى الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير ، والأوسط ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الهيثمى : رجال أحمد ثقات ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : لقد ذكر النبى ﷺ يوما الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور لا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأبى بن خلف فى الدرك الأسفل من النار».

وعند هذا الحديث قال ابن القيم رحمه الله لطيفة من لطائف الحديث قال : من شغله عن الصلاة ملكه حشر مع فرعون ، ومن شغله عن الصلاة منصبه حشر مع هامان ، ومن شغله عن الصلاة كنوزه وثروته حشر مع قارون ، ومن شغله عن الصلاة تجارته حشر مع أبى بن خلف .

ولقد ذكر الإمام الذهبى فى كتابه (الكبائر) والعهدة على الراوى يحكى أن:امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى نبى الله موسى عليه السلام فقالت : يا نبى الله إنى أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت إلى الله فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على ، فقال لها موسى عليه السلام :وما ذنبك ؟ قالت : يا نبى الله إنى زنيت وولدت ولدا فقتلته ، فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لتنزل علينا نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل الأمين جبريل عليه السلام وقال : يا موسى الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها ، قال موسى : يا جبريل ، سبحان الله ومن هو شر منها ، قال: تارك الصلاة عامدا متعمدا .

وفى هذه المناسبة أنادى على هؤلاء الذين يضيعون صلاة الجماعة ويصلون فى البيوت ، لماذا بنيت هذه المساجد ؟

اعلموا أيها الأبناء الأحباب : أن صلاة الجماعة من العلماء من قال بوجوبها ومنهم من قال إنها فرض ومنهم من قال : إنها سنة مؤكدة ، وإذا أخذنا على الأقل وهى سنة مؤكدة فمن ترك السنة المؤكدة فهو آثم .

روى الإمام مسلم فى صحيحه : (أن رجلا أعمى (هو عبد الله بن أم مكتوم) أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى ﷺ أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : «هل تسمع النداء بالصلاة » قال : نعم ، قال : « فأجب » .

فهذا رجل ضرير البصر شكا ما يجد من المشقة فى مجيئه إلى المسجد ، وليس له قائد يقوده إلى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبى ﷺ فى الصلاة فى بيته .

روى أبو داود فى سننه برقم (٥١٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل: وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلاها » يعنى فى بيته .

وروى الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : من سره أن يلقى الله غدا مسلما « يعنى يوم القيامة»فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» .

ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وقد ذكر أبو نعيم فى الحلية : (أن الربيع بن خيثم الإمام القدوة الفقيه وهو تلميذ ابن مسعود ، قال له ابن مسعود : (لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك) لقد سقط شقه الفالج (شلل نصفى) فكان يخرج للصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور ، فيقول : هو كما تقولون ، ولكن أسمع المؤذن يقول : حى على الصلاة حى على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل .

وقال ابن عمر : خرج عمر يوما إلى حائط له فرجع، وقد صلى الناس العصر فى جماعة ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتنى صلاة فى الجماعة أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ، ليكون كفارة لما صنع عمر ﷺ (والحائط : البستان فيه النخل) .

روى الإمام الذهبى فى كتابه (الكبائر) عن عبيد الله القواريرى [1] قال : لم تكن تفوتنى العشاء فى الجماعة قط فنزل بى ضيفا فشغلت بسببه ، وفاتتنى صلاة العشاء فى جماعة ، فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتى وقلت : قد ورد فى الحديث « إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم ، فالتفت إلى أحدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا ، قلت : ولم ؟ قال : لأننا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك ، فانتبهت وأنا مهموم حزين لذلك .

---

(١) هو عبيد الله بن عمر القواريرى الجشمى مولاهم أبو سعيد البصرى نزيل بغداد ، شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٣هـ (طبقات الحفاظ) الذهبى.

روى الإمام الطبرانى فى معاجمه وأصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « تحترقون تحترقون « أى بالذنوب والمعاصى » فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ،ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ، ثم تنامون فلا يكتب عليكم شيئا حتى تستيقظوا » .

رأى أحد قواد الفرس المسلمين فى عهد عمر ﷺ الجيوش يقفون صفا يصلون لا فرجة ، لا خلل ، لا عوج فى الصف ، المنكب إلى المنكب ، والقدم إلى القدم ، إذا ركع الإمام ركعوا ، وإذا سجد الإمام سجدوا ، وإذا قرأ أنصتوا فنظر إليهم فى غيظ وكيد ، وقال : أكل كبدى ابن الخطاب ، أكل كبدى ابن الخطاب علم هؤلاء البداة مكارم الأخلاق .

وما علمهم ابن الخطاب إنما الذى علمهم وعلم ابن الخطاب معهم وقبلهم هو (الإسلام) و(رسول الإسلام ﷺ) .

هذه هى الصلاة التى ينبغى أن نحرص عليها لتكون لنا مددا وتكون لنا قوة ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت] .

« موعظة اليوم »

« طلبة إبليس »

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله :

إن إبليس إذا ظفر من ابن آدم بإحدى أربع ، قال له :لا أطلب منه غيرها :

١-إعجابه بنفسه

٢-واستكثاره عمله .

٣-ونسيانه ذنوبه .

٤-وزيادة الشبع ، وهى أعظمها ، فإن الثلاثه تنشأ عنه .

فى واحة الشعر

بك أستجير ومن يجيُر سواكا   فأجر ضعيفاً يحتمى بحماكا
إنى ضعيف أستعينُ على قوى   ذنبى ومعصيتى ببعض قُواكا
أذنبتُ يا رب وآذتنى ذنوب   ما لها غافر إلاكا

« من مواقف الصالحين »

«أسماء وجدها الضرير »:

قالت أسماء بنت أبى بكر : لما خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق ﷺ احتمل معه ماله كله : خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فانطلق بها ، فدخل

عليهم جدهم أبو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم فى ماله مع نفسه : قالت : قلت:كلا ، يا أبت ، إنه ترك لنا خيراً كثيراً قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع فيها المال ، ثم وضعت عليها ثوباً – ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال .

قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم .

تقول أسماء : لا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

« يستفتونك »

س – ما حكم التهجد فى رمضان ؟ وهل تقوم التراويح مقامه أم لا ؟

ج- التهجد سنة على حدة ، والتراويح سنة مؤكدة على حدة يسن فيها الجماعة بخلاف التهجد، فإنه شرع فرادى ، فَزَعْم سقوط أحدهما بالآخر منشأه التكاسل ، وإلا فالمجتهد فى أمر العبادة كما يجتهد فى إقامة السنة المؤكدة، فكذلك يجتهد فى إقامة التهجد ولا يرضى بترك السنن الزوائد ، ومما يُشعر بعدم السقوط ما فى « مقالة الشيخ عبد الحق » : الأفضل بأن يوتر فى رمضان » وفى رواية يوتر بعدها ، أى :بعد التراويح بجماعة إلا أن يكون له التهجد فيؤجل الوتر بعده ، فلو سقط التهجد لما كان لهذا الاستثناء فائدة .

«توصيات عملية »:

- حافظ على الصلاة فى المسجد .
- تعرف على أهل المسجد فهذا من مقاصد صلاة الجماعة .
- أكثر من الصلاة والسلام على النبى ﷺ يوم الجمعة .
- اقرأ سورة الكهف حتى تنير لك ما بين الجمعتين .
- نم مبكراً على طهارة وصل ركعتى الوضوء قبل النوم ، وانو القيام للفجر واضبط ما يوقظك للصلاة .

الحلقة : السادسة عشرة

فى

«حاضرُ العَالم الإسلامى»

خطبة عيد الفطر المبارك سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

«عيد الأمة الحقيقى»

«وقفة إيمانية»

يوم تقر أعيننا بعودة المسجد الأقصى الأسير ، وأن نرى المسلمين ملؤوا ساحته وعلت أصواتهم بالتكبير فى صلاة العيد ... هو لنا يوم عيد...

ويوم نرى مسلمى الشيشان ..... وفلسطين ... والعراق وكوسوفا ......إلخ تحررت أرضهم وعلت عليها من جديد راية التوحيد ....هو لنا يوم عيد ....

يوم نرى المسلمين فى كل أنحاء العالم توحدت كلمتهم وعلت رايتهم هو لنا يوم عيد .....

كل يوم يتفوق فيه ابن من أبنائنا ويصبح عالماً من العلماء...هو لنا يوم عيد .

حَاضِرُ العَالم الإسلاَمى

خطبة عيد الفطر المبارك سنة ٢٠٠٦ م

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويكافئ مزيده حمداً يبتغى به رضاه .

الحمد لله ما أنطلقت مواكب المجاهدين أنصار الله تنشر دعوته ، وتعلى كلمته ، وتحيى شريعته فى العالمين ، حمداً لله فى السر والعلن ، وفى الأولى والآخرة ، نحمده سبحانه وتعالى على ما أفاء من نعمه ونسأله أن يحشرنا إليه ووجوهنا ناضرة مستبشرة ، كما نسأله أن يجعل حسابنا عنده وفق وعده المبين فى كتابه الكريم :﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

الله أكبر ، الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد »[١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبدُ إلا إياهُ مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وأستاذنا وقدوتنا محمداً عبده ورسوله القائل فى حديثه الشريف فيما رواه الشيخان : «ما من أحدٍ يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات إلا الشهيد لما يرى من الكرامة ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ».

فاللهم صل وسلم وبارك عليك سيدى يا رسول الله سلام فى الأولين وسلام فى الآخرين يوم اللقاء : يوم الشفاعة العظمى :

---

١) ذكر العلامة « ابن القيم » فى « زاد المعاد » : أنه لم يثبت عن النبى ﷺ أنه ابتدأ خطبه لا فى جمعة ولا عيد بغير الحمد لله : يراجع « زاد المعاد » ١/ ٤٤٧، ٤٤٨ .

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى عُلاك وقد سنا منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء.

صلوات الله وسلامه على صاحب الرسالة الخاتمة ما قامت بربها الأشياء وما دامت فى وجودها الأرض والسماء : أما بعد : أحبتى فى الله .

إن الأعياد فى الإسلام ليست آسواق طعام وشراب وليست ميادين لهو ولعب إن الأعياد فى الإسلام ارتبطت بذكريات عزيزة وقيم غالية فمع بدء الوحى الأعلى كان رمضان ، وكان صومه وكان عيد الفطر ، ومع خواتيم الوحى الأعلى كان الحج وكان يوم عرفة وكان اكتمال الدين ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .

فكان بدء حضارة أظلت الدنيا فلم تر الدنيا لها نظيرًا ، إذ أعلت قدر الإنسان وشرفته على إمتداد الزمان والمكان .

فالنبى ﷺ ما ترك جزيرة العرب إلا بعد أن ربى جيلاً من الخلق هو أزكى ما ترك جزيرة العرب إلا بعد أن ربى جيلاً من الخلق هو أزكى ما عرفت أقطار الشرق والغرب وأنقى الناس ضمائر وأصحهم عقولاً هذا النبى الكريم ﷺ ربى الجليل الذى حمل الرساله بعده للعالمين الذين قهروا الفرس والرومان وخرجت مدرسة الحبيب العلماء الذين ملؤوا الدنيا معرفة وعلماً ولبثت هذه المدرسة قروناً مداراة العطاء لأمة أرادها الله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ إلى أن تولى أمور المسلمين من أعطوا وجوههم للإسلام الشكل وظهورهم للإسلام الجوهر ، احتضنوا الإسلام أسماء ، ونبذوه مسميات ، ورثوا عن الفراعنة إدعاء الآلوهية وإسترقاق الشعوب ، وتحويلها إلى أشباح آدمية تهتف وتصفق وقطعان من الماشية تستجيب للعصا والسقوط.

ورثوا عن الفرس والرومان آبهة الملك ومظاهر السلطان .

وورثوا عن الجاهلية صلفها وغرورها وعنجهيتها ورعونتها وعلى أيدى هؤلاء دالت دولة الإسلام ، لم يكن يعنيهم أن تدال دولة الإسلام ما دام سلطانهم قائماً ، وما دامت عجلة الترف تدور ولا تتوقف ، وما دامت الدساتير التى صاغتها الأهواء لحسابهم تجيز لهم أن يحكموا ويحلكوا معاً دون أن يسألوا عما يفعلون بعد أن تخلى أكثر علماء الدين بعد أن صاروا فى ركاب السلطة رغباً أو رهباً ، وتخلفت عنها الشعوب المسلمة بعد أن فقدت الريادة والقيادة لدى ورثة الأنبياء وبخاصة بعد أن كثرت السلطة عن أنيابها ، ونفثت سمومها كفحيح الأفاعى وكشفت عن وجهها النقيم فآيدت تخوفها من البعث الإسلامى الذى سيؤرق متاعبها ويرتاب آهواءها .

ونحن فى هذه الأيام فى حاجة إلى وقفة تأمل ننظر فيها إلى حاضر العالم الإسلامى كى نبصر ما تحتاج إليه وكى نأخذ العبرة مما يوحى بالعبرة ، فقد شعرت بأن التقوى المعادية للإسلام تعربد قريباً وبعيداً عنا ونحن يجب أن ندرك ما يراد بنا وما يبيت لنا : إن فلسطين لا يجف لها دم ، وكما يطلع الناس على النشرة فى كل صباح يتسمعون إلى آنباء القتلى فى الانتفاضة التى أمدها الله وحده بالقوة إلى يوم الناس هذا . ونرى ذلك فى الشيشان وفى أفغانستان وكشمير والفلبين وفى العراق والسودان ونرى العروبة والإسلام يحاربان حرباً شعواء حتى لكاننا نخشى أن يكون النطق بالإسلام جريمة هناك :

إن الأمر يحتاج إلى أن نتعرف على حاضر العالم الإسلامى الذى ضاق العالم الإسلامى الذى ضاق به أحد الشعراء فقال :

قد استرد السبايا كل منهزم — لم يبق فى أسرها إلا سبايانا
وما رأيت سياط الظلم دامية — إلا رأيت عليها لحم أسرانا
ولا نموت على حد الظُّبا أنفاً — حتى لقد خجلت منا منايانا

لقد قُدر علينا أن نعيش حتى نرى الإسلام يناوس بالسهام من كل جانب من الجوانب وتصب عليه سياط العذاب من كل فئة من فئات الكفر ، تفرق الكفر شيعاً وأحزاباً ، ولكنهم أجتمعوا على هذا الدين وعلى آهله فالكفر ملة واحدة والله تعالى يقول ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال : ٧٣] فلا عجب أن نرى فى هذا العصر كل فئات الشرك والكفر تتآمر على المسلمين تريد أن تقتلع جذورهم ، وأن تهدم عليهم بنيانهم وأن تأخذهم من دينهم وعقيدتهم ، اجتمع على ذلك اليهود والذين أشركوا والصليبون ، الجدد هذا ما نراه على خريطة الحياة فى عصرنا هذا .

إننا نواجه آلاماً متعبة ، ولكن الخبراء بالتاريخ الإسلامى يعرفون أن هذا التاريخ له خط بيانى متعرج بشكل يستدعى الدراسة فهو ، يهوى إلى القاع حتى لا يكاد يبين ثم يصعد حتى يبلغ عنان السماء ، وربما كان المسلمون فى أيامنا هذه فى فترة المحاق من تاريخهم ، لكن الصفحة الكئيبة التى نراها لحاضر العالم الإسلامى سوف تتبعها ـ بإذن الله ـ صفحه مضيئة مشرقة وذلك شآن تاريخنا كله نرى هذا التاريخ يهوى ، ثم يصعد ، نرى أمتنا تمرض ثم تصحو ، تقع ثم تثب وكما قال ربنا جل وعلا ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران].

شاء ربنا آن يذهب بيت المقدسى فى فترة من فترات الجزر [1] من تاريخنا ولكن الجزر لا يبقى ، بل يعقبه مد وفى فترة المد – بعد قرن من الزمن – استنقذنا المسجد الأقصى ، وأعدنا فلسطين إلى كياننا ، وفى يوم ما سقطت بغداد تحت سنابك التتار ومؤمرات الصليبين وكانت صفحة سوداء ، ولكن التاريخ لم يقف فقد استعدنا بغداد ، واستطعنا بعد بغداد أن نستعيد القسطنطينية وأن نجعلها عاصمة للأمة الإسلامية بعد أن كانت عاصمة لدولة الرومان .

أيها الأحبة الكرام : لا تظنوا الدهر ولوناً واحداً ، إنما الدهر شؤون وفتون بعد انتصار بدر وقعت هزيمة فى أحد صرعت من أئمة المسلمين سبعين شهيداً، وبلغ من توقح الوثنية بعد آن أحرزت نصرها أن وقف قائدها أبو سفيان بن حرب وهو يقول « اعل هُبل » فقال النبى ﷺ «أجيبوه قالوا ما نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا اللهُ اعلى وأجل » ولم تكن هزيمة أُحد قاضية علينا فإن خمس سنين أعقبت غزوة أُحد ، وإذا المسلمون سادة الموقف فى مكة المكرمة يسودون مواسم الحج والحجيج وبعد انتصار الفتح وقعت هزيمة فى حُنين ثم أعقبها نصر .

وهذا شأن تاريخنا كله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

إن تاريخنا ينخفض ويرتفع ، وقد تكون الأمة الإسلامية الآن فى فترة محزنة كفترة إستيلاء الصليبين على المسجد الأقصى أو كفرة سقوط بغداد فى أيدى التتار ولكن الهزائم ما بقيت والإنتصارات ما تخلفت وسوف نعود إلى آمجادنا التى فقدناها ، وسوف نسترد كل شبر ونغسله من أوضار [2] الذين لوثوه بعدوانهم .

---

(١) الجزر : انحسار ماء البحر عن الشاطئ ضد المد .

(٢) الوضر : الدرن والوسخ ، والجمع آوضار.

إن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشرنا فيما رواه الإمام أحمد ، والحاكم، ووافقه الذهبى . والطبرانى فى الكبير بقوله ﷺ : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر » أى: ليمتدن الإسلام مع إمتداد الليل والنهار ومع مساقط الظلمة والضوء على أرض الله :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف]

وبشرنا رسولنا ﷺ بقوله فيما رواه الإمام أحمد والبزار والطيالسى ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الثقات وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (٥) عن حذيفة بن اليمان : أن النبى ﷺ قال : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل وجلاله ، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إن شاء ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، نسأل الله أن يعجل بالخلافة التى على منهاج النبوة، وأن يمتعنا بالعين فى ظلالها ، وإن لم يُقَدر لنا ذلك فأسأله ألاَّ يحرم أبناءنا إنه ولى ذلك والقادر عليه » .

وقد روى الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيها : عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن النبى ﷺ قال : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها » .

فيجب أن نعلم أيها الأحبة الكرام أن المسلمين لى يكسبوا نصراً إلا بالإسلام ، وأنهم بالإسلام وحده تعلو كلماتهم ما بقوا معتصمين بكتاب الله وسنة رسوله العظيم بالعقيدة الحقة والأخلاق الفاضلة ، أما إعتراض البعض على المحن والشدائد التى تصب على رؤوس الدعاة إلى الإسلام والضربات القاسية التى تنهال عليهم من هنا وهناك ، فمن ذا الذى يأمل أن تقوم لهؤلاء المضطهدين المشردين المعذبين قائمة ، أو يرتفع لهم علماً ، أو ينتصر فى الناس نظام يدعون إليه ورسالة يؤمنون بها وهم فى كل يوم بين المطرقة والسندان ونحن نقول لهؤلاء المعترضين ، أو المتوجسين إن هذه المحن التى نذكرها ليس علامة ضعف أو موت لدعاة الإسلام ، بل هى دليل حياة وحركة وقوة ، فإن الميت الهامد لا يضرب ، ولا يؤذى ، إنما يضرب ويؤذى الحى المتحرك المقاوم، إن الدعوة التى لا يضطهد أصحابها ، ولا يؤذى دعاتها دعوة تافهة أ، ميتة أو دعاتها على الأقل تافهون ميتون .

ثم إن هذه المحن والاضطهادات برهان حيوى للمبدأ نفسه ، الذى يقدم كل حين شهداء فى معاركه يروون شجرته بدمائهم ، ويبنون صرح مجده بأشلائهم وهذه المحن أبلغ معلم ، وأعظم مرب لأصحاب الدعوات فالرسول ﷺ وهو فى أحلك الأزمات والأوقات وهو يطاردُ وأصحابه يقول لخباب بن الأرت فيما رواه الإمام البخارى ، وأحمد ، والنسائى : « والله ليتمن الله هذا الآمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه ولكنكم تستعجلون » : وكما قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت] ، فكذلك مضت سنة الله من قبل ومن بعد ، ما صدع أحد بالحق وجهر به ودعا

الناس إليه إلا أوذى وعذب والعاقبة للمتقين والنصر للصابرين، وسبحان متم الحظوظ فلا عتاب ولا سلامة فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

لقد تكشفت صحائف التاريخ فلمحت فى ثناياها المشرقة أئمة الفقه الإسلامى الأربعة أبا حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعى ، وأحمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنهم أجمعين أولئك الذين مهدوا للناس سبيل الفقه وعبدوا طرائقه للسالكين وكانوا كالشمس للدنيا والعافيه للبدن ومع هذا لم ينجو أحد منهم من محنة فى سبيل الحق كانت له منحة بعد ذلك بلا شك .

لقد عرض القضاء على أبى حنيفة النعمان وهو يعلم أن استقلال القاضى حينذاك قد يهدد بتدخل الولاة ورأى الخلفاء مع أن القاعدة العامة يومئذ أن منزلة القاضى من السمو بحيث لا تنال رهبة ولا تؤثر فيها رغبة ، وكان لأبى حنيفة رأيه فى الدولة فلم ينشأ أن يقبل ، وألح أبو جعفر المنصور وأصر أبو حنيفة ، وأقسم الخليفة وأقسم الإمام وانتقل الأمر إلى التهديد والوعيد فلم يفعلا شيئاً أمام عزيمة أقوى من الحديد وضرب الإمام أكثر من مائة سوط حتى سال الدم على عقبيه وهو ثابت لا يلين وحبس فى محبسه ثم أخرج منه واعتقل فى منزله لا يفتى الناس ، ولا يجتمع الناس عليه وهو على موقفه، وجاءت أمه تعاتبه ، وتقول : يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تقر عنه فقال : يا أماه لو أردت الدنيا ما ضربت ، ولكن أردت وجه الله وصيانة الإسلام والعلم .

وقد سأل الإمام مالك بن أنس عن طلاق المكره وهو يعلم ما يقصد السائل وإنه سأل عن يمين البيعة يكره الوالى عليها الأمة فلا يجد مخرجاً إلا اليمين

هرباً من العذاب الأليم فقال «طلاق المكره لا يقع » وغضب الوالى لفتوى الإمام وأحضره ، وحاول أن يثنيه عن عزمه وأنى له هذا ، فأمر بضربه مائة سوط وجذب جذباً شديداً عنيفاً حتى خُلعت كتفه وطيف به فى الإسواق، وهو يقول مع هذا كله : « طلاق المكره لا يقع » .

وهذا الإمام الشافعى : اتهم فى اليمن بانضمامه إلى حزب الطالبيين،وشغبه على حكومة الرشيد وإمامته ، فأحضر من صنعاء إلى بغداد مقيداً بالحديد، ووقف بين يدى الرشيد وأمامه العذاب والسيف وأعدم قبله تسعة وكان هوالعاشر ، ومع هذا لم تلن له عزيمة ، ولم تلن له قناة ولم يذهب الخوف منه شئ وأثبت الحق لنفسه حتى فاز بإعجاب الخليفة به وتقريبه إياه ، وسلم العلم والفضل بسلامته .

وكذلك الإمام أحمد بن حنبل وأنتم تعلمون محنته فى خلق القرآن وصموده أمام الحق وهكذا من قبل ومن بعد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ مضت وتمضى سنة الله العلى الكبير قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء] .

فاللهم إن كان بلاء فى مرضاتك وفى سبيلك فمرحباً به وأهلاً ، ولك حتى ترضى ، وما لم يكن بك غضب علينا فلا نبالى ، وأنتم أيها الأحباب المجاهدون العاملون لدعوات الحق والإسلام اليوم وغداً ، هذا نبأ من الأمس ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام ٩٠] .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

« أقول قولى هذا واستغفر الله تعالى لى ولكم »

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد آن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المتقين : اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين : أما بعد

أيها الأحبة الكرام :

أريد أن أقول لكم : أنحن عرب أم نحن مسلمون ؟ يبدو أننا لا عرب ولا مسلمون قد أسأل لماذا ؟

أقول : كان العربى قديماً إذا أصابته هزيمه حرم على نفسه المباهج والأفراح حتى يدرك ثأره وفى هذا يقول تأبط شراً وكان قد قُتل خاله ولم يستطع أن يدرك ثأره :

إن بالشعب الذى دون سلع	لقتيلا دمه ما يطل
خلف العبء علىّ وولى	أنا بالعبء له مستقل
ووراء الثأر من ابن أخت	مصع عقدته ما تحل
حلت الخمر وكانت حراماً	وبلاى ما ألمت تحل
فاسقنيها يا سواد بن عمرو	إن جسمى بعد خالى لخلُّ

وهذه هى الطبيعة العربية هى التى جعلت آبا سفيان بن حرب يقول عند هزيمته فى بدر : لا أغتسل من جنابة حتى أدرك ثأرى من محمد ﷺ هذه هى الطبيعة العربية هى التى جعلت هند بنت عتبة تقول : لايمس جلدى طيب حتى أدرك ثأآرى من محمد ، أنا أرى أن المسلمين منهزمون فى السودان وفى لبنان والعراق وفلسطين والشيشان وفى أماكن لا حصر لها ، وكأن كلمة

الإسلام أصحبت سبة وكأن الانتماء إلى الإسلام أصبح تستباح معه الدماء والأموال والأعراض حتى إن أصحاب القردة والخنازير يتطاولون على البشير النذير ويتضافر الأوربيون والأمريكيون على حمايتهم : سبحان الله العظيم كنا نقول هذا تصرف الرعاع ، فإذا العامة والخاصة والسادة والقادة يتآمرون على ديننا الحنيف ؟ فما الذى يجعل المسلمين فرحين عندما يجئيهم عيد :أنا أرى أن العيد إقامة الشعائر الدينية فقط ، أما أن يفرح المسلمون ، وأن يضحكوا وأن يتهجوا ، وتلك حالهم العالمية والمحلية ، فهذا ما لا ينبغى أبداً إذا كنا عرباً ، أما إذا كنا مسلمين فإن صلاح الدين الأيوبى رُئى وهو متجهم الوجه : فقيل له : ما أحزنك ؟قال : وكيف أبتسم والمسجد الأقصى أسير فى أيدى الصليبيين؟ إنه الآن أسير فلم الضحك ؟ إن أمتنا الإسلامية أحوج أمم الأرض إلى الإيمان ليملأ فراغها ويعمر خراب قلوبها .

أيها الأحبة الكرام : اعلموا أن شرفنا بالإسلام ، وأن انتصارنا بتعاليمه وأن استعادة ما افتقدنا إنما هى بالوقوف عند حدوده ، والانطلاق مع غايته وأهدافه .

أحب أن أقول لشباب أمتى الحبيبة : تشبثوا بالعقائد التى شرفكم الله بها ، استمسكوا بأصول الإسلام التى آلت إليكم بعد جهادٍ مرّ مع قوى الشر ، لقد ورّثتنا الأجيال القديمة الدين القيم ، ويجب أن يبقى فى أيدينا ، وأن نورثه غيرنا ، وأن ننشئ عليه أجيالا أخرى ، ربما كانت أصدق يقينا وأعمق إيمانا ، وأجدى إلى تحقيق النصر ، وأقرب إلى بلوغ الفوز العظيم .

أحب أن أقول لشباب الإسلام : عليكم أن تشعروا أعداءكم أنكم طلاب آخرة لا طلاب دنيا ، عليكم أن تشعروا أعداءكم بأننا لا نطلب حكماً لنرتع فيه

ولا نشتغل بسياسة لنكسب منها ، إننا خدم لقيم وشعب الإيمان فمن استمسك بهذه القيم ، وأحيا هذه الشعب ، فنحن من ورائه نخدمه ، ونؤثر أن نكون جنوداً مجهولين لا نبتغي مالاً ولا جاهاً ؛ لأن الله علمنا فى كتابه أن الدار الآخرة ليست لطلاب المال والجاه : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص] .

فلنحرص جميعاً على الإسلام ولنعش بالإسلام ، ولنمت على الإسلام وليكن شعارنا : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوما خيراً من أمسنا ويجعل غدنا خيراً من يومنا ، ويحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ويجزنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة اللهم أجعل هذا العيد بشير خير وبركة وأمن وأمان على المسلمين، ونذير وبال وحسرة على أصحاب القردة والخنازير من اليهود والأمريكان الظالمين ، اللهم أعد أمثاله على أمتنا الكبرى من المحيط إلى المحيط بالأمن والإيمان والسلامة والسلام والتوفيق لما تحب وترضى : ووصيتى إلى جميع الأخوة أن ينصرفوا فى هدؤ مشكورين مأجورين ، ومن جاء من طريق فليرجع من طريق آخز تهنئة المسلمين بعضهم لبعض : «تقبل الله منا ومنكم» زوروا بعضكم بعضاً وتواصوا فيما بينكم فإن الصلة من أهداف الإسلام ومن مبادئ الإسلام .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه أخوكم الشيخ

أحمد عبد الرحمن السعدنى

« كشاف المراجع »

١- القرآن الكريم .

٢- تفسير القرآن العظيم — للإمام ابن كثير

٣- فى ظلال القرآن — للإستاذ / سيد قطب

٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى — للإمام ابن حجر العسقلانى

٥- صحيح مسلم بشرح النووى

٦- صحيح سنن أبى داود

٧- صحيح سنن ابن ماجه

٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل

٩- صحيح سنن النسائى

١٠- إحياء علوم الدين — للإمام الغزالى

١١- زاد المعاد — للإمام ابن قيم الجوزية

١٢- صيد الخاطر — للإمام أبى الفرج بن الجوزى

١٣- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح — لابن القيم

١٤- كتاب الزهد — لابن المبارك

١٥- بحر الدموع — لابن الجوزى

١٦- وسائل التثبيت على دين الله	محمد صالح المنجد
١٧- قبسات من الرسول ﷺ	محمد قطب
١٨- التذكرة فى الوعظ	ابن الجوزى
١٩- ذم الهوى	ابن الجوزى
٢٠- لطائف المعارف	ابن رجب الحنبلى
٢١- صفة الصفوة	ابن الجوزى
٢٢- البداية والنهاية	للإمام ابن كثير
٢٣- سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبى
٢٤- تحفه الذاكرين	للإمام الشوكانى
٢٥- حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهانى
٢٦- وحى القلم	مصطفى صادق الرافعى

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة